التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء السابع

التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء السابع

الأستاذ الدكتور
عبّـــاس عَليُّ الفَحّام

الطبعَة الأولى / ٢٠٢٣م

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع

مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع- نشر- توزيع)

اسم الكتاب: التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم
الجزء السابع

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور عبّــاس عَليّ الفَحّام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣م

ردمك I.S.B.N.978-9922-702-09-4

رقم الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣م

القطع الطباعي ١٧× ٢٤

عدد الصفحات: ٣٧٥

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الاشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع .. نشر .. توزيع

العراق – بابل – الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما
هاتف: 009647801233129
E-mail:alssadiq@yahoo.com

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ

وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللهُ العَليُّ العَظِيْم

سورة هود

مكية، وآياتها ثلاث وعشرون ومائة.

افتتحت السورة بذكر الكتاب المحكم المفصل النازل من لدن خبير حكيم، واختتمت بذكره سبحانه وأمره بعبادته والتحذير من غفلة عذابه، وما بين الافتتاح والختام آيات كريمات حفلت بالمعارف الإلهية المختلفة المبينة لتوحيده ومعاده، وعرضت الشواهد من هلاك الأمم التي شقيت بإصرارها على الكفر، ووصفت المؤمنين وما وعدهم ربهم من تبشير ورضوان، وفيها تفصيل لما أجمل في سورة يونس من سير الأنبياء.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾

شرعت السورة بالرموز القرآنية من الحروف المقطعة، وليس ثمة تفسير تام للبدء بها ببعض السور دون أخرى، فهي من جملة معاجز هذا الكتاب العظيم.

قوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) أي: هذا كتاب، والتنكير يفيد النوعية، و(أحكمت آياته) لفظ الإحكام أصله المنع، والآيات مجموع كلمات الله المنتظمة في جمل إعجازية تحددت بها كل سورة، وتفيد (ثم) التراخي

الرتبي، ولفظ التفصيل أصله التقسيم والمراد به الوضوح والظهور، وكون الآيات محكمة مفصلة يعني أنها:

ـ عصية على الإتيان بمثلها نظما وفحوى في كل زمان.

ـ متقنة في النسج والبلاغة، ومطابقة لمعناها مطابقة حد التعجيز.

ـ مجملة ومبينة للأحكام الإلهية.

قوله (من لدن) أقوى في الصدور والابتداء من القول: من عند.

وقوله (حكيم خبير) يدل لفظ الحكيم على إتقان الصنع، لهذا ناسب: أحكمت، ولفظ الخبير على العلم بخفايا الأمور والإحاطة بها مهما اتسعت فوافق الفعل (فصلت)، ومن هنا خصتا بالذكر من دون الأسماء الفعلية لله سبحانه.

قوله تعالى ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ ﴾

قوله (ألا تعبدوا إلا الله) الجملة وما بعدها مفسرة لما قبلها من إحكام آيات الكتاب وتفصيله، وهي حكاية لما يتلقاه الناس من الكتاب الذي يتلوه عليهم الرسول ﷺ وهي الدعوة إلى توحيده سبحانه ونبذ عبادة غيره، والإيمان بنبيه نذيرا وبشيرا.

وعلى هذا فقوله (إنني) ليس من الالتفات في شيء، لأنه ليس إخبارا بطريق الحكاية عن قول الرسول ﷺ، بل هو حكاية لمعنى ما يستقبل الناس من الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت في شأني التوحيد والرسالة.

و(من) في (منه) تفيد الابتداء، وضمير الغائب فيه عائد إلى لفظ الجلالة، وتقدم لفظ الإنذار أولا، لأنه أجدى بالردع والزجر من الترغيب والتبشير.

قوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ ﴾

قوله (وأن استغفروا ربكم) الواو عاطفة وجملة (أن) مفسرة لأمر العبادة بطلب المغفرة من الله، وإضافة الرب إلى كاف خطاب عموم الناس للإشارة إلى عبوديتهم له سبحانه.

قوله (ثم توبوا إليه) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، وطلب التوبة بمعنى الرجوع إلى الله بالإيمان به، وكلا اللفظين ـ أي طلب المغفرة والتوبة ـ من مراحل العمل التي تأتي بعد مرحلة الاعتقاد بالإيمان بالله الواحد وكتابه ورسوله السابقة الذكر.

وقوله (يمتعكم متاعا حسنا) جواب الطلب نتيجة للاستجابة بالإيمان بالله ورسوله، لذا جزم فعل الإمتاع.

والمتاع الحسن كناية عن الاستلذاذات المختلفة بمتع الحياة الدنيا كالدعة والأمن والسعة والرزق من النعم السابغة مما أحلها الله لعباده، وفي هذا معنى عظيم لفائدة التوحيد الذي يقتضي منه تنظيم شؤون الحياة وأنه بوابة واسعة لتحصيل النفع الإنساني، وإنما سماه متاعا لأن الإنسان لم يخلق للبقاء في عالم الدنيا وإن كان مؤمنا، ووصفه بالحسن لجماله وخلوه مما يكدر، قال السيد الطباطبائي: فالحياة الحسنة لمجتمع صالح حر أن يشتركوا في التمتع من مزايا النعم الأرضية التي خلقها الله لهم اشتراكا عن تراحم بينهم وتعاون وتعاضد من غير تعد وتزاحم بحيث يطلب كل خير نفسه ونفعها في خير مجتمعه ونفعه من غير أن يعبد نفسه ويستعبد الآخرين. انتهى.

وقوله (إلى أجل مسمى) أي: إلى غاية مدة الإمتاع المضروبة له في عالم الدنيا، والأجل المسمى المدة التي سمي لها وقت محدد.

وقوله (ويؤت كل ذي فضل فضله) جملة معطوفة لاتصال الكلام، وسمى الزيادة من الفرد فضلا وهو قوله (كل ذي فضل) لما يتقرر عليه من نفع عمل لصالح الغير، ووعده مقابل ذلك بمزيد الأجر وهو قوله (فضله) فيكون الضمير فيها عائدا إلى ذي الفضل دون لفظ الجلالة، وهو من التجنيس التام.

وفي هذا المعنى تحقيق للعدل الاجتماعي المجتنى من جوهر التوحيد، لأنها دعوة إلى العطاء الإنساني من غير نظر إلى لونه وعرقه.

قوله (وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) الواو عاطفة، والتولي هنا كناية عن الإعراض وأصله: وإن تتولوا، فحذف تاء الفعل للتخفيف، والفاء واقعة في جواب(إن) الشرطية، والجملة الإسمية إخبار أقيم مقام الجزاء، متضمن معنى التهديد الشديد، ولفظ الخوف هنا بمعنى اليقين، وتعديته بحرف الاستعلاء (على) لتضمنه معنى حرصه على الناس من سوء اختيارهم، وصفة الكبير استعارة من الأعيان لشدة ذلك اليوم.

قوله تعالى ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ ﴾

قوله (إلى الله مرجعكم) الكلام في مقام التعليل، لذلك فصل، والإخبار بالقصر بتقديم الخبر على مبتدئه متضمن معنى عاقبة المآل إنذارا وتبشيرا، فيُخوَّف أهلُ الكفر لعلهم يرتدعون عن عبادة غير الله، ويُبشَّر أهلُ التوحيد فيزيدهم ذلك ثباتا ومضيا على الحق.

قوله (وهو على كل شيء قدير) جملة معطوفة على التي قبلها، تقدم فيها الجار والمجرور ـ على كل شيء ـ على عامله: قدير، للاهتمام والتقوّي، والإخبار بكمال قدرة الله تعالى مناسب لمعنى قصر الرجوع عليه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ ﴾

قوله (ألا إنهم يثنون صدورهم) أفاد الحرف (ألا) الاستفتاح والتنبيه إلى الإخبار عن حال المشركين مع الرسول ﷺ، وثني الصدر كناية عن طي الكشح بعطفه وإمالته إلى خلف للإعراض عن الرسول ﷺ.

قوله (ليستخفوا منه) اللام للتعليل، والاستخفاء زيادة في معنى الخفاء، والضمير الغائب في (منه) عائد إلى الكتاب، أي من استماع آيات الكتاب التي يتلوها الرسول ﷺ عليهم، والكلام كناية عن استخفائهم من الرسول لكيلا يكون مرآهم حجة عليهم بما تلزمهم به الآيات.

قوله (ألا حين يستغشون ثيابهم) الأداة (ألا) لتنبيه المخاطبين إلى ما بعدها، والظرف (حين) للوقت الحاضر، ولفظ الغشيان بمعنى التغطية، والسين والتاء للتأكيد، وهو كناية عن تخفيهم بثيابهم بطأطأة رؤوسهم داخل ثيابهم.

قوله (يعلم ما يسرون وما يعلنون) والإخبار بعلمه سبحانه في حين التخفي أو بغيره ـ وهو ما يفيده التقابل بين جملتي الإسرار والإعلان ـ مستلزم لمعنى جهالتهم وعدم معرفتهم بمقام ربهم لرسوخ الكفر في نفوسهم، ويمكن إرادة تصوير الحالة النفسية لهم بتشبيهها بالحالة الحسية، فقد كانوا يعتقدون احتجابهم في بيوتهم احتجابا عن علم الله بحالهم، وما هم عليه من الشرك، بسبب مقايساتهم الفاسدة.

و(ما) اسم موصول يراد به مطلق الإسرار، وكذلك في جملة الإعلان.

قوله (إنه عليم بذات الصدور) الفصل للإخبار المتضمن معنى التعليل، والهاء المقترن بحرف النسخ عائد إلى لفظ الجلالة للتعظيم، ولفظ العليم

مبالغة في العلم، والباء متعلقة بلفظ العلم، وذات الصدور كناية عن مطلق ما خفي في النفوس، وتسميها العرب القلوب أو الصدور.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾

وقوله (وما من دابة في الأرض) الكلام تفصيل لعلم الله في قوله (يعلم ما يسرون وما يعلنون)، وما: نافية غير عاملة لانتقاض نفيها بأداة الاستثناء، وتفيد (من) تأكيد نفي العموم، ولفظ الدابة يعني كل ما يدب ويمشي على الأرض اختص بالحيوان دون الإنسان بالاستعمال العرفي لها، وتنكيرها لإفادة العموم، أي: كل دابة، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض لإرادة المعنى الحقيقي للفظ العموم.

قوله (إلا على الله رزقها) الاستثناء وقبله النفي للحصر والقصر، وتقديم الجار والمجرور (على الله) يفيد القصر أي: على الله لا على غيره، وحرف الجر (على) بمعنى اللزوم، أي: ألزم الله نفسه بنفسه سبحانه برزقها تفضلا منه ورحمة، فلا أحد قادر على ذلك، وذلك من معاني وحدانيته سبحانه، ومثاله قوله سبحانه (وكان حقا علينا) [يونس ١٠٣] و(وعدا علينا) [الأنبياء ١٠٤]، ولفظ الرزق معنى عام من الطعام ونحوه، وإنما خص رزق الدابة بالذكر، لأن ذلك يقتضي علمه سبحانه باحتياجها

أولا، ثم رزقها بما تسد به حاجتها، وفي ذلك دليل غيبي اختص به وحده سبحانه.

قوله (ويعلم مستقرها ومستودعها) الجملة معطوفة عطف تفسير على جملة الاستثناء لا المستثنى، والمستقر مكان الاستقرار كالحوت في الماء والصدف في الأرض وَكَلَ الله برزقها في مستقره فلا يكون لغيرها، والمستودع مكان الايداع، الذي يدل على ما يتضمن من شيء مؤقت يراد له الانتقال إلى الاستقرار، كالطير في الهواء والجنين في الرحم، والغريب عن وطنه، فكلهم يجدون رزقهم هناك في المكان الذي أطلق عليه مستودع، وبالإجمال لم يخلق الله مخلوقا في الوجود يحتاج في دورة حياته إلى طعام إلا ورزقه رزقا لا يكون لغيره.

وفي الكافي بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع: ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله فإن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالا ولم يقسمها حراما فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حله، ومن هتك حجاب ستر الله عز وجل وأخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه. انتهى.

وفي نهج البلاغة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعلموا علما يقينا أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته أكثر مما سمى

له في الذكر الحكيم، ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم، والعارف لهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة، والتارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلا في مضرة، ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى، ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى، فزد أيها المستمع في شكرك، وقصر من عجلتك، وقف عند منتهى رزقك. انتهى.

قوله (كل في كتاب مبين) التنوين في (كل) يسمى تنوين عوض، أي: كل رزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين. ولفظ الكتابة مصدر يدل على الثبات والتوثيق ونفي التغيير، فلا يزيد الرزق ولا ينقص ولا يتغير، بل يصل كما هو مقدر له في كتاب مبين ويعني علم الله الثابت الذي به تقدر الأقدار والأرزاق للوجود، وصفة الإبانة له باعتبار ظهور دلائله، لا باعتبار الاطلاع على غيبه فذلك من مختصاته سبحانه لم يطلع عليها أحدا.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ ﴾

قوله (وهو الذي خلق السماوات والأرض) الآية في بيان كمال قدرة الله تعالى أخبر عنه بأشد التأكيدات فابتدأ بقصرين ضمير الفصل وأل سام الموصول، ولفظ الخلق الايجاد والابتداء، أي: لم يكن موجودا فأوجد.

والسماوات جمع سماء، وسماء كل شيء أعلاه، وتطلق في القرآن بصيغة الجمع ويراد بها نظام الكون الممتد من الأجرام المحيطة بالأرض من التي تبدو نقاطا مضيئة في الظلام، وغيرها من ملايين الكواكب السابحة في الفضاء التي يفوق الوصول إليها أعمار الإنسان لأنها تحسب بالملايين الضوئية، وترد معها الأرض بصيغة المفرد دائما في دلالة على نوع من التأثر والتأثير بين المفردتين في نظام خلقهما، أما المراد بقوله تعالى ـ والله العالم ـ (الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن) [الطلاق ١٢]، فقد يكون سبع طبقات من الأرض.

قوله (في ستة أيام) لفظ اليوم يعني برهة من الزمان، وليس يوما أرضيا، وكان أصل السماوات والأرض رتقا واحدا ومجموعا متراكما من الدخان متصل الأجزاء قبل الانفجار الكوني الذي أسفر عن فتق الأجرام بعضها عن بعض، ففصلت السماء وقضيت سبع سماوات بيومين ـ ببرهتين من الزمن ـ وفي يومين آخرين انفصلت الأرض، ويبقى يومان لغير ذلك، قال تعالى (خلق الأرض في يومين) و(وقدر أقواتها في أربعة أيام) [فصلت ٩ـ١٠]، فذكر الستة أيام يراد به حقيقة التدرج في تولد شيء من شيء.

قوله (وكان عرشه على الماء) الجملة حالية، ولفظ العرش كناية عن الملك، أي: كان ملكه الظاهر المستقر يوم خلق السماوات والأرض على الماء، الذي هو أصل الحياة.

قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) اللام للتعليل، والابتلاء هو الاختبار، و(أيكم) استفهام يراد به البيان، والمعنى: أن الابتلاء أمر مقصود لغيره، يراد منه الجزاء، ثوابا أو عقابا لعالم أبدي خالد وعد الله به، بمعنى أعم: خلقت السماوات والأرض لأفضل إنسان خلقه الله بدلالة أحسن ما يصدر منه من عمل، وعلى هذا يستبين معنى الحديث القدسي في خطابه تعالى لنبيه: لولاك لما خلقت الأفلاك. ذكر في البحار. انتهى. فإنه أفضل الخلق.

قوله (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت) اللام المشعرة بالقسم المقترنة بالشرط وجوابه يفيد معنى شدة إنكار المشركين لمعاد الخلائق وبعثهم من القبور، والخطاب في فعل القول موجه إلى الرسول ﷺ، والقول مؤكد بحرف النسخ قطع عن الذي قبله لأنه مقول القول، والخطاب فيه لعموم المشركين، والمراد بالبعث نشرهم من قبورهم يوم القيامة للوقوف بين يدي ربهم للحساب.

قوله (ليقولن الذين كفروا) اللام المقترن بفعل القول واقع في جواب القسم، والجملة لجواب القسم والشرط، والإتيان بجملة الموصول لبيان علة إنكار الإيمان بالقرآن.

قوله (إن هذا إلا سحر مبين) مقول قول الكافرين افتراء منهم على آيات القرآن، لأن ظاهر معنى (قلت) تلاوة الرسول ﷺ عليهم آيات فيها معنى معادهم ونشرهم من القبور وعذابهم، والمراد من قول النبي ﷺ ورد الكافرين حكاية الحال وليس الحكاية عن قول النبي أو الكافرين، والحرف

(إن) بمعنى (ما) النافية، والاستثناء مفرغ يراد به قصر السحر على القرآن مبالغة في تصوير إنكار الكافرين للقرآن، والسحر المبين الإيهام الخادع الظاهر للعيان، وقد كان الكافرون يصفون به القرآن لشدة استمالة القلوب والأسماع إليه حين تلاوته.

قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾

قوله (ولئن أخرنا عنهم العذاب) الجملة معطوفة على الآية السابقة، واللام المقترنة بـ (إن) الشرطية موطئة للقسم، والمقصود بالعذاب ـ بحسب السياق ـ ما يتوعدهم الرسول بالعذاب الدنيوي لأن الآيات في أوائل البعثة النبوية في مكة.

قوله (إلى أمة معدودة) في معنى الأمة معنيان: الأول: يعني المدة لأنها تتضمن الأمد الذي تكون فيه الجماعة والجيل، والثاني: يعني الجماعة، وكلاهما وجيهان، ولفظة (معدودة) إطلاق لفظ العد والحساب يراد به التقليل لما يؤجل ويؤخر، لأن الشيء القليل يمكن ضبط عدده، فهي ليست مديدة، وعكس معناها يقال: بغير حساب كما جاءت في كثير من آيات الكتاب.

وقال صاحب المجمع: إن الأمة المعدودة هم أصحاب المهدي ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا كعدة أهل بدر يجتمعون ساعة واحدة كما يجتمع قزع الخريف قال: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. انتهى.

قوله (ليقولن ما يحبسه) اللام واقعة في جواب القسم الذي سد مسد جواب الشرط، والحبس هو المنع، أي: ما يحبس العذاب الذي تتوعدنا به؟ فالاستفهام استهزاء منهم وخفة عقل، لأنهم اعتقدوا تأخره عنهم عجزا.

قوله (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) أداة التنبيه (ألا) وما بعدها رد على قولهم، لذلك فصلت الجملة عما قبلها، فتوعدهم الله بتأكيد قوع العذاب فيهم فقدم ظرفه (يوم)، وأخبر بنفي صرفه عنهم بأنه ثابت قدره لا يتغير ولا يحول عنهم، ولكنه مؤجل، والمصروف المتحول إلى جهة أخرى، وتعديته بحرف التجاوز لتضمنه معنى الإبعاد.

قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) الجملة حالية، ولفظ الحوق الإحاطة بهم وقت حلول العذاب بهم فلا مخلص منه، واستعمل المضي لحتمية وقوعه في الدنيا، وقد كان قتل عتاتهم يوم بدر، والباء في (به) تفيد السبب، وضمير الغائب عائد إلى العذاب، بمعنى جعل الاستهزاء سببا لعذابهم.

والآية والتي قبلها تظهر عجز حيلة المشركين أمام الرسول ﷺ، فإذا ما حاججهم بالبعث وخوفهم المعاد وسموا كلامه بالسحر، وإذا أنذرهم بالعذاب من الشرك استبطأوه واستخفوا به.

قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ ﴾

قوله (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة) الكلام يظهر الطبيعة النفسية للكافرين وجحدهم للنعماء، ولفظ الإذاقة ـ هنا ـ استعارة لما يتذوق شيئا محبوبا يذهب طعمه سريعا، وتعريف الإنسان وإن أريد به العموم غير أنه ليس ببعيد عن سياق صفة مشركي مكة، فقد قيل: إنها نزلت في الوليد بن المغيرة، و(منا) تفيد الابتداء والتعظيم، والرحمة كناية عن النعمة في الدنيا كالصحة والأمن والدعة، وتنكيرها لإفادة النوعية.

قوله (ثم نزعناها منه) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، ولفظ النزع استعارة في سلب النعمة على جهة الافتكاك، وعديت بـ : من، وليس: عن، تجريد للمجاز.

قوله (إنه ليئوس كفور) اللام واقعة في جواب القسم الذي سد مسد جواب الشرط، واليؤوس الكفور مبالغة في كثرة اليأس والجحد، والإخبار بالجملة الإسمية وأدوات توكيدها (إن) واللام الواقعة في خبرها لغرض تحقيق

مضمونها وأنها حقيقة ثابتة لهم لا مبالغة فيها، والمراد: أن اليأس والكفران خلق في سجايا الناس.

قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) عطف وقسم وشرط، واستعمل فعل التذوق للنعمة والمس للضرر للمناسبة البلاغية بينهما، واستعمل المطابقة بين النعماء والضراء لما لهما من وقع لافت في الأسماع، الآية تقابل التي مضت في المعنى والمبنى.

قوله (ليقولن ذهب السيئات عنى) اللام واقعة في جواب القسم الذي أقيم مقام الجزاء، والقول حكاية عن إعجاب الكافر بنفسه غرورا وازدهاء وتبجحا، فهو لا يعتقد بشكر الخالق وأن النعماء منه تعالى بل عدها استحقاقا له، فبدلا من ان يقول الحمد لله، قال: متبجحا ذهبت المصائب عني، وتعريف السيئات بمعنى كل ما يسوء في الدنيا.

قوله (إنه لفرح فخور) الفصل للتعليل لقوله السابق، والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة بـ (إن) واللام الواقعة في خبرها تحقيق لمعنى كثرة خيلائهم وافتخارهم على غيرهم بأنفسهم، والفرح هو الأشر البطر، والفخور المتعاظم على الناس بما أصابه من النعماء.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ ﴾

قوله (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) لما تقدم ذكر لفظ الإنسان احترس باستثناء المؤمنين مما ذكر من تعميم، واستعمل (صبروا) للمؤمنين دون (آمنوا) لأن الصبر مستلزم من صفة الإيمان، وقرن مع الصبر فعل العمل فيما يصلح النفس والغير، فكأنها بذلك تومئ بمقابلتها بصفات الكافرين في قوله تعالى (إنه ليؤوس كفور).

قوله (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) الفصل استئناف ابتدائي، واسم الإشارة للتمييز والإيجاز والتعظيم، والإخبار بالجملة الإسمية وتقديم المتعلق (لهم) لإفادة معنى استحقاقهم المغفرة والأجر، وصفة الكبر كناية عن كثرة الأجر.

قوله تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ ﴾

قوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) الفاء للتفريع، ولعل تفيد الترجي، والخطاب للنبي ﷺ، و(ما يوحى) إشارة إلى آيات القرآن، والإتيان بجملة الموصول لتعظيم القرآن فإنه هو الذي يوحى إلى الرسول ﷺ.

قوله (وضائق به صدرك) لفظ الضيق كناية عما بالقلب من ألم. واستعمل بصيغة اسم الفاعل بدلا من الصفة المشبهة (ضيق) لأنه أخف في دلالة التمكن منها، ولمراعاة النظير مع (تارك).

قوله (أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) الجملة المؤولة من (أن) وفعلها مفسرة لما تقدم. وقد كان مشركو مكة معرضين عن الرسول ﷺ والدلائل الواضحة من آيات القرآن إعراضا شديدا، فكانوا من أجل إبطال معجزته يقترحون عليه اقتراحات تعجيزية غرضهم منها تخليه عن القرآن، كأن ينزل عليه كنز أو يجيء معه ملك من غير جنس البشر. فكان هذا الأسلوب القرآني موجها لهم بطريق نبيه تمهيدا لتهديدهم بالقول الأخير في الآية.

وعلى هذا فليس ما ورد من توجيه الخطاب إلى الرسول مقصودا به الرسول، وإنما هو أسلوب في خطاب المشركين أريد به التلويح لا التصعيد في هذه المرحلة المبكرة من دعوة التوحيد.

قوله (إنما أنت نذير) الفصل لتعليل التحذير من تركه بعض ما يوحى إليه وضيق صدره من مقالهم، فقصر قصرا إضافيا معنى الإنذار به، والمراد: أنت نذير بتبليغهم لا وكيل على إيمانهم، وفي الإخبار تعريض بالمشركين وتأييس من اقتراحهم، فلفظ التنذير دون استعمال التبشير معها مناسب للغرض في تهديدهم وإيعادهم.

قوله (والله على كل شيء وكيل) الجملة معطوفة على ما قبلها، فالآية لما قصرت التبليغ بإنذار المشركين على الرسول، أثبت صفة الوكيل لله تعالى، تخفيفا عن رسوله وتهديدا للمشركين.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ ﴾

قوله (أم يقولون افتراه) بل مقطوعة عما قبلها بمعنى (بل)، ويمكن أن تكون متصلة باعتبار تضمن جملة (لعلك تارك بعض) معنى الاستفهام، ولفظ الافتراء مبالغة في التكذيب بأن القرآن من عند محمد ﷺ وليس غيبيا، والذين قالوا بذلك هم مشركو مكة، يحاولون تفريق الناس عن اتباعه بادعاء نفي القدسية عنه، والهاء في فعل الافتراء عائد على القرآن.

وقوله (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) أمر القول جواب لكلامهم، وهو تنزل منطقي ومجاراة لقولهم في أن الكتاب بشري، قيده بقيدين: أن تكون عددها عشرة على سبيل الكثرة، وأن تكون بمثل سور القرآن من نظمه ومعانيه، وما تتضمن من مقاصد إلهية، وأخبار غيبية، وأحكام شرعية، وشريعة أخلاقية، واختصاص كل سورة بمقصد قرآني معين، دون أن تتعارض سورة بأخرى في مقاصدها وأحكامها وأخبارها، على كثرتها وطولها أحيانا. والقرآن تحداهم مرة بالقلة ومرة بالكثرة ولا تنافي في ذلك.

وقوله (مفتريات) أي: مكذوبات ـ كما تزعمون على القرآن ـ بشرية منكم أو من آلهتكم، تهكم بهم مع لحاظ ذلك القيد من المستوى الإعجازي وكمال المعاني.

قوله (وادعوا من استطعتم من دون الله) الأمر للتعجيز، وفعل الاستطاعة مبالغة في طلب العون، والمقصود طلب العون من أصنامهم التي يعبدونها من دون الله، لأن الإله يفترض منه الخوارق، فإن كان عاجزا عن الرد فمن باب أولى عجز من هو دونه، لذلك، الكلام كناية عن عجزهم جميعا في مجاراة إعجاز القرآن.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط تعليق على صدق دعواهم بافتراء القرآن.

قوله تعالى ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) الفاء للتفريع عن (وادعوا من استطعتم)، ولفظ الاستجابة مجاز مرسل فقد ذكر السبب وأراد النتيجة وهي المعاونة، والمراد المبالغة في نفي إجابة الأصنام للمشركين ومساعدتهم بحسب السياق في قوله (وادعوا من استطعتم)، لأن الكلام ما يزال تلقينا من الله لنبيه في أمر القول، وإن كان بعضهم يرى أنه خطاب للنبي ﷺ أورده بضمير الجمع تعظيما له.

وفعل الأمر بالإعلام (فاعلموا) للتنبيه على أمر قد فات، والاهتمام بما هو آت، لذلك وقع القطع والابتداء في الإخبار في (أنما أنزل بعلم الله) أي: القرآن نزوله بتأييد وعلم من غيب الله الذي لم يطلع عليه أحدا. والكلام نتيجة أولى من عجز معارضة القرآن.

قوله (وأن لا إله إلا هو) نتيجة ثانية يترشح عنها إثبات التوحيد لله، والجملة أسلوب تأكيد يفيد قصر الألوهية عليه سبحانه، وفي ذلك مزيد تعظيم لآيات الله وكتابه.

قوله (فهل أنتم مسلمون) الفاء للتفريع، والاستفهام مجاز يراد به الأمر، مثل قوله تعالى (فهل أنتم منتهون) [المائدة ٩١]، والجملة الإسمية تدل على ثبوت معنى الفعل وتمكنه من النفوس المسلمة الموقنة بالكتاب العزيز.

قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها) الشرط للتعميم متضمن معنى التهديد والوعيد لهم، وفعل الإرادة فيه دلالة العناية والاهتمام والقصد ولذلك ناسب اقترانه بالحياة الدنيا، بمعنى أحبها وقصدها وبنى في عمله على أنها الحياة الأبدية ولا حياة بعدها من معاد وآخرة، ومعنى التوفية الرد بالتمام من دون نقصان، وتعديتها بالحرف (إلى) لتضمنها معنى الوصول والتبليغ، والمراد مجازاتهم على أعمالهم في

حياتهم الدنيا، والمعنى في الوعيد ظاهر وتحقق فعله، فأكثر عتاتهم قتلوا وأذلوا، ولا يخلو عموم الكلام من تنبيه للمسلمين وتحذير.

وذكر السيوطي في الدر المنثور: أخرج البيهقي في الشعب عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله خالصا، وفرقة يعبدون الله رياء، وفرقة يعبدون الله يصيبون به دنيا فيقول للذي كان يعبد الله للدنيا: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ فيقول: الدنيا فيقول: لا جرم لا ينفعك ما جمعت ولا ترجع إليه انطلقوا به إلى النار، ويقول للذي يعبد الله رياء: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال: الرياء فيقول: إنما كانت عبادتك التي كنت ترائي بها لا يصعد إلي منها شيء ولا ينفعك اليوم انطلقوا به إلى النار، ويقول للذي كان يعبد الله خالصا: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ فيقول: بعزتك وجلالك لأنت أعلم به مني كنت أعبدك لوجهك ولدارك قال: صدق عبدي انطلقوا به إلى الجنة. انتهى.

قوله (وهم فيها لا يبخسون) الواو للحال، وتقديم الضمير المنفصل للاهتمام لأنهم محل الكلام، وضمير الغائب في (فيها) عائد إلى الحياة الدنيا، والبخس النقصان والظلم، والمعنى: أنهم يجازون بقدر ما عملوا في حال خال من الظلم والنقص، والإخبار متضمن معنى الإمهال والتهديد.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾

قوله (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) لفظ الإشارة لتمييزهم، والإخبار تأييس شديد لهم، فمعنى (لهم) نفي أي حق لهم سوى استحقاقهم النار، بمعنى خلودهم فيها، والآية تفسير لما تقدم.

قوله (وحبط ما صنعوا فيها) الواو عاطفة، والحبوط السقوط والبطلان، أي كل ما عملوا في الدنيا هباء لا قيمة له، والضمير في (فيها) إذا عاد إلى الدنيا يكون متعلقا بـ (صنعوا)، وإذا عاد إلى الآخرة فسيتعلق بفعل البطلان.

قوله (وباطل ما كانوا يعملون) الجملة معطوفة على التي قبلها، والبطلان بمعنى ذهاب قيمة الشيء لعدم أحقيته، والمعنى تعريض بعبادتهم الأصنام من دون الله.

قوله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ ﴾

قوله (أفمن كان على بينة من ربه) الفاء للتفريع على معنى إنزال القرآن منه سبحانه، والاستفهام مجاز للإنكار تقدم على (من) الشرطية لصدارته في الكلام، وجواب الشرط محذوف تقديره ما دل عليه الكلام، أي: أفمن كان على بينة من ربه وبصيرة كغيره في كذلك، وتستعمل (من) للعقلاء، وحرف الجر (على) يفيد التمكن من البينة، ولفظ البينة تعني المحجة الواضحة وإسناد مصدرها إلى الله بدلالة (من) الابتدائية يعطيها منزلة عالية فهي بينة خاصة وبصيرة إلهية، فعلى هذا يبدو أن المشار إليه بهذه المواصفات ذو منزلة عالية عند الله.

وقد اختلف كثيرا في تفسير المشار إليه كما اختلف كثيرا في تفسير هذه الآية بدءا من تفريعها وانتهاء بعود الضمائر فيها، وأكثرها منطقية أن يكون المشار إليه هو النبي ﷺ ومن آمن به، وأن البينة بمعنى البصيرة الإلهية.

وقوله (ويتلوه شاهد منه) معنى يتلو: يلي، أي: يتبعه من يشهد بصحته منه، وهو مستعار للتأييد والاقتداء، ولفظ الشهادة تعني الحضور والعلم للتأييد، وتنكير اللفظ للتعظيم، وتفيد (من) في (منه) الجنس والسنخ والنوع، أي: من نفسه، وضمير الغائب فيها عائد إلى ضمير العاقل في (من) الشرطية.

والذي يتأيد بحسب السياق والروايات المعتبرة أن الشاهد هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو المروي عن الباقر والرضا عليهما السلام، ورواه الطبري بإسناده عن جابر بن عبد الله، عن علي عليه السلام.

قوله (ومن قبله) ضمير الغائب بحسب السياق راجع إلى المشار في (من) وإلى فاعل (يتلو).

قوله (كتاب موسى إماما ورحمة) أي: كتاب التوراة يتلوه ويشهد للنبي ﷺ بالتصديق، لأن موسى عليه السلام بشر بمحمد ﷺ إماما يؤتم به في الشريعة الحقة والمعارف الإلهية، ورحمة للعالمين، فهو النعمة الكبرى من الله تعالى لعباده، وقد جاء هذا الوصف للنبي في قوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) [الأحقاف ١٢].

قوله (أولئك يؤمنون به) لفظ الإشارة لتمييز الذين هم على بينة، والضمير في (به) راجع إلى القرآن.

قوله (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) أي: من يكفر بالقرآن لأن الكلام عنه، والذين من الأحزاب هم مشركو قريش والمتحزبون معهم ضد النبي ﷺ من اليهود والنصارى، وفي الأثر: إن النبي ﷺ قال: من سمع بي من أمتي، أو يهودي أو نصراني، ثم لم يؤمن بي، دخل النار. ذكر في مسند ابن حنبل وغيره. انتهى.

قوله (فلا تك في مرية منه) الفاء للتفريع على صدر الآية، ولفظ المرية بزنة الفِعلة معناه النوع من الشك، والخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره على عادة الطريقة القرآنية، بمعنى نفي المرية من إنزاله من الغيب.

قوله (إنه الحق من ربك) الفصل لأنه تعليل للنهي السابق، والضمير في (إنه) عائد إلى القرآن، والإخبار بالجملة الإسمية والقصر بأل التعريف لثبوت معنى أحقية القرآن وصدوره من الحق.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) الواو عاطف، والاستدراك على ما سبق، لبيان جهل أغلب الناس، والمراد بلفظ الإيمان التصديق ولهذا لم يأت بمتعلقه.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾

قوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) الآية في مقام الرد على المشركين الذين ادعوا أن القرآن افتراء مكذوب على الله، فرد الله عليهم فريتهم، بالأسلوب الحكيم، وفي ذلك تطييب لقلب نبيه.

والكلام معطوف على ما قبله، والاستفهام مجاز غايته النفي، أي: لا أحد أظلم ممن يكذب على الله، والتكذيب على الله يكون إما بادعاء نسبة ما ليس لله لله، أو بعدم التصديق ما لله تعالى، وكلاهما يصدق عليهما زيادة الكذب وهو الافتراء.

قوله (أولئك يعرضون على ربهم) لفظ الإشارة لتمييزهم، والإخبار بفعل العرض يقصد به وقوفهم يوم المحشر بين يدي ربهم ليس بينهم وبين ربهم حائل لسؤالهم ومحاسبتهم ومجازاتهم، وحرف الجر (على) يفيد استقرار لفظ الوقوف والعرض، وإضافة ضميرهم إلى لفظ الرب حجة عليهم وزيادة في تقريعهم لأن الله مالكهم وخالقهم، ويسمى في موضع آخر بروز منهم لله، قال تعالى (وبرزوا للواحد القهار) [إبراهيم ٤٨].

قوله (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) الأشهاد جمع شاهد أو شهيد، وهم الملائكة الحفظة يشهدون بالحق، وقيل: هم الأنبياء، يؤيده قوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) [النساء ٤١]، وقوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) [ق ٢١]، ولفظ الإشارة (هؤلاء) لتحقيرهم وفضحهم، لا لإثبات جرمهم، وفي الكلام تعريض بالمشركين الذين ادعوا أن القرآن مكذوب على الله.

قوله (ألا لعنة الله على الظالمين) يحتمل أن يكون القول ابتداء خطاب من رب العالمين، ويمكن أن يكون من تتمة قول الأشهاد يؤيده قوله تعالى (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون) [الأعراف ٤٥]، والحرف (ألا) للتنبيه على ما بعده، والإخبار بالجملة الإسمية يفيد دوام اللعن على الظالمين وثبوته، واللعن هو الطرد من رحمة الله، ولا مكان في ذلك اليوم سوى النار لأنها عن غضبه تعالى، ويفيد (على) التمكن والاستعلاء،

وسمى المشركين بالظالمين لأنهم ظلموا أنفسهم وظلموا حق عبودية التوحيد بادعاء الوثنية.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ ﴾

قوله (الذين يصدون عن سبيل الله) الكلام تفسير للظالمين، ولفظ الصد يعني المنع، وسبيل الله كناية عن اتباع التوحيد، وقد عرف عن المشركين جهدهم في منع الناس من اللحاق بعقيدة التوحيد وتعذيب الضعفاء ممن آمنوا بالرسول ﷺ.

قوله (ويبغونها عوجا) أي: ويطلبون لسبيل الله الزيغ عن الاستقامة، ولفظ العوج الميل عن قصد الطريق، كناية عن الميل عن الحق إلى الباطل، باتباع الضلالة دون الهداية، والكفر دون الإيمان، وضمير الهاء في (يبغونها) عائد إلى سبيل الله، لأن السبيل يمكن أن تأتي مؤنثة.

قوله (وهم بالآخرة هم كافرون) الجملة معطوفة، والإخبار بالجملة الإسمية للدلالة على ثبوت معنى الكفر فيهم، وتكرار (هم) لإفادة قصرهم على إنكار البعث والنشور.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ ﴾

قوله (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) لفظ الإشارة للتمييز والإيجاز، والمعنى: نفي كونهم في قوة يمنعون بها أخذهم بالعذاب في الأرض، بل أمر عذابهم مؤجل بمشيئته سبحانه إلى يوم القيامة، والتعريف في الأرض للعهد وهي أرض مكة.

قوله (وما كان لهم من دون الله من أولياء) الواو عاطفة، والجملة نفي لكونهم يملكون الأيد والقوة الخارقة مما يدعون من أصنام، أو نفي أن يكون لهم نصير، و(من) الأولى ابتدائية، و(من) الثانية زائدة لتأكيد نفي العموم.

قوله (يضاعف لهم العذاب) الفصل لوقوع الجملة نتيجة عما تقدم، والمقصود بلفظ المضاعفة التكثير والتغليظ في معنى العذاب يوم القيامة، وزاد تقديم (لهم) من خصوصية مضاعفة العذاب بهم.

قوله (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) القطع للتعليل، ونفي الكون استعمل أكثر من مرة في الآية، بمعنى نفي الاستعداد والشأنية، ونفي السبب، مبالغة في تصوير أحوالهم في عدم استعداد نفوسهم لتقبل الإيمان بالقرآن وبما سمعوا منه وأبصروا من معجزات لأن قلوبهم قاسية لا تسمح

بانسراب هديه إليها، فاستعمال أفعال السمع والبصر من المجاز المرسل بعلاقة السببية، أطلقت وأريد بها نتيجتها وهي اكتساب المعرفة والإدراك بها، وإيرادها بلفظ المضارع لاستحضار الحال، وأن ذلك كان فعلا مستمرا منهم.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (أولئك الذين خسروا أنفسهم) لفظ الإشارة لتمييز حالهم وإيجازها، ولفظ الخسران استعارة للهلاك، فكأنهم باعوا أنفسهم بثمن بخس اشتروا بها الحياة الضالة، في معاملة خاسرة.

قوله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) لفظ الضلال بمعنى الضياع والبطلان، أي ضاعت عبادتهم هباء وبطلت فلا قيمة لها، لأن معبودهم الذي كانوا يفترون به على الله بادعاء الشركة والشفاعة عند الله حجارة صماء لا نفع منها ولا ضرر، فلا تجازيهم بشيء ولا تشفع لهم بحال.

قوله تعالى ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (لا جرم) بمعنى لابد. وأصل الجرم القطع، ومع نفي الجنس تستعمل لما هو مقطوع به.

وقوله (أنهم في الآخرة هم الأخسرون) والإخبار عنهم بمؤكدات المعاني وثباتها بالجملة الإسمية وتقديم المتعلق من الجار والمجرور - في الآخرة - وضمير الشأن - هم - مبالغة في معنى خلودهم في النار، ولفظ الأخسرون اسم تفضيل فاقوا غيرهم في معناه، لأنهم خسروا الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ ﴾

قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الفصل استئناف وابتداء لذكر المؤمنين بعد ذكر المشركين والكافرين لإتمام فائدة الكلام، والجملة الإسمية تعطي معنى التحقيق وثبات المعنى، وفائدة الصلة تفسير للنتيجة.

قوله (واخبتوا إلى ربهم) الواو عاطف، ولفظ الإخبات الإذعان إلى الله والتواضع له، قال الراغب الأصفهاني: الخبت المطمئن من الأرض وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، قال الله تعالى: (وأخبتوا إلى ربهم) وقال تعالى (وبشر المخبتين) أي المتواضعين، نحو: (لا يستكبرون عن عبادته) وقوله تعالى: (فتخبت له قلوبهم) أي تلين وتخشع والإخبات ههنا قريب من الهبوط في قوله تعالى: (وإن منها لما يهبط من خشية الله). انتهى.

قوله (أولئك أصحاب الجنة) الفصل لأنها نتيجة مترشحة عما سبق، ولفظ الإشارة للتمييز والتعظيم باعتبار السياق، ولفظ الصحبة يعني الملازمة.

قوله (هم فيها خالدون) القطع لوقوعها تعليل لتلك الملازمة، والإخبار عنهم بالجملة الإسمية وتقديم المتعلق (فيها) لإفادة دوام حال الخلود في الجنة عليهم.

قوله تعالى ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) الآية جمع بعد تفصيل، أدمجت في لفظ الفريقين الكافرين والمؤمنين، ولم يصرح بهما تعويلا على سياق الآيات واتصالها ببعضها، فبدأ بفريق المشركين وشبهه بالأعمى والبصير، ثم أحال على الفهم فشبه فريق المؤمنين بالبصير والسميع، فطابق كل صفة بما يناقضها فجعل الأعمى مقابل البصير والأصم مقابل السميع، على سبيل التشبيه التمثيلي، ووجه الشبه يفهم من مقابلة الأجزاء المتناقضة، وهي تحصيل الهداية والمعرفة.

قوله (هل يستويان مثلا) نتيجة من ضرب المثل، والاستفهام لنفي استواء الطرفين في المثل، والاستواء التساوي، ونصب لفظ المثل على التمييز.

قوله (أفلا تذكرون) الاستفهام يفيد الإنكار والتوبيخ، والفاء لتفريع النفي على الاستفهام، والتذكر حضور المعلومة في الذهن، ونفيها قرين الجهل.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

الآية وما بعدها شروع في البدء بقصص الأمم المكذبة لأنبيائهم، تطييبا لنفس الرسول ﷺ، فبدأت بذكر أول أمة في الأرض وهي أمة نوح مفصلة الكلام في أحواله إلى الآية التاسعة والأربعين.

قوله (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) الواو ابتداء واستئناف، والمؤكدات في (لقد) من لام القسم وحرف التحقيق لأن المخاطبين لغفلتهم بمنزلة المنكر، وأصل فعل الرسالة الانبعاث وإسناد الفعل إلى ضمير الجمع العائد على لفظ الجلالة للتعظيم، ونوح هو حفيد النبي إدريس ـ أول نبي بعد آدم ـ وقد مر تفصيله فيما تقدم.

والظرف في قوله (إلى قومه) أضاف القوم إلى ضمير نوح، فتسموا باسمه، لأنهم أول أمة على الأرض، ليس لها اسم بعد.

قوله (إني لكم نذير مبين) في الكلام حذف تقديره: فقال لهم: إني لكم نذير مبين، استعمل في إخبارهم الجملة الإسمية المؤكدة بـ (إن) وقدم المتعلق (لكم) لإفادة تحقيق المعنى، وإنما ذكر الإنذار من أجل التخويف لأنهم قوم عاصون يعبدون الأصنام، فكان ذلك أجدى بالردع، ووصف نفسه بلفظ الإبانة لظهور معجزاته ووضوحها.

قوله تعالى ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ ﴾

قوله (أن لا تعبدوا إلا الله) جملة تفسير لما سبق، وهي غرض دعوته ونبوته إلى التوحيد ونبذ عبادة غير الله، فجاء بدعوته بأسلوب الحصر لإفادة التأكيد بقصر العبادة على الله وحده.

قوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) فصل الجملة لتعليل النهي السابق، والإخبار المؤكد متضمن معنى تهديدهم من يوم القيامة، ووصفه بالأليم مبالغة وأراد مؤلم، وأورد خوفه عليهم بالفعل المضارع للدلالة على تجدده واستمراره حرصا عليهم.

قوله تعالى ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (فقال الملاء الذين كفروا من قومه) وهم الأشراف الذين يقفون بوجه الإصلاح في كل عصر، وسموا بالملأ لأنهم يملؤون العين هيبة أو لأنهم يملؤون المكان لشدة حضورهم، وهم قلة بدليل (من) التي تفيد التبعيض، ولكنهم رؤوس مؤثرون في الأتباع.

قوله (ما نراك إلا بشرا مثلنا) احتجاج على دعوة نوح، ومغالطة، كأنهم يرون أن البشر أقل من أن يكون مرسلا من الغيب، لمقايساتهم الفاسدة وشدة ارتباطهم بعالم الحس والمادة، لذلك يزعمون أن الملك من غير سنخ

البشر أولى بالكمال، مع أن كل نبي مؤيد بالمعجزات الخارقة للعادة والناموس.

وأوردوا كلامهم بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء لتأكيد معنى إنكارهم، ولفظ الرؤية يقصد به الرؤية البصرية، ولفظ البشر يطلق ويراد به الضعف باعتبار أنه مخلوق من طين، ولذلك قيدوه بـ (مثلنا) كأنهم أرادوا مقايسته بأنفسهم على أساس الحس من الطول والجمال لا الكمال النفسي الذي يتفاوت به البشر عن ذوي العقل، فلما رأوا أن نوحا لا يختلف عنهم في الحس والظاهر أنكروا عليه سيادته عليهم، وهو لا شك استدلال بساذج.

قوله (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) احتجاج آخر على نوح في رد دعوته، تكبرا منهم واستعلاء، بنوا فيه على أساس فهمهم المادي نفسه في الحكم على الناس، فهم عدوا ايمان المستضعفين به دليلا على نفي النبوة، إذ لا سيادة إلا لأشراف القوم وأقويائهم.

ولفظ الاتباع مجاز مرسل أطلق السبب وأراد المسبب منه وهو التأييد والإيمان، والأراذل جمع رذيل يراد بهم ضعفة الناس، قال الراغب: الرذل والرذال المرغوب عنه لرداءته. انتهى.

قوله (بادي الرأي) البادي مشتق من الفعل بدا، وبادي الرأي بمعنى: أول الرأي، من إضافة الصفة إلى الموصوف، وأرادوا أنهم اتبعوك لمجرد عرض الفكرة عليهم من غير روية وتدبر، ولو تفكروا لما آمنوا بك.

قوله (وما نرى لكم علينا من فضل) الواو عاطف، ولفظ الرؤية يراد بها رؤية العقل، واللام في (لكم) بمعنى نفي الاستحقاق والملكية، وضمير الجمع عدول في الكلام من خطاب المفرد إلى الجمع، لأنهم جمعوا نوحا ومن آمن به في الخطاب، و(من) زائدة لتأكيد نفي عموم الفضل، وتقديم المتعلقات للاهتمام، وأرادوا بالفضل عمومه ومطلق معناه بدلالة تنكيره من الشرف والسيادة والمال ومن التأييد والقوى الغيبية.

قوله (بل نظنكم كاذبين) تفيد (بل) الإضراب عن الكلام السابق، لتأكيد ما بعده، وفعل الظن مستعمل في معنى العلم، وأطلقوا عليهم جميعا صفة الكذب، نوح لادعائه النبوة كما يزعمون، وأتباعه لإيمانهم به، والمعنى: ليس لديكم من المزايا المادية ما يوجب علينا اتباعكم، بل العكس نظنكم كاذبين، لأنكم تريدون سلب ما عندنا من أسباب القوة والاستعلاء علينا وجعلنا أتباعا لكم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (قال يا قوم) الكلام احتجاج من نوح على قومه بأسلوب رفيق، ابتدأ محاجته بنداء قومه على نحو الاستعطاف وتليين القلوب.

قوله (أرأيتم) الهمزة استفهام يراد به التقرير، وفعل الإراءة من رؤية الاعتقاد لا الرؤية البصرية بمعنى: أعلمتم.

قوله (إن كنت على بينة من ربي) أي: إن كنت ذا برهان واضح ومعجزة خارقة للعادة، مما بصرني به ربي.

قوله (وآتاني رحمة من عنده) أي: وبعثني بالنبوة والعلم، سمى بعثته بالنبوة بالرحمة، لأنها رحمة للناس بهدايتهم من الضلالة إلى الإيمان، والظرف (من عنده) تأكيد بالصدور والابتداء وتعظيم للرحمة.

قوله (فعميت عليكم) الفاء للتعقيب، ولفظ العمى استعارة للخفاء لعدم النظر والتأمل، لذلك عديت بـ (على) الدالة على التمكن والاستعلاء، وتاء التأنيث فيها راجع إلى الرحمة وليس البينة لأنها أعم من البينة.

قوله (أنلزمكموها) الاستفهام يراد به الإنكار، ومعنى الإلزام الإجبار والإكراه، وفي الجملة فعل وفاعل ومفعولين: الأول: واو الجماعة للمخاطبين وهم قوم نوح، وضير الغائب الهاء، وهي الرحمة، وإنما أورد فعل الإلزام بضمير الفاعل الجمعي، مشيرا به إلى نفسه وأتباعه، تنويها بشأنهم، بقصد الرد على قومه الذين انتقصوا منهم.

ومراد الكلام: إن كان ربي قد هداني وبعثني لكم بالنبوة والرحمة فهل علينا أن نكرهكم على الإيمان بها، وإنما قال ذلك نوح لأنهم اتهموه وأتباعه بالكذب وأنهم لم يروا لهم فضلا عليهم، فكأن نوحا قابل كلامهم بضده فهم لما بادروا إلى إنكار رؤية فضل له قبل التروي جاء بلفظ (عميت) ردا عليهم، ومن هنا يتضح أن قول نوح ـ عليه السلام ـ هذا رد على احتجاجهم الأول بأنهم لا يرونه إلا بشرا مثلهم.

وجملة (أنلزمكوها) سدت مسد مفعولي (أرأيتم) لأن الفعل علق عن العمل بدخول همزة الاستفهام، وجواب الشرط محذوف دل عليه فعل (أرأيتم) وما سد مسد مفعوليه، كما ذكر ذلك المفسرون.

قوله (وأنتم لها كارهون) الجملة حالية، وإتيانها بالجملة الإسمية وتقديم المتعلق للدلالة على تحقق الكراهة في نفوسهم من الإيمان بنوح، أي: إن جوهر العقائد شاء لها الله أن تكون باختيار لا بإجبار حتى يصح معها مبدأ العدل من الثواب والعقاب، والحال أن قوم نوح أرادوا منه نوع إجبار بدعواهم أنه بشر مثلهم، وكون أن يأتيهم ملك يعني أنهم مأخوذون قهرا بالإيمان بالله، ولذلك أشار نوح برده أنه ألزمت الحجة عليهم وأن لا سبيل إلى إلزامهم بالإيمان بالله من دون تأمل منهم واختيار.

قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ ﴾

قوله (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا) الكلام رد من نوح عليه السلام على اتهام قومه له بأنه من الكاذبين وأنه يريد أن يستعلي عليهم، وتكرار النداء لإفادة الشفقة والتليين، وإشعارهم بانه منهم،

قوله (إن أجري إلا على الله) نفي أخذ الأجر منهم لأن دعوته بتوحيد الله رحمة منه تعالى لهم، وأن أجره عليه دون سواه، وهو أجر ثواب، لا عين مادة كما يتصورون، فالأسلوب احتراس، لأنه لما نفى أخذ الأجر بالمعنى

الذي تصوره قومه من المال احترس من ذلك النفي، فأكد أن أجره شيء آخر غير ما يعنونه، وهو الثواب والجزاء من الله تعالى.

وقوله (وما أنا بطارد الذين آمنوا) النفي المشدد منه رد على زعمهم باتباع الأراذل له، لأنهم عدوا مخالطتهم في حال الإيمان به نقصا من شأنهم علوا منهم واستكبارا، لذلك وصف أتباعه بصفة الإيمان فقال (الذين آمنوا)، ولفظ الطرد هو الإبعاد، والباء المقترنة به زيادة في تأكيد نفي الطرد.

قوله (إنهم ملاقوا ربهم) الفصل لتعليل النفي السابق، والمراد من الإخبار إثبات المعاد الذي ينكره قومه الوثنيون، ففيه المجازاة على من يظلم ويعدل ويطرد.

قوله (ولكني أراكم قوما تجهلون) تفيد (لكن) معنى الاستدراك على معنى ما مضى، وإثبات معنى ما بعده، وهو ثبات الجهل في نفوسهم حتى كأنه صفة لازمة لهم، بدلالة الإتيان بلفظ القوم ووصفها بفعل الجهل.

قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ ﴾

قوله (وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم) الكلام تعليل آخر لنفي طرد المؤمنين به بأسلوب ترقيق النداء لقومه، وتفيد (من) الاستفهام الإنكاري، أي: لا أحد ينجيه إذا غضب الله عليه، فلا قبل لأحد بذلك، ويدل على عمق

معرفة بالله، أراد بذلك إيصالها إلى قومه، لأن تعظيم فعل طرد المؤمنين ليس أشد من شركهم بالله.

قوله (أفلا تذكرون) الاستفهام للإنكار، والفاء للتفريع، والمعنى: أفلا تتذكرون، ويكون ذلك المعنى حاضرا في أذهانكم، فلا تجهلون.

قوله تعالى ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ ﴾

قوله (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب) الكلام تأكيد جمع به ما فصل مما سبق، وكثرة النفي لإثبات كون نوح عليه السلام بشرا مرسلا من الله بالنبوة، لا يملك أكثر من مهمة التبليغ، فمما ذكر من خزائن الله وغيبه ليس لأحد أن يدعيها لأنها من مختصاته سبحانه. والخزائن جمع خزينة وهي استعارة لما تتقوم بها المخلوقات من فيض وجودها ورزقها، وكلامه رد على قولهم (وما نرى لكم من فضل)، لأنهم يدعون أن المرسل يملك أسباب التصرف في الأرض والسماء، فيحيي ويميت ويملك خزائن الرحمة الإلهية، لذلك أكد نفيها نوح عليه السلام، إبطالا لنظرتهم إلى الرسول بأنه مرتفع عن درجة البشرية.

وإنما قال (لا أعلم الغيب) ولم يقل: ولا أقول إني أعلم الغيب، لأن الغيب مما يضن به، وهو في النفي أوكد لأسماع المخاطبين مما لو قال غير ذلك.

قوله (ولا أقول إني ملك) نفي مؤكد لأن يكون غير بشر، وإنما أكد ذلك لأنهم زعموا أن ليس للبشر أن يبعث نبيا.

قوله (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا) الكلام رد على قولهم (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا)، واسم الموصول كناية عن المؤمنين به، استعمل للإفادة من صلته فهي بمقام العلة للنفي بعده، ولفظ الإزراء الاحتقار والاستهانة، والازدراء افتعال، زيادة في المعنى. ونسبة الفعل إلى أعينهم مجاز عقلي بعلاقة السببية، أسند إلى السبب وهو العين وأراد ما ينتج منه وهو فعلهم وتصرفهم مع المؤمنين، ولفظ الخير معنى عام أراد به ما يعمهم الله من تفضيل وإيمان وهدي فهذه المعاني هي التي يتفاضل بها الناس.

وإنما وقع التفصيل في ذكر المؤمنين المستضعفين لأن المجتمعات المادية الوثنية بنت نفسها على أساس السيد المالك للمسود، والقوي المتصرف في الضعيف، من غير اعتبار لإنسانيته أو اعتقاده، قال صاحب الميزان: كان معتقدهم أن الضعيف في المجتمع إنسان منحط أو حيوان في صورة إنسان إنما يرد داخل المجتمع ويشاركهم في الحياة ليستفيد الشريف من عمله وينتفع من كد يمينه لحياته من غير عكس، بل هو محروم من الكرامة، مطرود عن حظيرة الشرافة آيس من الرحمة والعناية. انتهى.

قوله (الله أعلم بما في أنفسهم) أي: لا سبيل إلى معرفة ما يتحلون به من هدي وإيمان وفضيلة إلا الله سبحانه، وفي هذا تبيان لفساد قياس قوم نوح

في الحكم على الناس بناء على ما يرونه من قوة البدن وسعة الحال وكثرة المال وشرف النوع غير ناظرين إلى الكمالات النفسية والفضائل الروحية التي يتمايز بها البشر في القرب من خالقهم.

قوله (إني إذا لمن الظالمين) الفصل لمقامه التعليل في حال الفعل، أي: في حال منع الخير عن المؤمنين يدخل في زمرة أهل الظلم، وهؤلاء المؤمنون هم المشار إليهم فيما حكاه الله تعالى في كلام أهل الأعراف مخاطبا الطغاة (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) [الأعراف ٤٩].

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ ﴾

قوله (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) كان ردهم جافا مستعليا، لأنهم عدلوا عن الرد على حججه، إلى وصفها فسموا ما ذكر من براهين جدالا، ووسموها بالكثرة وأرادوا بها مللهم من سماعها، والجدال هو الكلام الذي يكون على نحو المغالبة ولا يراد به الوصول إلى الاقتناع، والفاء المقترن بفعل الكثرة لتفريع إخبار على إخبار.

قوله (فأتنا بما تعدنا) الفاء تفريع على تفريع، والأمر في الإتيان بمعنى أوصل لنا، والموصول في (بما تعدنا) أرادوا به التهديد بالعذاب إشارة إلى

تحذيره السابق لهم في قوله تعالى (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم)، وهذا دليل على عجزهم وانغلاق نفوسهم عن الهدي، ويبدو أن هذا الحوار آخر الحوارات التي امتدت لمئات السنين بين نوح وقومه وحاول بها إقناعهم بعقيدة التوحيد.

قوله (إن كنت من الصادقين) الشرط منهم تحد واستكبار في تعجيل العذاب.

قوله تعالى﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قوله (قال إنما يأتيكم به الله) الفصل في أقوال الآيات لتضمنه المحاورات، والضمير في (به) عائد إلى العذاب الذي تعجلوه وهو العذاب الدنيوي، وأخذه فعل الإتيان من كلامهم ثم استعماله بأسلوب سياق قصر القلب بـ (إنما) رد على اقتراحهم بأن ذلك من شأن الله، وليس إليه، لأن إحلال العذاب من شأن الله تعالى.

قوله (إن شاء) التعليق بإتيان العذاب على مشيئته سبحانه لإفادة تنزيه الله سبحانه في أن يشاركه أحد في القرار.

وقوله (وما أنتم بمعجزين) تنزيه آخر لله، عن أن يعجزه أحد أو يقهر أمره مخلوق.

قوله تعالى ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (ولا ينفعكم نصحي) الآية تفسير لمعنى (إن شاء)، أي: إذا قدرت مشيئة الله لهم الإضلال فلا نصح ينفعهم لمنتصح، وتقدير المشيئة يقتضي بحسب الأعمال.

قوله (إن أردت أن أنصح لكم) ولفظ الإرادة للرغبة والاجتهاد والعزم على بذل الوسع في النصح، والتعدية باللام في قوله (أنصح لكم) وليس أنصحكم مبالغة في النصح، والشرطان معلقان وحذف جواب أحدهما لدلالة جواب الآخر عليه.

قوله (إن كان الله يريد أن يغويكم) ولفظ الإغواء والغواية معناه الإضلال، وحاشا لله أن يغوي عباده أو يضلهم على سبيل الابتداء، وإنما الاستعمال للمشاكلة وإرادة المجازاة على غوايتهم لأنفسهم، فالإغواء نتيجة مكتوبة لهم لأعمالهم المعلومة عند الله في غيبه من الإصرار على الشرك والغواية، لهذا أشار إلى ذلك بفعل الإرادة. وفي الكلام تلميح إلى عذابهم بالاستئصال.

قوله (هو ربكم) تعليل لمعنى (يغويكم)، وأراد به حقه ـ سبحانه ـ في ملكه لهم ومعرفته بقابلياتهم النفسية واستعدادهم لتقبل الخير وعدمه، لأن الدنيا محل فتن وابتلاءات يكون الفصل فيها في يوم الحساب يوم ترجع الخلائق إليه، وضمير الفصل للقصر.

قوله (وإليه ترجعون) يفيد حرف الجر انتهاء الغاية، والهاء فيه راجع إلى الله تعالى، وتقديم الظرف على عامله لإفادة قصر رجوعهم إليه سبحانه وحده يوم المعاد، وفي الإخبار تهديد لهم وثبوت لمعنى المعاد.

قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (أم يقولون افتراه) تفيد (أم) الانقطاع بمعنى بل، والكلام عدول من قصة إلى قصة لأن الآية واقعة موقع الاعتراض لتشابه دعوة نوح عليه السلام ودعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، من حيث الاعتقاد الفاسد للناس والتأويلات المستعلية للملأ فيهم الناظرة إلى الحس فحسب.

وضمير الجمع في فعل القول عائد إلى أهل مكة، و(افتراه) أي النبي افترى القرآن على الله كما زعموا.

قوله (قل) تلقين لنبيه وعناية به وتشريف.

قوله (إن افتريته فعلي إجرامي) شرط يراد به المجاراة والاستدراج في إفحام المشركين، وسمى الافتراء إجراما لأنه مستلزم له، فإن كان مفترى منه فهو يتحمل عاقبة جرمه، والإجرام اكتساب الجرم وهو الذنب، وحرف الجر (على) مجاز في التمكن، والمعنى: إن كنت افتريت فعلي لا عليكم إجرامي، كما إن عليكم إجرامكم لا علي، وتحصيل المعنى من وجه آخر الإعراض عن مجادلتهم، لعدم جدواها معهم.

قوله (وأنا برئ مما تجرمون) الواو للعطف على الجزاء، والإخبار متضمن معنى البراءة من جرمهم وهو افتراؤهم عليه بالإجرام باتهامهم بالافتراء على الله.

قوله تعالى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

تعرض الآيات ـ إلى الآية التاسعة والأربعين ـ تتمة قصة نوح مع قومه وإنزال عذاب الطوفان بهم.

قوله (وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) إخبار غيبي من الله تعالى لنبيه، وهو تأييس من هدايتهم بدلالة تأبيد النفي بـ (لن)، وإنذار بالتمهيد لاستئصالهم، وفيه دلالة على أن بعد هذا الخطاب لن يؤمن أحد من قوم نوح. أما من آمن فلم تعن الآية بذكر دوامه على الإيمان أو ثباته.

قوله (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) الفاء لتفريع النهي على الإخبار، ولفظ الابتئاس من البؤس حزن في استكانة، وكان نوح قد مكث في قومه قرابة الألف عام يدعوهم إلى التوحيد ونبذ عبادة الشرك، والنهي منذر بعذاب غير متوقع لهم بسبب إصرارهم على الكفر.

قوله تعالى ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ ﴾

قوله (واصنع الفلك بأعيننا) الجملة معطوفة على ما سبق من النهي. وفعل الصناعة أخص من غيره من أفعال الجوارح كعمل، والفلك هي السفينة يستوي فيها المفرد والجمع، وتعريفها للعهد، ومعنى قوله (بأعيننا) أي بعينينا، والباء للملابسة، وهي مجاز مرسل أطلق السبب وأراد المسبب وهو العناية والرعاية والملاحظة والمراقبة.

قوله (ووحينا) أي بإيحاء وتعليم من الله لنبيه، لأن نوحا عليه السلام أول من صنع السفينة بوحي من الله ولم تكن قبل ذلك يعرفها البشر.

قوله (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) النهي عن الخطاب مخصوص بدلالة الموصول وصلته وليس النهي عن مطلق الخطاب، والمراد ما يطلب من دعاء تخفيف العقاب عنهم أو الشفاعة فيهم. وفي إيراد الصلة علة للنهي، وربما يدخل فيه التلميح إلى ولده، وفي الكلام إيذان ببدء عذاب الاستئصال.

قوله (إنهم مغرقون) فصلت الجملة لوقوعها تعليلا للنهي، وإيرادها بالتوكيد لإنزال المخاطب منزلة المتردد في قبول الحكم، كأنه جواب سؤال لنوح حين سمع ببدء نزول العذاب: ماذا سيكون نوع عذابهم؟ فأجيب: إنهم مغرقون.

قوله تعالى ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ ﴾

قوله (ويصنع الفلك) الواو عاطفة، ولفظ المضارع لاستحضار الحالة وتخييل استمراره بالعمل في صناعته لها. وتعريف الفلك للعهد الحضوري.

قوله (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) الجملة حالية، أي: يمر عليه علية القوم من الكافرين بدعوته وهو بصدد العمل، بمعنى أنه كان يصنع السفينة بمرأى منهم وفي مكان عام. ولفظ السخرية يعني الهزء بالغير والاستنقاص منه، والهاءات في الكلام راجعة كلها إلى نوح، و(من) الأولى تفيد التبعيض، و(من) الثانية في (منه) ابتدائية.

قوله (قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) الفصل على تقدير سؤال سائل: فماذا كان يقول لهم نوح وهم يسخرون منه؟ فقيل: إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون، ولفظ الجمع في فعل السخرية مع أنهم سخروا منه بلفظ المفرد لأن الفعل لا شك شمل المؤمنين به بالضمن فقد كانوا يعملون معه في صنع السفينة، والرد عليهم بالسخرية من نوح عليه السلام جائز على سبيل رد الإساءة إليهم وإن كان في أصل الابتداء بها تقبيح، وهو ما صدر من قومه أولا، وفعل السخرية يكون بالقول، وسبب سخريتهم أن نوحا عليه السلام كان يصنع السفينة في البر، ولم يكن ثمة ماء حينئذ.

قوله تعالى ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩ ﴾

قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) الفاء لتفريع الكلام، والإخبار يراد به التهديد، وتنكير لفظ العذاب لنوعيته، ولفظ الخزي لصفة العذاب لافتضاحه من ينزل بهم، والمراد به عذاب الدنيا وهو الاستئصال لذا وصف بالإخزاء.

قوله (ويحل عليه عذاب مقيم) الجملة معطوفة، والحلول النزول، وحرف الجر (على) لتمكن العذاب واستقراره عليهم، وهو عذاب الآخرة، ولذا وصف بأنه (مقيم) مبالغة من المجاز العقلي والأصل مقام، وفي الكلام مقابلة مع ما قبله.

قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ﴾

قوله (حتى إذا جاء أمرنا) الآية إخبار عن إهلاك قوم نوح، وتفيد (حتى) معنى الابتداء لغاية الصنع، و(إذا) للشرط وجوابها (قلنا احمل)، ومعنى (جاء أمرنا) الكناية عن حكم الفصل بإنزال عقاب الدنيا.

قوله (وفار التنور) الواو للعطف، ولفظ الفور شدة الغليان، والتنور على الأغلب موقد النار المعروف للخبز واصله لفظ أعجمي، وقيل هو عربي من النور بوزن تفعول، وقد جعله الله علامة بدء الطوفان، إذا نبع فيه الماء وارتفع من مكان غير معهود، وقيل مكانه مسجد الكوفة، وهو المروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولذلك عرف بلام العهد، لأنه تنور معهود بعينه، وقيل: مكانه في دار نوح بـ (عين وردة) من أرض الشام، ويحتمل أن يكون كناية عن غضب الله تعالى، كما يقال: حمي الوطيس، وفيه أقوال كثيرة بعيدة عن الفهم.

ذكر في مجمع البيان: وروى المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل قال: كان التنور في بيت عجوز مؤمنة، في دير قبلة ميمنة مسجد الكوفة، قال قلت: فكيف كان بدء خروج الماء من ذلك التنور؟ قال: نعم إن الله أحب أن يري قوم نوح آية، ثم إن الله سبحانه أرسل عليهم المطر يفيض فيضا، وفاض الفرات فيضا، وفاضت العيون كلها فيضا، فغرقهم الله، وأنجى نوحا ومن معه في السفينة، فقلت: فكم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها؟ فقال لبث فيها سبعة أيام بلياليها، فقلت له: إن مسجد الكوفة لقديم، فقال: نعم وهو مصلى الأنبياء، ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أسري به إلى السماء، قال له جبرائيل عليه السلام: يا محمد، هذا مسجد أبيك آدم، ومصلى الأنبياء، فانزل فصل فيه، فنزل فصلى فيه، ثم إن جبرائيل عليه السلام عرج به إلى السماء، وفي رواية أخرى: إن

السفينة استقلت بما فيها، فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوما بلياليها. انتهى.

قوله (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) الجملة موقعها الجواب لـ (إذا) الشرطية، و: قلنا: بمعنى أمرنا نوحا، وضمير الغائب في (فيها) عائد إلى السفينة، و(من) للتبعيض، ولفظ الزوج يطلق على الذكر والأنثى، ولفظ الإثنين مفعول (احمل)، وكان الله تعالى أمر نوحا أن يحمل في السفينة من كل جنس من الحيوان ذكرا وأنثى لاستمرار النوع، فلا يزيد عليها لئلا تضيق السفينة بهم.

ومن هنا يبدو من السياق أن الغرق شمل الأرض كلها، وإلا لماذا يأمره أن يحفظ نوع المخلوقات بحمل ذكرانها وإناثها.

قوله (وأهلك إلا من سبق عليه القول) العطف بمعنى: واحمل أهلك من المؤمنين بك من ولدك وزوجك وقرابتك، والاستثناء لأن منهم من لم يؤمن كزوجته الثانية الخائنة ـ واسمها واعلة ـ التي ذكرت في قوله تعالى: (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) [التحريم ١٠]، وابنه وهو ابنها واسمه كنعان الذي اعتقد نوح أنه غير داخل في المستثنى حتى تبين له الأمر، وهو غير كنعان بن حام جد الكنعانيين، فهؤلاء من سبق عليهم القول والوعد بإهلاكه والإخبار بأنه لا يؤمن، والتعريف للفظ القول يفيد العهد، وتعدية الفعل (سبق) بـ (على) لتضمنها معنى الحكم، وقد يتعدى باللام إذا أفاد معنى

النفع كما في قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) [الصافات ١٧١].

قوله (ومن آمن) الواو للعطف، أي: واحمل المؤمنين بك.

قوله (وما آمن معه إلا قليل) لم يقل: ما آمن به، لأن في دلالة (معه) الإيمان بالله وهو مناسب في مقام إنجاء الله لهم من الغرق، وكذا في قوله: (إلا قليل) دون أن يقال: إلا قليل منهم، بلوغا في استقلالهم أن من آمن كان قليلا في نفسه لا بالقياس إلى القوم فقد كانوا في نهاية القلة. كذا ذكر الطباطبائي. أه. وهو التقاط دلالي دقيق.

والإخبار يفيد بيان إصرار قومه على الكفر واستحقاقهم للعذاب، فالذين آمنوا به ـ على طول المكث فيهم وشدة دعوته لهم إلى التوحيد وما لقي فيها من مشقة وعناء ـ ثمانون على الأكثر، ومهما اختلف في العدد فإن أكثر الحمولة من الحيوان.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ ﴾

قوله (وقال اركبوا فيها) الآية معطوفة على قوله (جاء أمرنا)، والخطاب من نوح لجميع المحمولين في السفينة، ولفظ الركوب مستعمل في الحيوان وفي السفينة، وأصله أن يكون الإنسان على ظهر الحيوان، لذلك قال (فيها)

مجازا للاستقرار، ولم يقل: عليها، التي هي ركوب للحيوان، ويمكن أن تكون (فيها) حالا، بمعنى: اركبوا متبركين باسم الله.

وذكر صاحب المجمع: كان طول السفينة ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وقال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعا، وارتفاعها ثلاثين ذراعا، وبابها في عرضها. وقال ابن عباس: كانت ثلاث طبقات: طبقة للناس، وطبقة للأنعام والدواب، وطبقة للهوام والوحش، وجعل أسفلها للوحوش والسباع والهوام، وأوسطها للدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في الأعلى، مع ما يحتاج إليه من الزاد، وكانت من خشب الساج. انتهى.

قوله (بسم الله مَجراها ومُرساها) تسمية من نوح عليه السلام، متضمنة معنى افتتاح الشيء فيطلب به الحفظ والحول والقوة، وهذه كلها من الله تعالى، ولفظ المجرى مصدر ميمي من الجري وهو المضي السريع، وقوله (مُرساها) بضم الميم، بمعنى جعلت راسية واقفة ثابتة، والهاء فيهما عائد إلى السفينة، والمراد: دعاء الله بالحفظ والرعاية والنجاة بدءا من الإبحار إلى الاستقرار.

ونوح عليه السلام أول إنسان حكى الله سبحانه عنه التسمية باسمه الكريم فيما أوحاه من كتابه، فهو عليه السلام أول فاتح فتح هذا الباب كما أنه أول من أقام الحجة على التوحيد، وأول من جاء بكتاب وشريعة وأول من انتهض

لتعديل الطبقات ورفع التناقض عن المجتمع الإنساني. ذكره السيد الطباطبائي في الميزان. أه.

قوله (إن ربي لغفور رحيم) الفصل للتعليل، لأن ذلك سبب لنجاة ركاب السفينة، والإخبار بالجملة الاسمية ومؤكداتها بـ (إن) واللام الواقعة في خبرها تأكيدات لثبوت صفات الغفران والرحمة في مقام الربوبية، وإضافة الرب إلى ضمير التكلم للعناية والاستعطاف.

قوله تعالى ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (وهي تجري بهم) أي السفينة تمضي مسرعة بنوح ومن معه، لأن الجري العدو السريع دلالة على شدة الطوفان.

قوله (في موج كالجبال) تدل (في) معنى التضمن مجازا، وليس على نحو الحقيقة لأن التصوير يدل على أنه سير على الماء وليس غطسا فيه، والموج القطعة المرتفعة عن جملة الماء، وتشبيهها بالجبال لكبر حجمها وشدتها وضخامتها، وفي تخييل صورة الموج المندفع وارتفاعه ما يدل على أن ثمة زلزالا حدث تفجرت به الأرض عيونا، ورياحا شديدة، زد عليه كمية الأمطار الساقطة من السماء، فالتقى ماء السماء وماء الأرض فكوّن أمواجا هائلة أغرقت الأرض المحددة التي شاء الله لها أن تغرق، وكما مر أن السفينة ظلت تجري لأيام حتى استقرت على الجودي.

قوله (ونادى نوح ابنه) الجملة معطوفة على قوله (وقال اركبوا) لأن نداء نوح لابنه ينبغي أن يكون قبل انطلاق السفينة، ودلالة النداء رفع الصوت.

قوله (وكان في معزل) أي: وابنه في معزل عن أبيه مكانا وعقيدة، ولذلك صح معه فعل النداء، إذ النداء يعني رفع الصوت.

قوله (يا بني اركب معنا) النداء والتصغير للشفقة والاستعطاف، وأمر الركوب معهم كناية عن الإيمان بالله باللحاق بركب نوح عليه السلام.

قوله (ولا تكن مع الكافرين) الجملة معطوفة على ما قبلها، والنهي عن الكون مع زمرة الكافرين لأن ذلك شأن من لم يلتحق بركب السفينة، ويبدو من دلالة اللفظ أن نوحا حين دعا ابنه كنعان إلى الركوب لم يكن يعلم نفاقه وأنه غير مؤمن، ولذلك لم يقل حين ناداه: لا تكن من الكافرين، بل نهاه عن أن يكون مصاحبا لهم لأن صحبتهم تعني هلاكه. والجملة تقابل التي قبلها في المعنى.

قوله تعالى ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) لفظ الإيواء الرجوع، أي: سأرجع إلى مأوى من جبل، في دلالة على أنه في أرض يمكن فيها صعود

مثل هذه الجبال، وتنكير الجبل أراد به جبلا مميزا من الارتفاع بدليل ما بعده، ولفظ العصمة أصله المنع، أي: جبلا عاليا يمنع مني الماء، وفي رد ابن نوح دلالة على الجهل بالإيمان بالله، لأنه لم يدرك أن الطوفان حصل بغضب من الله لاستئصال الكافرين.

قوله (قال لا عاصم اليوم من أمر الله) ولذلك كان رد نوح عليه مختلفا، إذ الأمر لا يتعلق بجبل أو غير جبل، فلا أحد اليوم بمنجاة من غضب الله، فأورد كلامه في القرآن مطابقا لمعناه في سريانيته، فـ (لا) تفيد نفي استغراق الجنس، و(عاصم) مجاز عقلي للمبالغة في معنى المفعول، وعرّف لفظ اليوم لأنه معهود حاضر في الأذهان وهو الظرف المتضمن لغضب الله تعالى، ومعنى قوله (أمر الله) قضاؤه وشأنه الذي به تصدر أحكامه سبحانه.

قوله (إلا من رحم) الاستثناء للمستثنى الخاص بالذين شملتهم رحمة الله ونجاتهم في السفينة فحسب، أما خارجها فهم هالكون.

قوله (وحال بينهما الموج) لفظ الحيلولة بمعنى الحجز والمنع دلالة على سرعة الفيضان، أي: حجز موج الماء بين نوح وابنه وقطع محاورتهما.

قوله (فكان من المغرقين) الفاء لتفريع الإغراق على الحيلولة، وجعل من جملة المغرقين إشارة إلى غرقه وغرق من معه من الكافرين، وهذا من بديع الإيجاز.

قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾

قوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي) تصور الآية انتهاء فيضان الماء، فأمرت أسبابه بأوامر تكوينية واحدة من كمال قدرته سبحانه وهما الأرض والسماء فنادتهما نداء ما يعظم شأنهما، وخصت الأرض بأمر ما يعنيها وهو ابتلاع الماء، والبلع أصله إجراء الشيء في الحلق إلى الجوف، وأمرت السماء بما يلزم من وظيفتها وهو الإقلاع عن إنزال الماء، وهو الإمساك وترك الشيء من أصله، وجانست بين الفعلين (ابلعي) و(أقلعي).

قوله (وغيض الماء) نتيجة ترشحت عن أمري الابتلاع والإقلاع، ولفظ الغيض نقص الماء بجذبه إلى باطن الأرض وانحساره بشكل بحار وبحيرات لتظهر الأرض الناشفة منه.

والذي يبدو من ذلك أن الطوفان أحدث تغييرا في خريطة الكرة الأرضية، من الترسبات المائية وظهور الجبال وانخفاض أخرى وتكوين الأودية، فهذه كلها نتائج غيض الماء الذي أمرت به الأرض أمرا تكوينيا وليس طبيعيا بانتظار حرارة الشمس أو الرياح الساخنة ليجف الماء.

قوله (وقضي الأمر) أي نفذ الوعد الإلهي لنوح وتحقق بإهلاك الكافرين وإغراقهم، وأورد الأفعال بالمبني للمعلوم: قيل، وقضي، ولم يصرح

بفاعلها للتعظيم، ففاعلها الله سبحانه، ولا يقدر على ذلك غيره سبحانه، وذلك من دلائل توحيده.

قوله (واستوت على الجودي) لفظ الاستواء الاعتدال والاستقرار، وضمير تاء التأنيث عائد إلى السفينة، و(على) يفيد التمكن والثبات، والجودي هو الجبل المعروف لدى الناس ويسمى بأرارات، وقيل بالموصل، وقيل في ظهر الكوفة في النجف الأشرف، وإنما جعلها مستوية على الجودي لأن ذلك أثبت لها من الاستقرار على الماء.

قوله (وقيل بعدا للقوم الظالمين) الجملة معطوفة على ما سبق، وفاعل قيل هو الله سبحانه، و(بعدا) مصدر بمعنى الأمر، أي: ليبعدوا بعدا، وجيء بلفظ القوم لتكون صفة الظلم لازمة لهم. والظلم والشرك واحد في التعبير القرآني.

ومن عجيب بلاغة هذه الآية المباركة:

- إيجازها في إنفاذ الوعد الإلهي من دون ذكر قوم نوح الهالكين أو ذكر الناجين.

- ودقة استعاراتها بتصوير الأرض والسماء مما يعقل فهذه تبتلع وتلك تقلع مأمورتين سامعتين مطيعتين.

- بديعها في تناسق طباقها بين الأرض والسماء، وجناسها بين أقلعي وابلعي.

ـ مناسبة دلالة تقديم الأرض على السماء، كونها الأصل في الطوفان، ولذلك أضيف إليها الماء فقيل: (ابلعي ماءك) بينما لم يقل مثل ذلك للسماء.

ـ إضمار الفاعل في كل الآية، لنكات بلاغية ودلالية، منها معلوميته بأن ذلك لا يكون إلا من القادر القهار، كما في أوامر التكوين في قيل بدءا وختاما، وقضي، وغيض، ومنها لدلالة سرعة انتهاء الطوفان.

قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (ونادى نوح ربه) الجملة معطوفة على قوله (وحال بينهما الموج)، لأن الحوار مع ابنه انقطع بعد أن حال الموج بينهما، وإنما تأخرت بعد آية انقضاء الطوفان لأن السورة أرادت العناية بتفاصيل قصة نوح عليه السلام، والذي يبدو أن نوحا عليه السلام لم يكن يعلم بكفر ابنه ـ كما ذكرنا ـ لذلك حتى بعد انطلاق السفينة واستقرارها على الماء سأل ربه عن مصير ابنه مستفهما فلم يذكر شيئا لنجاته، فقال مناديا ـ وليس سائلا ـ في دلالة على تهييج شفقة الأبوة في نفسه على ابنه.

قوله (فقال رب إن ابني من أهلي) أورد طلبه في السؤال عن مصير ابنه بهيأة الإخبار تأدبا في حضرة الألوهية، مبتدئا بلفظ الرب مضيفه إلى ضمير التكلم للشفقة والاستعطاف، وإنما أخبر بذلك لأن الله تعالى قال له (واحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك) لذلك قال: إن ابني من أهلي،

ولأدب النبوة أورده بالإخبار كأنه مستفهم عما خفي عنه لأنه لم يعلم بكفر ابنه، فقد كان ولده منافقا مع أبيه.

قوله (وإن وعدك الحق) الجملة معطوفة على ما سبق، ووعدك الحق، لأنه الله تعالى وعده بأن أهله ـ سوى زوجته ـ بمنجاة من الغرق، وما لم يعلمه أن ابنه مقدر له الهلاك أيضا.

قوله (وأنت أحكم الحاكمين) وهذا الإخبار تسليم مطلق من نوح لربه، وإيمان بأن ما غاب عن علمه بشأن ابنه لأمر لا يعلمه إلا الله، لأن إخباراته السابقة عن ابنه تتضمن معنى الحكم بنجاته من الغرق، إلا أن أدب النبوة يمنعه من ترشح هذه النتيجة فجعل الحكم لله وقال مؤكدا: وأنت أحكم الحاكمين.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾

قوله (قال نوح إنه ليس من أهلك) إجابة من رب العزة ردا على حجة نوح (إن ابني من أهلي)، بنفي أن يكون ابنه من أهله الذين أمره الله أن يحملهم، لأن المقصود بالأهل الصالحين المؤمنين، وابنه لم يكن منهم، لا الأهل بمعنى الاختصاص، قال تعالى (احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول)، فبذلك ارتفع أثر حجة نوح.

قوله (إنه عمل غير صالح) تعليل للنفي السابق، وضمير الغائب في (إنه) عائد إلى ابن نوح، والمعنى: إنه ذو عمل غير صالح، نوع مبالغة في المعنى، كما يقال: الأيام دول، أي: ذات دول، ويؤيد هذا المعنى من قرأ (عمل) بالفعل الماضي، والمقصود به الكفر فهو عمل غير صالح، لأنه وإن كان اعتقادا قلبيا إلا أن أثره يظهر بالعمل، وقد كان ذلك بعدم ركوبه السفينة.

قوله (فلا تسألن ما ليس لك به علم) الفاء للتفريع على ما سبق، والنهي عن السؤال فيما ليس له به علم، لتضمن إخبارات نوح السابقة في ندائه ربه معنى طلب نجاة ابنه دون التصريح به وهو لا يعلم به كافرا، لذلك حال النهي بينه وبين السؤال تداركا لنبيه وعناية غيبية لتسديده، فهو في المحصلة نهي عما لم يقع.

قوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) الفصل للابتداء بالموعظة، والوعظ النصح، وفي هذا إشارة إلى أن سؤاله لم يقع، وإنما النصح تدارك لما قد يحصل ـ وهو لم يحصل ـ لعناية الله بنبيه، ولو أرادت الآية لزوم صفة الجهل لقالت: إني أعظك أن تكون من القوم الجاهلين، زد عليه أن صفة اسم الفاعل ليست بأثبت من الصفة المشبهة مثل جهول.

قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾

قوله (قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم) جواب من نوح عليه السلام ودعاء لربه لشكره على تسديده وعنايته به من الوقوع في سؤال ما لم يعلم فيقع في الهلكة، وابتدأه بالنداء المحذوف لأن النداء مقصود به الدعاء، ولفظ الربوبية المضافة إلى ياء التكلم للاسترحام، وصيغة الإخبار المؤكد لرسوخ المعاني في نفسه، ولفظ الاستعاذة بالله اللجوء إليه والاعتصام به طلبا للنجاة.

قوله (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) الواو عاطفة، والجملة شرطية مبدوءة بـ (إن) جوابها (أكن من الخاسرين)، وهو نتيجة نفي المغفرة، فالكلام في ظاهره التوبة وحقيقته الشكر على ما أنعم عليه من التعليم والتأديب، قال العلامة الطباطبائي: وأما حقيقة الشكر فإن العناية الإلهية التي حالت بينه وبين السؤال الذي كان يوجب دخوله في زمرة الجاهلين وعصمته ببيان وجه الصواب كانت سترا إلهيا على زلة في طريقه ورحمة ونعمة أنعم الله سبحانه بها عليه فقوله عليه السلام: (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) أي: إن لم تعذني من الزلات لخسرت، ثناء وشكر لصنعه الجميل. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (قيل يا نوح) أضمر الفاعل للتعظيم وهو الله تعالى، ونداؤه تعالى لنوح مجاز في الوحي له وأمره.

قوله (اهبط بسلام منا وبركات عليك) الهبوط النزول لأن السفينة كانت أعلى من الأرض، أي: بعد استواء السفينة على الجودي أمره الله بالنزول إلى الأرض التي لم يبق نسل بشري غيرهم، لذلك شابه هذا الخطاب خطاب نزول آدم إلى الأرض (وقلنا اهبطوا)، والباء المقترن بلفظ السلام للمصاحبة المجازية، أي: اهبط مصحوبا بسلام منا، والسلام أصله السلامة، واستعمل في التحية، و(منا) تأكيد وتعظيم، في أن السلام موجه إليهم بدلالة (من) الابتدائية.

ومعنى قوله (وبركات عليك) أي: وخيرات نامية ثابتة، وتنكير لفظ السلام والبركات لإفادة التعظيم، وكون السلام والبركات صادرين منه تعالى فذلك إيذان لهم بالرضا منه تعالى وتحقيق لما يطلبون ويدعون ربهم.

وفي الكلام بشارة لنوح ومن معه وتنويه من الله بهم بعد ما محصوا بأشكال البلايا، إنه ثناء من الله تعالى وتحيات ودعوات بالسلامة لهؤلاء المؤمنين الخالصين من درن الوثنية، كما تقال لمسافر آب بعد رحلة شاقة طويلة حافلة بالمخاطر.

قوله (وعلى أمم ممن معك) حرف الجر (على) يفيد استقرار السلام والبركات فيهم. وتنكير (أمم) لنفي التعميم بدلالة (من) التي تفيد الصدور والابتداء في قوله (ممن معك)، والذين مع نوح في السفينة هم الصالحون

من أبنائه الثلاثة: سام، وحام، ويافث، الذين انحصر بهم نسل البشرية ومنها تكونت الأمم، فمن سام أمة العرب واليهود، ومن حام أمة الحبش، ومن يافث أمة الروم والترك، وسماهم أمما مبالغة في تكونها منهم على سبيل المجاز العقلي باعتبار ما سيكون، وهم بهذا التعلق مشمولون بالسلام والبركات، ومبشرون بأن سيكون منهم أمم ناشئة كثيرة.

قوله (وأمم سنمتعهم) الواو للاستئناف، والجملة مستأنفة، لذلك ارتفع (أمم)، ولفظ الاستمتاع الالتذاذ بالخيرات والنعم، والإخبار غيبي لما يستقبل من الأحوال بدلالة حرف الاستقبال المقترن بالفعل المضارع، وفي الكلام تحذير للعرب لأنهم من نسل نوح.

قوله (ثم يمسهم منا عذاب أليم) تفيد (ثم) التراخي في الزمن، والمس أخص من اللمس، وهو يقابل قوله (بسلام منا). وتنكير لفظ العذاب لتهويله، ولفظ الألم صفة له مبالغة لمعناه والمراد مؤلم، وإنما يمسهم العذاب مجازاة على فعلهم الذي يفهم من سياق الكلام الذي أخبر به نوح عليه السلام.

قوله تعالى ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله (تلك) الفصل للاستئناف بالامتنان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولفظ إشارة التأنيث البعيد للتمييز والاختصار، أي: تلك الأخبار والقصص.

قوله (من أنباء الغيب) أي: أبعد زمانا من النبي ﷺ فهي غيب غائبة عن الحواس، و(من) للتبعيض، والأنباء جمع نبأ وتقال للخبر المتضمن حدثا عظيما، والغيب نقيض الشهادة.

قوله (نوحيها إليك) أي: نوصلها إليك بطريق الوحي فتعلمها، والخطاب للنبي ﷺ، والجملة محلها الوصف للفظ الأنباء.

قوله (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) نفي العلم تأكيد لما سبق، وضمير الفصل للنبي ﷺ، وقومه هم أهل مكة أو العرب عامة، وذكروا على سبيل الترقي، لأن منهم من تعلم الكتابة والقراءة وخالط أهل الكتاب.

ولفظ الإشارة للقريب بمعنى: قبل هذا الإنباء الذي لا يعرفه العرب أصلا، وهو محرف أيضا في الكتب السماوية الأخرى، ففي التوراة ـ مثلا ـ لا ذكر لكنعان ابن نوح، ولا ذكر لزوجته المستثناة من ركوب السفينة بل صرحت التوراة بركوبها مع نوح، ولا ذكر للمؤمنين معه.

قوله (فاصبر) الفاء تفريع على النفي السابق، والأمر بالصبر يوحي بالصبر على تحمل مشاق الدعوة إلى التوحيد كما تحملها من قبل نوح عليه السلام وهو الغرض من ذكر القصة.

قوله (إن العاقبة للمتقين) الفصل تعليل لأمر الصبر، ولفظ العاقبة تعني الخاتمة ونهاية الشيء، وتطلق على الخير، أي: العاقبة الحسنة، وأل التعريف فيها لإفادة الجنس، واللام المقترن بلفظ المتقين حرف جر يفيد التمليك والاستحقاق.

والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة لدوام معنى حسن العاقبة للمتقين وتحقيقه، وفي الكلام ثناء لا يخفى على النبي ﷺ وتطييب وتسلية لنفسه.

قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

لما تقدم تفصيل ذكر أمة نوح في الآيات السابقة، بدأت ـ من الآية الخمسين إلى الآية الستين ـ بذكر قصة أمة أخرى سلكت في مصيرها سيرة سابقتها في الشرك والعصيان، بالرقعة المكانية نفسها وهي أمة عاد ونبيهم هود عليه السلام وتقدم ذكرها في سورة الأعراف.

قوله (وإلى عاد أخاهم هودا) الجملة معطوفة على قوله (ولقد أرسلنا نوحا). وتقديم الجار والمجرور للعناية والإيجاز، وهو متعلق بفعل محذوف تقديره: وأرسلنا إلى عاد أرسلنا أخاهم هودا، وعاد ـ وربما يسميهم القرآن عادا الأولى ـ قوم من العرب كانوا يسكنون الأحقاف ـ وهي مجمع الرمال ـ من شبه جزيرة العرب بعد قوم نوح، في حضرموت، انقطعت اخبارهم ولا يحفظ التاريخ من حياتهم إلا أقاصيص لا يطمأن إليها. حكى عنهم القرآن أنهم أهل مدنية وحضارة وعمران وأراض وزروع، وكانوا ضخاما أولي قوة وبطش شديد، وما زالوا متنعمين حتى دبت الوثنية فيهم فبعث الله هودا نبيا منهم يدعوهم إلى عبادة التوحيد ونبذ عبادة الشرك، ووصفته الآية بلفظ الأخوة لأنه أخوهم في النسب والمسكن، كما يقال: يا أخا العرب.

قوله (قال يا قوم اعبدوا الله) النداء بلفظ القوم المضاف إلى ياء التكلم دلالته الاشعار والتليين بأنه منهم، ليكون ذلك سبيلا لاستقبال ما سيلقى إليهم، وفعل الأمر بعبادة الله تقدم أول كلامه مصرحا بلفظ الألوهية لأنه غرض صريح للبعثة، وفي التصريح دلالة القصر بمعنى: اعبدوا الله وحده.

قوله (ما لكم من إله غيره) الفصل لتعليل الأمر بالعبادة، والتأكيد بالنفي والاستثناء للقصر، أي: لا تملكون إلها غير الله. واللام في (لكم) تفيد التمليك، و(من) زائدة لتأكيد نفي العموم، لذلك نكر لفظ الألوهية، أي: أي إله، وفي الكلام تعريض بأصنامهم.

قوله (إن أنتم إلا مفترون) جملة تقرير لمعنى أحدية الله، بإثبات الافتراء على الله بادعاء الشركة له بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، والخطاب في الكلام يفيد التوبيخ لقوم عاد.

قوله تعالى ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ ﴾

قوله (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا) فصل الجملة لأنه في مقام المحاورات. وتكرار (يا قومي) يدل على حواره الشفيق بهم، والضمير في (عليه) راجع إلى أمر الدعوة إلى التوحيد، فقوله: لا أسألكم عليه أجرا بمعنى: لا أطلب منكم مالا، لأنه اتهم بأنه يريد أن ينتفع بدعوته ويستعلي عليهم وأن يكون ذا سلطان وأتباع كما اتهم نوح من قبل.

قوله (إن أجري إلا على الذي فطرني) لما دفع عن نفسه تهمة الانتفاع، احترس من تهمة العبث من عمله في مطلق النفي، فأكّد إن أجره يأخذه من الله ثوابا لا مالا، وجاء باسم الموصول وصلته ليكون أدل على معنى عبادة التوحيد والجزاء عليها. وأصل الفطر الشق طولا، ومعنى فطرني: أوجدني. قال الراغب: وفطر الله الخلق وهو ايجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الافعال فقوله: فطرة الله التي فطر الناس عليها إشارة منه تعالى إلى ما فطر أي أبدع وركز في الناس من معرفته، وفطرة الله هي ما ركز فيه من قوته على معرفه الايمان وهو المشار إليه بقوله: ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله. انتهى.

قوله (أفلا تعقلون) الفاء لتفريع الاستفهام المنفي على القصر، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، ونفي العقل عنهم تأكيد لجهلهم في عدم تأمل حاله ودعوته لهم بترك الإصرار على عبادة الأصنام الجامدة.

قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله (ويا قوم استغفروا ربكم) طلب منهم أن يسألوا ربهم طلب المغفرة لما أشركوا به، وإضافة لفظ الرب إلى ضميرهم لإشعارهم بأنهم مملوكون قهرا لله ولا خيرة لهم في ذلك، وقوله (ثم توبوا إليه) تفيد(ثم) تعقيب التوبة

بعد الاستغفار، ومعنى التوبة يتحقق بإظهار الندم على الفعل والعزم على تركه.

قوله (يرسل السماء عليكم مدرارا) الجملة جواب طلب، نتيجة وترغيب لعبادة التوحيد. وفعل الإرسال نقيض الإمساك، وهو ترك الشيء بعد أخذه، والمدرار مبالغة من الدر، وأصله اللبن، واستعير للمطر المتكرر المتتابع، والمراد إنزال الماء الكثير من السماء فتحيا به الأرض وينبت به العشب ويورق به الزرع، وفي الكلام إشعار بأنهم كانوا مبتلين بإمساك السماء وشحة الماء وجدب الأرض.

وفي سورة الأحقاف حكى الله عنهم مثل ذلك في قوله تعالى (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) [الآية ٢٤]، واستنتج السيد الطباطبائي من الآية ما يجدر ذكره في: أن هناك ارتباطا تاما بين الأعمال الانسانية وبين الحوادث الكونية التي تمسه فالأعمال الصالحة توجب فيضان الخيرات ونزول البركات، والأعمال الطالحة تستدعى تتابع البلايا والمحن، وتجلب النقمة والشقوة والهلكة كما يشير إليه قوله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) [الأعراف ٩٦]. انتهى.

قوله (ويزدكم قوة إلى قوتكم) الجملة معطوفة على ما سبق لذا جزم فعل الزياد، وهي نتيجة ثانية متعلقة بالشرط، والقوة كناية عن الشدة وضخامة

الجسم وقد كانوا موسومين بذلك، فإن آمنوا يزدادوا قوة الإيمان إلى قوة الأبدان، أو بالمعنى الأعم.

قوله (ولا تتولوا مجرمين) الجملة تفسير لما سبق في قوله (استغفروا ربكم)، أي ولا تعرضوا عن التوحيد مشركين. وسمى الشرك إجراما لأنه منه، ونصبه على الحال.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ ﴾

قوله (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) رد قوم عاد على نبيهم هود بثلاث جمل منفية، كل واحدة تؤكد التي بعدها، واستعمل لها النفي المطلق بـ (ما)، في دلالة على إصرارهم على الشرك وثبات موقفهم فيه.

والبينة هي الدليل والحجة والبرهان الظاهر. والباء المقترنة بلفظها زيادة في النفي، والقرآن سكت عن التصريح بطبيعة معجزة هود إلا أنه لا ريب مؤيد بها، ووجه إنكارهم بينته لأنها لم تكن على وفق مقترحاتهم، كما هي الحال في أمم قبلهم أو بعدهم ـ كالعرب ـ لا تقر بما يتأيد به الرسول فتقترح بحسب أهوائها أن تكون المعجزة، فجعل قوم عاد نفيهم للبينة علة لإصرارهم على الشرك.

قوله (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) الجملة معطوفة، وتقديم ضمير الجمع المنفصل، وكثرة المؤكدات في الجملة الإسمية وزيادة الباء بعد النفي

دلائل أدائية على رسوخ الكفر في نفوسهم، و(عن) تفيد المجاوزة، أي: لا نتركها تركا صادرا عن قولك، وهو قوله لهم (اعبدوا الله).

قوله (وما نحن لك بمؤمنين) جمعوا بنفي الإيمان له ما فصلوا به من كلامهم السابق. وتقدم (لك) للقصر، وتعدية فعل الإيمان باللام وليس الباء لإفادة معنى نفي التصديق، وليس الإيمان بمعناه الاختصاصي، والباء المقترن بلفظ المؤمنين زائدة لتأكيد النفي.

قوله تعالى ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ ﴾

قوله (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) إن نقول بمعنى: لا نقول، والاعتراء علة عارضة ليست في الأصل، والباء في (بسوء) للملابسة، والسوء كناية عن المس، وارادوا بذلك رميه بالجنون ونسبوه إلى آلهتهم عقابا منهم له، لأنه يرميها بالعدمية والجمود، فهم بذلك آيسوه من التصديق بدعوته، وأكدوا تقديسهم بما يعتقدون.

قوله (قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون) الفصل لأنه في مقام الرد، بعد أن أظهروا الإياس من تليين قلوبهم والإصرار على الشرك، رد عليهم بالبراءة من عبادتهم لأصنامهم، وأشهد الله تعالى على إعلانه ذلك بأسلوب الإخبار، مصرحا بلفظه للتعظيم، وهي شهادة حقيقية لإظهار

حقيقة تبريه من غير نفاق، وأشهدهم بطريق الإنشاء للتهديد، ليظهر عجزهم وعجز آلهتهم، والفصل في (أني بريء) لأنه بمقام المقال.

قوله تعالى ﴿ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ ﴾

قوله (من دونه) أي: من دون الله، والظرف متصل بما قبله في الآية السابقة أي: واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه.

قوله (فكيدوني جميعا) الفاء لتفريع الأمر على النفي، وأمر الكيد للتعجيز، ونصب لفظ الجميع حال، وأراد به مضافا إلى أنفسهم آلهتهم على سبيل المبالغة في تعجيزهم لأنهم ادعوا لها الخوارق في زعمهم إصابته المس منها.

قوله (ثم لا تنظرون) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، أي: عجلوا على هلاكي ولا تمهلوني، على سبيل الاستخفاف بهم.

قوله تعالى ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٦ ﴾

قوله (إني توكلت على الله ربي وربكم) الفصل لتعليل جملة (فكيدوني)، والإخبار ببيان التوحيد متضمن معنى تهديدهم، فقوله (ربي وربكم) إشعار بعبودية الخلق لله في الأصل قهرا، وأن شركهم بالله غيره خروج اختياري

عن ربقة العبودية ظاهرا، إذ لا أثر له إلا في أنفسهم لأنهم راجعون إليه شاءوا أو أبوا.

قوله (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) الفصل تفسير لمعنى الربوبية، أورد بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء لثبوت حقيقته، وتفيد (من) زائدة لتأكيد العموم، والدابة كل يدب على الأرض غير الإنسان، ولفظ الناصية ـ وهي مقدم الرأس ـ استعارة بالكناية عن الانقياد والاتباع، والمراد خضوع كل شيء له من المخلوقات الحيوانية.

قوله (إن ربي على صراط مستقيم) الفصل تعليل لقوله (إني توكلت على الله)، ولم يقل: ربي وربكم، لأنه في مقام الدعاء لنفسه على قومه يتوقع أن يحفظه الله من شرهم، متمسكا برابطة العبودية بخلاف مقام قوله (إني توكلت على الله ربي وربكم) فإنه يريد هناك بيان عموم السلطة والإحاطة.

وأورد المعنى بصيغ الثبات والدوام بالجملة الإسمية المؤكدة بـ (إن)، و(على) حرف جر مجاز من الاستقرار والتمكن من العدل الذي كني عنه بالصراط المستقيم.

قوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله (فإن تولوا) الفاء لتفريع الشرط على التعليل، والفعل مخفف وأصله: تتولوا، أي: تعرضوا.

قوله (فقد أبلغتكم) جواب الشرط، والإبلاغ التوصيل المؤثر، وفيه دلالة اجتهاد هود والمبالغة في إيصال الرسالة إليهم.

قوله (ما أرسلت به إليكم) جملة الموصول محلها النصب لفعل الإبلاغ، والضمير في (ما) يراد به التوحيد، وابهمه لمعلوميته بدلالة لفظ الرسالة، والباء في (به) للتعدية وضمير الهاء عائد إلى التوحيد، والظرف (إليكم) يفيد انتهاء غاية الإرسال بهم وغرضه.

قوله (ويستخلف ربي قوما غيركم) الواو للاستئناف المتضمن معنى التهديد باستئصالهم، والاستخلاف أن يعقبوا بغيرهم، عقبا يعني به إفناءهم.

قوله (ولا تضرونه شيئا) الواو معطوفة، ونفي الإضرار تعجيز لهم على الرد إذا قضى الله بإهلاكهم. وتنكير (شيء) يفيد العموم.

قوله (إن ربي على كل شيء حفيظ) الفصل للتعليل، والحفيظ كناية عن قدرته سبحانه، وهو صيغة مبالغة في معنى حفظ الشيء حفظا لا يناله أحد غيره، والإخبار يحمل في مضمونه الوعيد.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾

قوله (ولما جاء أمرنا) الواو عاطف، و(لما) شرط لما يستقبل من الزمان، ولفظ المجيء معناه الإيذان ببدء العذاب وقربه، ولفظ الأمر في القرآن شأن

خاص لله يصدر به حكمه وقضاءه الفصل، ونسبته إليه سبحانه بضمير الجمع للتعظيم.

قوله (نجينا هودا والذين آمنوا معه) جواب الشرط. نجاهم بأن خلصهم من ريح الصرصر وأبعدهم عن مكان قومه، وهو عذاب الدنيا. ولفظ المعية تعني المؤمنين المصاحبين له.

قوله (برحمة منا) تفيد الباء السبب، والرحمة إشارة إلى فضل الله عليهم بأن لم يشملهم بالعذاب، وتنكيرها للتعظيم، و(منا) تفيد الابتداء والصدور وتحمل معنى تشريفهم وتبجيلهم.

قوله (ونجيناهم من عذاب غليظ) الواو عاطف، وإعادة فعل التنجية يوحي بأنها تنجية متصلة بيوم القيامة من عذاب الآخرة، ويمكن أن يكون متصلا بما سبق من نجاتهم من العذاب من باب عطف التفسير.

قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم) الواو للاستئناف، والكلام إجمال بعد تفصيل، ولفظ الإشارة للتمييز، وعاد هم قوم هود، والجحد هو الإنكار القائم على العناد بدلالة لفظ الآيات لأنها لا تسمى بذلك إلا أن تكون علامة دالة من الجهل إنكارها، وإضافتها إلى لفظ الرب المضاف إلى ضمير جمعهم حجج دالة على تعديهم وجرأتهم على مقام الربوبية.

قوله (وعصوا رسله) لما كان سياق الكلام بإنكار آيات الله على جهة الجمع مبالغة في تصوير إصرارهم على الكفر، ناسب تصوير عصيانهم بذات الشدة وقساوة القلب بحسب ردودهم الضالة فهم بذلك عصوا جنس الرسالة وليس رسولا واحدا.

قوله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) الجملة معطوفة، والاتباع مجاز يراد به ما يستلزم منه وهو الطاعة، والجبار المتكبر، والعنيد مبالغة في العناد. والمراد: طاعتهم لقادة الكفر والضلالة.

قوله تعالى ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ﴾

قوله (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) الجملة معطوفة، وبين (اتّبعوا) و(أُتبعوا) تجنيس صوتي لافت من غير تكلف، والإتباع استعارة للذكر السيء، لأنهم سنوا الشرك لمن بعدهم. فسيلحقهم عار اللعن دائما كلما ذكروا في الدنيا، وفي يوم القيامة عذاب مقيم. ولفظ الإشارة (هذه) لإفادة تهوين شأن الدنيا.

قوله (ألا إن عادا كفروا ربهم) الاستفتاح تعليل لما سبق، وتعدية فعل الكفر بنفسه على تقدير مضاف، أي: نعمة ربهم، أو لتضمنه معنى الفعل: عصوا. أو بنزع الخافض.

قوله (ألا بعدا لعاد قوم هود) الفصل لإنشاء الذم، بمعنى: ليبعدوا بعدا، وإضافة قوم إلى هود تعريض لهم لعصيانهم نبيهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾

قوله (وإلى ثمود أخاهم صالحا) الكلام في تحليله كالكلام في النبي هود، وثمود هم قوم بوادي القرى بين المدينة والشام، وصالح بعثه الله نبيا منهم، وهم ثاني أمة اعتقدت بالشرك، وإن جعلت ثمود علما منعت من الصرف، وإن جعلت بمعنى القبيلة صرفت.

قوله (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) تأكيد بالنفي بأسلوب القصر، أي: لا تملكون إلها غير الله، واللام في (لكم) تفيد التمليك، و(من) زائدة لتوكيد نفي العموم، لذلك نكر لفظ الألوهية، أي: أي إله.

قوله (هو أنشأكم من الأرض) يفيد ضمير الفصل (هو) معنى القصر والاختصاص، والإنشاء هو إيجاد الشيء وتربيته، والمراد إخبارهم بمنة الله عليهم في خلق الإنسان ابتداء واختراع على غير مثال سابق، ورعايته سبحانه لهذا المخلوق بكفالة رزقه وتغذيته من خيرات الأرض وبركات السماء، وتفيد (من) الابتداء، وتعريف الأرض للعهد كونها الأصل في خلق الإنسان، والكلام يفيد التعليل للأمر (اعبدوا الله).

قوله (واستعمركم فيها) الواو عاطفة، والاستعمار طلب العمارة، وهو إصلاح الأرض زراعة وسكنا وعمرانا، وذلك بأن ألهمكم الله المعرفة في استثمارها، وبأن جعل خصائصها قابلة لكل ذلك، فاستواء الأرض، وحياة تربتها وتوافرها على عناصر الغذاء والهواء جعلها صالحة للعمارة في كل شيء.

قوله (فاستغفروه ثم توبوا إليه) الفاء للتفريع، والاستغفار طلب المغفرة من الله بسبب عبادتهم للأصنام، وهو يسبق التوبة كون التوبة تعني العزم على عدم العودة إلى المعصية.

قوله (إن ربي قريب مجيب) الفصل لأنه تعليل لأوامر الاستغفار والتوبة، فهو قريب يسمع استغفاركم ومجيب يقبل توبتكم. وإضافة لفظ الرب إلى نفس صالح تكريم لها واعتزاز، وإنما خص القرب والإجابة بالذكر لأنهم كانوا يعتقدون بالوساطة في العبادة بينهم وبين الله، وانقطاع النسبة بين الله والإنسان، فلذلك فوض رعاية العالم الأرضي إلى بعض مخلوقاته الشريفة فهم شركاؤه في التدبير كما يزعمون.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢ ﴾

قوله (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) إقرار من قوم صالح بصلاح سيرته فيهم قبل دعوته لهم بالتوحيد ونبذ الأوثان، يذكرنا بقصة

نبينا مع قومه، ولهذا يبعث الله الرسل من نفس أقوامهم ليكون ذلك أدعى إلى قبوله وليكون حجة عليهم في رفضهم له، إذ لا سبب عقلي يدعو أشراف القوم في كل زمان إلى الانقلاب على رسلهم ورميهم بكل سوء سوى استكبارهم واستعلائهم على الناس.

وتقديم الظرف (فينا) للاهتمام. وقوله: (مرجوا)، كناية عن مكانة صالح في قومه وتلبيته ما يرجون من استغاثة ونحوه، وقوله: (قبل هذا)، أي: قبل أمر دعوتك بالتوحيد.

قوله (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) الاستفهام إنكار منهم قائم مقام التعليل لقولهم السابق (كنت مرجوا)، يريدون الأوثان فهي ما يعبدون ويعبد آباؤهم، جعلوا حجتهم على صالح ما خلفه لهم آباؤهم من عبادة فهي الأقدس والأصلح عندهم.

وفي الكلام تبشيع للتقليد الأعمى بتغييب العقل، فقد جعلوا ما يرثه الآباء لهم شيئا مقدسا لا يمكن تعليله أو نقده أو المس به، لا لشيء سوى أنه موروث مضى عليه الزمن متصل بقوميتهم ووحدة اتصال العبادة بينهم وبين آبائهم باستعمال اسم الموصول دون توسيطها بـ (كان) مثلا، فقال: ما يعبد آباؤنا، ولم يقل: ما كان يعبد آباؤنا. ذكره الطباطبائي. أه.

قوله (وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) وجعلوا شكهم وظنهم حجة ثانية لعدم الإيمان بصالح، لذلك أوردوه بأسلوب مؤكد بـ (إن) ولام التوكيد الواقعة في خبرها لما رسخ في نفوسهم، ووصف الشك بالريبة بمعنى شك

موجب للريبة والتهمة، وإسناده إلى الشك إسناد مجازي، وتقديم جملة الموصول للاهتمام، و(مما) مكونة من حرف الجر الابتدائي، و(ما) الموصولة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾

قوله (قال يا قوم أرأيتم) احتجاج من صالح على قومه، والفصل للمحاورة، والنداء لأصول أدب المحاورة، والاستفهام للتقرير، وفعل الإراءة بمعنى العلم لا البصر، وتعلق مفعولاها بقوة الشرط بعدها.

قوله (إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة) تفيد (إن) الشرط، ومر تفسير (على بينة من ربي) بمعنى: على بصيرة من أمري وحجة واضحة مما بصرني ربي، ولفظ الرحمة إشارة إلى النبوة، وتنكيرها للتعظيم.

قوله (فمن ينصرني من الله إن عصيته) الفاء واقعة في الجزاء، و(من) للاستفهام المفيد للإنكار، والمعنى: من يخلصني من غضب الله إن عصيته باتباعكم ورضيت مقالكم بتقليدكم آباءكم في عبادة الأوثان، ومعنى الآية: اعلموا أني على بينة من ربي، وانظروا إن تابعتكم وتركت أوامره، فمن يمنعني من عذابه؟

قوله (فما تزيدونني غير تخسير) الفاء للتفريع، والإخبار بالنفي والاستثناء يفيد القصر والتأكيد، والتخسير والخسران واحد في المعنى، ويريد أن حرصكم على ترك دعوتي لكم بالتوحيد لا يزيدني سوى خسارتكم للحق والإيمان، فهو من باب الذم بأسلوب المدح، لأن لفظ الزيادة يشي بالنفع لكنه استدركه بالذم، وبين الزيادة والخسران تطابق لافت، وفي الكلام دحض لحجتي قومه.

قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله (ويا قوم هذه ناقة الله) الواو لعطف قصة على قصة، ويوحي مع حرف النداء باستمرار الحوار، وفائدة النداء لتهيئتهم لما بعده، ولفظ الإشارة للقريب لتمييز الناقة وترسيخ شأنها في الذهن، وإضافة الناقة إلى لفظ الجلالة نسبة تشريف كما يقال: بيت الله، مال الله.

قوله (لكم آية) والآية هي العلامة الظاهرة، ويراد بها المعجزة لأنها علامة الأنبياء، وتقديم المتعلق (لكم) للقصر والاختصاص، لأنهم هم سألوا صالح أن يخرج لهم من الصخرة ناقة على سبيل التعجيز، فكان ذلك بمشيئة الله تعالى، وجعلت معجزة لنبيهم.

قوله (فذروها تأكل في أرض الله) الفاء للتفريع، وأمرهم بتركها أن تأكل كما ترغب من العشب في أرض الله لأنها محررة لا مقيدة للعمل ونحوه،

وجزم فعل الأكل لأنه جواب للأمر، و(في) للظرفية المجازية، وفي إضافة الأرض إلى لفظ الجلالة نفي لمنتهم.

قوله (ولا تمسوها بسوء) ونهاهم عن أذاها بجرح أو ضرب أو قتل أو تنفير، وكنى عن ذلك بلفظ السوء.

قوله (فيأخذكم عذاب قريب) الفاء للسبب، ولفظ الأخذ هو المسك وعدم الفوات، وصفة القرب للعذاب كناية عن المعجل، لأن علامته في أذى الناقة.

قوله تعالى ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله (فعقروها) الفاء تفريع على ما سبق، والعقر النحر، وأصله الأصل، ولما كان أصل الحياة في الرقبة جعل نحرها ذبحا تسمية للعقر، وقيل: إن الذي نحرها شقي من الأشقياء اسمه قدار جعلوا له مقابلا لفعله، لذلك عوقبوا جميعا فكأنهم عقروها جميعا ومن هنا جيء بفعل العقر بصيغة الجمع.

وفي نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس إنما يجمع الناس الرضاء والسخط، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه: (فعقروها فأصبحوا نادمين) فما كان إلاّ أن خارت أرضهم بالخسفة، خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة. انتهى.

وكان سبب عقرها أنه فُرِض عليهم اقتسام شرب الماء بينهم وبين الناقة فكان يوم لها ويوم لهم ومكثوا على ذلك حينا، ثم إنهم طغوا ومكروا فبعثوا أشقاها لعقر الناقة، ولما عقروا الناقة هرب فصيلها إلى الجبل ورغا ثلاث مرات إلى السماء.

قوله (فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) الفاء للتفريع، وفاعل القول صالح عليه السلام، والأمر (تمتعوا) للتهديد مخاطبا قومه، فقد أمهلهم الله للاستغفار والتوبة ثلاثة أيام ولم يتوبوا، ومعنى: في داركم، أي: في مدينتكم، ثم أنزل عليهم عذاب الصاعقة فاستأصلهم عن آخرهم كما مر في سورة الأعراف.

قوله (ذلك وعد غير مكذوب) الإشارة للتمييز والتهديد، ولفظ الوعد إشارة إلى قوله (فيأخذكم عذاب قريب)، ووصفه بأنه غير مكذوب أي: لا يتغير ولا يتبدل.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦ ﴾

قوله (فلما جاء أمرنا) الفاء للتفريع، ولما شرط لما يستقبل من الأحوال، ومجيء الأمر إشارة إلى حلول العذاب.

قوله (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) جواب الشرط، والباقي مر تفسيره.

قوله (برحمة منا) أي: بفضل من الله تعالى امتن به عليهم بأن نجاهم من أن يشملهم العذاب

قوله (ومن خزي يومئذ) سماه خزيا وهو الذل لأن عاجله الاستئصال وآجله الخلود في النار، و(يومئذ) ظرف مركب من لفظ الزمان: يوم، وإذ، وتنوينه تنوين عوض عن المضاف إليه.

قوله (إن ربك هو القوي العزيز) الفصل للاستئناف، وفي الكلام التفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة، والإخبار بالجملة الإسمية ومؤكداتها لتحقيق المعنى ودوامه، و(هو) للقصر، وخص صفة القوي لقدرته على أعدائه، والعزيز لنصرته أولياءه وقهره أعداءه.

قوله تعالى ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ ﴾

قوله (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) فعل الأخذ استعارة للعذاب من الإمساك وعدم الإفلات، أشار عن ثمود باسم الموصول لتكون صلته علة للحكم عليه، وتقدم تفسيره في سورة الأعراف فلا موجب لتكراره.

قوله (فأصبحوا في دارهم جاثمين) الفاء لتفريع النتيجة على السبب، وجثومهم بمعنى موتهم ملتصقين على وجوههم في الأرض.

قوله تعالى ﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾

قوله (كأن لم يغنوا فيها) التشبيه لتهويل سوء عاقبتهم في ديارهم فقد أفناهم الله فناء كأنما لم يكونوا عمروا قريتهم من قبل لأنه خسفها بهم.

قوله (ألا إن ثمود كفروا ربهم) التنبيه بأداة الاستفتاح للالتفات إلى علة إفنائهم وهو كفرانهم بالله، والتعدية بفعل الكفر من دون باء جائزة.

قوله (ألا بعدا لثمود) إنشاء صيغة ذم لطردهم من رحمة الله في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) العطف عطف قصة على قصة، وذكر إبراهيم عليه السلام رعاية لشأنه، تمهيدا لذكر النبي لوط عليه السلام، و(لقد) قسم وتحقيق زيادة في التوكيد، لأن المخاطبين من أهل مكة الذين يراد لهم إسماع الكلام لأنهم منكرون للقرآن.

والمراد بالرسل الملائكة ـ وكان عددهم أربعة ـ على أغلب التفاسير ـ وإضافتها إلى ضمير التكلم للفظ الجلالة تعظيم لها، والباء في لفظ البشرى

للتعدية، والبشرى مبالغة في معنى السرور، وقيل: إنهم بشروه بإسحاق مولودا له.

قوله (قالوا سلاما) ضمير الجمع عائد إلى الملائكة، ولفظ السلام للتحية، أي: حيا بعضهم بعضا، ونصبها لأنه مصدر لفعل تقديره نسلم سلاما.

قوله (قال سلام) ضمير فاعل القول إبراهيم عليه السلام، وارتفع لفظ السلام على تقدير: عليكم سلام أو لكم مني سلام، وإنما اختلف السلامان منهما نصبا ورفعا لأن الرسل سلموا عليه بالفعل فكان ينبغي أن يجيبهم بما هو أفضل، فرد تحيتهم بالجملة الإسمية لأنها أدل على ثبوت السلام لهم.

قوله (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) الفاء للتعقيب، نفي اللبث بمعنى نفي الإبطاء تضاد لفظ (سرعان)، أي: بمجرد استقرارهم في الجلوس سرعان ما قدم لهم الطعام، أو ما إن استقر بهم المقام حتى جاءهم بعجل حنيذ، والعجل ولد البقرة، والحنيذ بمعنى المحنوذ وهو العجل المشوي الذي يقطر ماء وسمنا، وهو دليل أريحية إبراهيم عليه السلام وكرمه لأنه اعتقدهم ضيوفا.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه) الفاء للتفريع، والهاء في (إليه) عائد إلى الطعام، والكلام كناية عن امتناع مد أيديهم إلى الطعام.

قوله (نكرهم وأوجس منهم خيفة) نكرهم وأنكرهم واحد، وهو نكرهم مبالغة في إنكار فعلهم، لأن ذلك الفعل غير معهود من الضيفان، وهو أمارة إضمار الشر والعداوة، والإيجاس والتوجس كناية عما يخطر على القلب من طروق الخيفة.

قوله (قالوا لا تخف) الفصل لأنها بمنزلة جواب ما في نفس إبراهيم، ونهيه عن الخوف تطييب لنفسه وطمأنة لقلبه، وخوف إبراهيم عليه السلام خوف حزم لا خوف جبن، فتأمل، ومقام الحذر لا ينافي مقام النبوة والعصمة الإلهية، لأن ذلك ليس من الرذائل، وإنما الرذيلة في الجبن والتهور.

قوله (إنا أرسلنا إلى قوم لوط) قطعت الجملة لأنها تعليل للنهي، في كونهم ملائكة مرسلين من الله ليس من شأنهم الأكل والشرب، وهي الغرض الثاني من مجيء الرسل إلى إبراهيم، وهو تبليغ النبي لوط بحكم الله وإنذاره لقومه، وإنما قالوا: قوم لوط لأنهم لا اسم يجمعهم من قبيلة أو جد، بل هم خليط من فصائل عرفوا بأسماء المدائن أو قرى سماها القرآن المؤتفكات وأشهرها سدوم.

قوله تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾

قوله تعالى (وامرأته قائمة فضحكت) الواو للحال، والجملة موقعها الحال من قوله (فأوجس)، وتعبر آيات القرآن عن الزوجة بلفظ المرأة، والمقصود

بها سارة، و(قائمة) تصوير لها، لأنهم كانوا يتحادثون حول الطعام وهي في حال من القيام لخدمة الضيفان، فسمعت بشارتهم، والفاء في فعل الضحك للتفريع على قوله (لا تخف)، ودلالة ضحكها التعجب والاستبعاد، لأن البشارة حصلت قبل إخبار الملائكة إبراهيم بخبر قوم لوط، قال تعالى (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) [الذاريات ٢٨]، لأن القصة اختصرت بين البشارة والإنذار.

قوله (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) الفاء للتفريع على (ضحكت)، لأنها ما ضحكت إلا بعد أن بشرها الملائكة بابن، فلما تعجبت من ذلك بشروها بابن الابن زيادة في البشرى، ولهذا سمي يعقوب لأنه أعقب إسحاق أباه بالبشارة، وخصوصية ذكرها بالبشارة من دون إبراهيم لأنها لم يكن لها ولد، ولأن المرأة أعجل فرحا بالولد، ولإبراهيم ولد من هاجر وهو إسماعيل، ولأنهم بشروه وأمنوه، فأتبعوا بشارته ببشارتها.

قوله تعالى ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله (قالت يا ويلتى) الويل والويلة تقال للمصيبة، ونداؤها بمنزلة الاستعارة بإنزالها منزلة العاقل المنادى، والألف للاستغاثة بمعنى: نزل بي ما فيه مصيبتي.

قوله (أألد وأنا عجوز) الفصل لتعليل التعجب. والاستفهام للتعجب، والاستيلاد الإنجاب، وجملة: وأنا عجوز، جملة حالية، أوردت بالجملة الإسمية للإخبار بثبوت معنى العجز، والعجوز صيغة مبالغة تطلق على المرأة والرجل المسنين لعجزهما عن القيام بأمور كثيرة، قال الراغب: والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الامر أي مؤخره كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة. انتهى.

قوله (وهذا بعلي شيخا) الواو عطف، والبعل الزوج، وأصله القائم بالأمر المستغني عن الغير، ويقال للصاحب وللرب: بعل. و: شيخا، حال من لفظ الإشارة.

قوله (إن هذا لشيء عجيب) الفصل للابتداء، والتأكيد المشدد منها زيادة في تعجب حصوله من عجوز عقيم وشيخ كبير.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾

قوله (قالوا أتعجبين من أمر الله) أجابتها الملائكة بإنكار تعجبها من قدرة الله التي لا يعجزها شيء، ولهذا أضيف لفظ الأمر إلى الله ليرتفع الاستغراب.

قوله (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) الفصل تعليل لإنكار عجبين: بخرق العادة من الله، وبتخصيص إبراهيم عليه السلام وامرأته بها، و(على) مجاز في التمكن واستقرار الرحمة والبركات فيهم، وتفيد أل التعريف في لفظ البيت العهد والحضور لبيت إبراهيم.

قوله (إنه حميد مجيد) قطع الجملة ولم يصلها لأنها تعليل لما سبق من رحمته وبركاته، وخصوصية الصفتين من بين أسماء الله الحسنى لمناسبتها وسياق الآية، فالحميد مبالغة في حمد من يطيع الله، والمجيد العظيم الشأن الذي لا حد لكرمه وعطائه، وكلاهما متضمن معنى الثناء على إبراهيم عليه السلام ورضا الله عنه.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ ﴾

قوله (فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى) الفاء تفريع على ما سبق، وتعدية فعل الإذهاب بـ (عن) يعني المجاوزة والإزالة، والروع الرعب، والتعريف للرعب والبشرى تعريف عهد وحضور، ومجيئه البشرى مجاز عقلي للمبالغة بمعنى تبليغ الملائكة بها إياه.

قوله (يجادلنا في قوم لوط) جواب (لما) وفيها حذف تقديره: أخذ يجادلنا، لأن لما الشرطية يكون جوابها فعلا ماضيا، والمجادلة مراجعة الكلام على جهة المغالبة، وقوله: في قوم لوط، أي: في عقاب قوم لوط، لأنه إنما جادل

الملائكة فيه حين أخبرته بذلك، ومجادلته لهم ليس للوقوف ضد عقاب من يستحقه، بل لأنه كان يؤلمه أن يضل الناس على ضلالهم، فيرجو أن يشملهم التوفيق بالتوبة والإنابة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥ ﴾

الفصل تعليل لمجادلة إبراهيم الملائكة، بأنه حليم لا يعاجل بالعقوبة، وأواه كثير التأوه والتوجع مما يرى من سوء أفعال الناس، ومنيب كثير الإنابة إلى الله والرجوع إليه في كل شيء، وهذا رضى من الله تعالى لنبيه وثناء بالغ على إبراهيم عليه السلام، واللام المقترن بلفظ الحليم واقعة في تأكيد خبر (إن)، وفائدة الإتيان بالجملة الإسمية المؤكدة لتحقيق المعنى ورسوخه في نفس إبراهيم وسلوكه.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝٧٦ ﴾

قوله (يا إبراهيم أعرض عن هذا) قطع الجملة لأنه حكاية عن رد الملائكة لإبراهيم، أي: تجاوز مجادلتنا، ولا تكلمنا في شأن عقاب قوم لوط، و(هذا) إشارة إلى الجدال.

قوله (إنه قد جاء أمر ربك) الفصل تعليل لأمرهم (أعرض)، بأن الأمر مقطوع بصدوره من رب العزة، وضمير الشأن في (إنه) للقصر، و(قد)

للتأكيد، ولفظ المجيء مجاز للأمر المحتوم، وأمره التكويني سبحانه، وإضافة كاف الخطاب (ربك) للتذكير بكمال ملك الله وربوبيته فيكون عونا لهم في قطع الجدال.

قوله (وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) الواو للعطف، والجملة زيادة في التأكيد، وضمير جمع الغائب في (إنهم) للقصر، وتنكير لفظ العذاب لتهويله وتعظيم شأنه، وأنه عذاب غير مردود بمعنى لا يقوى أحد على رده عنهم ودفعه.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ ﴾

ما سبق من الآيات تمهيد انتقل به إلى الكلام في قصة قوم لوط في هذه الآية إلى نهاية الآية الثالثة والثمانين.

قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا لوطا) الواو عاطفة، و(لما) حرف شرط لما يستقبل من الزمن، وفي الحديث عن قوم لوط تغير سياق الكلام فلم يقل كما في إرسال الرسل السابقين بتعبير الأخوة، لأن المقام لا يسمح بذلك، فالآيات تنقل أمر تبليغ العقاب، لا تبليغ الرسالة، ثم إن هؤلاء القوم لا يجمعهم اسم قبيلة ينتسبون إليها فيعبر عنهم بما يمكن الانتساب إليه من أخوة النسب، فالنبي لوط لا ينتسب إليهم ـ مثل هود وصالح المنتسبين إلى قوميهما ـ وإن كانت زوجته منهم، فهو من كلدان في أرض بابل ابن أخ

إبراهيم عليه السلام وممن آمن به وهاجر معه إلى الأرض المقدسة في فلسطين ونزل في بعض بلادها وهي قرية سدوم، وقد جاء الرسل لوطا بهيأة الآدميين، كما التقوا إبراهيم عليه السلام.

قوله (سيء بهم) بناء الفعل: ساء للمجهول بمعنى: ساءه مجيئهم، لأنه خاف عليهم من قومه لاعتقاده أنهم آدميون، وكانوا بهيأة ما رئي مثلها جمالا، وطلبوا منه الضيافة، وكان من عادة قومه وضلالهم إتيان الذكور ولا سيما الضيفان.

قوله (وضاق بهم ذرعا) الواو للعطف، و(بهم) أي: بسبب مجيئهم، والضيق قلة الاتساع، والذرع من الذراع قياس معروف للأطوال، والكلام كناية عن قلة الحيلة وعجز الاهتداء إلى مخلص، كمن يذرع فيما لا ينطبق عليه الذراع.

قوله (وقال هذا يوم عصيب) والعصب الشد، ومنه العصابة التي تشد على الرأس من ألم ونحوه، والعصيب مجاز عقلي بمعنى المعصوب، والمراد: هذا يوم التف به الشر واشتد.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ ﴾

قوله (وجاءه قومه يهرعون إليه) أي: جاءه بعض قومه وليس كلهم، فهو مجاز عقلي أسند المجيء إلى الكل وأراد الجزء، مبالغة في أن ذلك الفعل يصدر منهم كلهم، والإهراع السوق الحثيث، ويدل استعماله المبني للمجهول على إسراعهم إلى لوط مندفعين تسوقهم شهواتهم الحيوانية، وجملة (يهرعون إليه) حالية طوي فيه سبب مجيئهم وإهراعهم لأن ما بعده دل عليه.

قوله (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) مضي الكون يدل على أن شأنهم عمل السيئات وديدنهم المنكر وإيتاء الفواحش، وإيراد فعل العمل بالمضارع لتكرره واستمراره منهم، وجمعت السيئات وإن كان هرعهم لفاحشة إتيان الذكور، لأنهم عرفوا بكثرتها وكثرة أمثالها كقطع الطرقات والاستهزاء بالناس، والصفير والمكاء ونحوها.

قوله (قال يا قوم هؤلاء بناتي) الفصل للاستئناف، إذ علم سبب مجيئهم، فبدأ كلامه بندائهم المضاف إلى ضمير التكلم لترقيق قلوبهم، و(هؤلاء) إشارة إلى نساء قومه، أي: بنات قومي، ونسب البنات إلى نفسه ـ مع أن لديه بنتان ـ على سبيل المجاز أنزل نفسه بمقام الأبوة، أراد به لفت انتباههم إلى العلاقة الطبيعية بين المرأة والرجل لا الرجل مع الرجل.

قوله (هن أطهر لكم) تعليل لعرضه (هن بناتي)، واسم التفضيل: أطهر، بمعنى: أطهر مكانا وبيتا، والمراد: الإشارة إلى أنهن حلال لكم فتزوجوهن.

قوله (فاتقوا الله) الفاء للتفريع على ما تضمنه الإخبار من نهي إتيان الفاحشة. ومعنى تقوى الله يتحقق باجتناب معاصيه.

قوله (ولا تخزون في ضيفي) الجملة معطوفة عطف تفسير لقوله (فاتقوا الله)، والخزي هو الذل والإهانة، وتفيد (في) الظرفية، والضيف اسم يطلق على الواحد والجمع. والمعنى: لا تجعلوني مخزيا مهانا عند ضيوفي بإساءتكم إليهم.

قوله (أليس منكم رجل رشيد) الاستفهام إنكار وتوبيخ، و(منكم) للتبعيض، وهو إنكار لاجتماعهم على الفاحشة، والرشيد مبالغة في معنى نفي الرشد عنهم وهو اكتمال العقل، والكلام إغراء لهم على الرجوع إلى العقل للإقلاع عن الفساد والسفاهة.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ ﴾

قوله (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) إجابتهم بالتأكيد المشدد (ولقد علمت) لأنهم أنزلوه منزلة المنكر لعادتهم بسبب عرضه بناته، و(ما) تفيد النفي، واللام في (لنا) لنفي الاستحقاق، والمراد نفي رغبتهم ببناته، وقولهم (في بناتك) على سبيل الاستهزاء والتهكم بعرضه، و(من) زيادة في توكيد مطلق الحق، لأن تنكير حق يراد به العموم، و(الحق) استعارة للرغبة

والحاجة، كأنهم جعلوا فعلهم القبيح سنة جارية لهم ثابتة فيهم، ونفيها نفي الحق عنهم، لذلك قالوا له مذكرين بسنتهم القبيحة: لقد علمت.

قوله (وإنك لتعلم ما نريد) الجملة معطوفة على (لقد علمت)، تأكيد لما قبلها، من أن لوطا يعلم بإرادتهم بعلمه بما جرت عليه سنتهم من فعل الفواحش.

قوله تعالى ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾

قوله (قال لو أن لي بكم قوة) قول لوط استصراخ واستغاثة، ولو تفيد التمني، ويفيد التقديم (لي) القصر، و(بكم) مجاز للاستعلاء بمعنى: عليكم، وتنكير لفظ القوة للتعظيم، أي: قوة أنصار وعشيرة يدفع بهم، لأن لوطا كان غريبا بينهم، أصله من كلدان كما ذكر.

قوله (أو آوي إلى ركن شديد) تفيد (أو) الترديد من التمني، والإيواء الرجوع للمنعة، والركن قطعة من الجبل متصلة بالأرض وصفه بالشدة لصلابته، والمراد: تمنيه لو أن مكانا يعتصم به منهم فلا يصلونه، أو الكناية عن العشيرة يدفع بهم شر قومه، كما نقل عن علي عليه السلام، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور فقال: قال علي رضي الله عنه: والركن الشديد العشيرة فلم يكن للوط عشيرة فو الذي لا إله غيره ما بعث الله نبيا بعد لوط إلا في ثروة من قومه. انتهى.

وفي الكافي للشيخ الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: رحم الله لوطا لو علم من في الحجرة لعلم أنه منصور، حيث يقول: (لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد)، أي ركن أشد من جبرئيل معه في الحجرة؟ فقال عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و(ما هي من الظالمين ببعيد) من ظالمي أمتك إن عملوا ما عمل قوم لوط. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ ﴾

قوله (قالوا يا لوط إنا رسل ربك) ضمير الجمع في فعل القول للملائكة، وإخبارهم بأنهم رسل من الله لأنهم كانوا في هيأة الآدميين مردا لم ير بمثل صورتهم جمال، وإضافة لفظ الربوبية إلى كاف الخطاب لطمأنته ورفع الخوف عنه.

قوله (لن يصلوا إليك) القطع تعليل لإخبارهم، والنفي بـ (لن) للتأبيد، متضمن معنى الثبات واليقين للوط، والتهديد لهم، والكلام كناية عن عدم قدرتهم على ما يطلبون، وفي سورة القمر ذكر تعالى هذا الموقف فقال عز وجل (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) [القمر ٣٧].

قوله (فأسر بأهلك بقطع من الليل) الفاء للتفريع على جملة النفي السابق، ولفظ الإسراء السير ليلا، والباء في (بأهلك) للمصاحبة، ولفظ الأهل يدخل

فيه الزوجة والأولاد والأقرباء، والباء في (بقطع) للملابسة، والقطع الطائفة من الليل بدلالة (من) التجزيئية، يكون فيه الليل أشد حلوكا واسودادا، وسكتت الآية عن سبب سراهم، ولكن السياق يؤيد خروجهم متخفين لا يعلم بهم أحد حتى يكون عذاب قومه عذاب الفجأة.

قوله (ولا يلتفت منكم أحد) الواو للعطف، والجملة معترضة بين المستثنى والمستثنى منه. والالتفات عطف الرقبة بالنظر إلى وراء، والنهي عنه لما سيصيبهم من عذاب ماحق، وقد يراد بالنهي عن الالتفات الكناية عن قلع رغبة الانتماء إلى المكان بالإعراض عنه، وكلام الملائكة للوط إرشادات لضمان نجاته وأهله، ولم تذكر الآية المكان الذي قصدوه بعيدا عن المؤتفكات.

قوله (إلا امرأتك) استثناء من لفظ (بأهلك)، لأنها خائنة هي من دلت قومها على الضيفان.

قوله (إنه مصيبها ما أصابهم) القطع للتعليل، وضمير الشأن المقترن بـ (إن) للقصر، وإيراد صيغة المضي باسم فاعل الإصابة إنزال بمنزلة المتحقق لإفادة حتمية وقوعه، ودلالة الإصابة التعيين، بأن العذاب يصيبهم فلا يخطئهم.

قوله (إن موعدهم الصبح) الفصل للتعليل لقوله (فأسر بأهلك)، والإخبار تعيين وقت العذاب الحال بهم أي: إن موعد عذابهم الصبح، وتعريف

الصبح للحضور في أنه صبيحة ليلتهم التي هم فيها يتكلمون، والصبح بعد طلوع الفجر صدر النهار، وفي الكلام استعجال من الملائكة لعذابهم.

قوله (أليس الصبح بقريب) الاستفهام للنفي، والإخبار متضمن معنى استعجال العذاب لهم تسلية لنفس لوط في استعجاله.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾

قوله (فلما جاء أمرنا) الفاء للتفريع، و(جاء أمرنا) مصطلح قرآني للتعبير عن حلول العذاب.

قوله (جعلنا عاليها سافلها) أي قلبت قراهم فجعل أعلاها أسفلها، بأمر تكويني خسف بهم الأرض فانقلب أعلى قراهم حتى صارت أسفلها، وفي (عاليها سافلها) طباق لافت أشير به إلى إهانتهم حين بدأ بالأعلى.

قوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل منضود) فعل الإمطار مستعمل في القرآن في معنى العذاب، وهو استعارة للتتابع والكثرة، ويفيد (على) تمكن الحجارة واستقراها فيهم، وضمير الغائب عائد إلى بلادهم أو قراهم. وتنكير حجارة لنكارتها، فهي مخلوقة من قطع النيران، إذ قيل في معنى سجّيل: إنه واد في جهنم، أو سجين وهو النار، ورأى الراغب أنه معرب من الفارسية أصله خليط من حجر وطين، وتشبيه الحجارة به من باب التشبيه البليغ، و(منضود) بمعنى المجموع بعضه على بعض، كناية عن

تتابعها وأن ليس بينها فترة، ويبدو من اللفظ أنها براكين وحمم تفجرت الأرض بهم بعد الخسف فأهلكتهم، لأن تركيبة الأرض إلى اليوم ظاهرة في خصائصها، وهي منطقة البحر الميت، موما يحيط بها من صخور سوداء.

قوله تعالى ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

قوله (مسومة عند ربك) الكلام متصل بما قبله، و(المسومة) وصف للحجارة، من السيماء، أي معلمة مسماة باسم من تصيبه فلا تخطئه، و(عند ربك) بمعنى صدور تقديرها من عند الله، وفي ضمير كاف الخطاب الموجه إلى النبي ﷺ تغيير في الكلام وعدول من الغيبة إلى الخطاب ليكون تمهيدا لما بعده في الفاصلة من تهديد قومه.

قوله (وما هي من الظالمين ببعيد) الواو للعطف، و(ما) للنفي، و(هي) عائد إلى الحجارة، وتفيد (من) الابتداء، والمراد بالظالمين المشركين، ويمكن إرادة المعنى العام للظلم، والباء في (ببعيد) زيادة في معنى تأكيد النفي، ولم يقل: بعيدة لأن وزن فعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، والإخبار متضمن معنى تهديد مشركي أهل مكة خاصة، فتأمل جمال انتقال المعاني وبلاغة إيجازها.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

ما زال سياق الآيات ينتظم في ذكر الأمم الهالكة المكذبة بأنبيائها، فوصل تاريخها القديم إلى الكلام عن قصة النبي شعيب مع قومه من الآية الرابعة والثمانين إلى الآية الخامسة والتسعين.

قوله (وإلى مدين أخاهم شعيبا) رجع سياق الآيات إلى ما قبل ذكر النبي لوط، فعطفت الجملة على جملة (وإلى ثمود أخاهم صالحا) فنصب: أخاهم، على تقدير: أرسلنا، وفيه دلالة أن شعيبا منهم. ومدين قرية من جهة الجزيرة على طريق الشام، كان أهلها يعبدون الأصنام. فنسبة الأخوة إلى مدين مجاز أراد به النسبة إلى أهلها.

قوله (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فبدأهم أولا بعبادة الله الواحد، وشدد على توحيده، وترك ما سواه.

قوله (ولا تنقصوا المكيال والميزان) الجملة معطوفة على ما قبلها، لأن التوحيد باعث على العدل في كل شيء، وقد التطفيف في الميزان من سوء أخلاق أهل مدين واحتيالهم على الناس، والمكيال آلة الكيل والميزان آلة الوزن، ونسبة النقصان إليهما مجاز عقلي أراد به نقص ما يكال ويوزن بهما.

قوله (إني أراكم بخير) الفصل لتعليل النهي السابق، والكلام كناية عن غناهم عن هذا الفعل، لأنهم منعمون في خير وفير من الأراضي الخصبة والزراعة الوفيرة ليست بهم حاجة إلى إنقاص الناس حقهم في السرقة منهم بالميزان.

قوله (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) الجملة معطوفة على ما سبقها، تحتمل أن يكون عطف تفسير، ويمكن ان تكون تعليلا آخر، ولا مانع من إرادة التعليلين لأوامره أيضا في قوله (اعبدوا الله) و (ولا تنقصوا). ويحتمل أن يقصد بالعذاب عذاب الاستئصال الدنيوي أو عذاب الآخرة، فكلاهما ينطبق عليه وصف الإحاطة وأن لا مفر منه ولا منجى، وهو ما استعمل كناية عنه بـ (محيط)، ووصف اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب به، فقال: عذاب يوم محيط، وليس: عذابا محيطا، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث، فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه، كما إذا أحاط بنعيمه. كذا التفت إليه صاحب البحر المحيط. أه.

قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ ﴾

قوله (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) نداء ترقيق لقومه أضاف إليه ياء التكلم لإشعارهم بأنه منهم يريد فائدتهم بخطابه لهم، والإيفاء إيتاء الشيء بتمامه من دون نقص، و (بالقسط) تعليل لأمر الإيفاء. والباء فيه

للملابسة، والقسط العدل. وفي الكلام إعادة للمعنى السابق بالنهي عن نقص المكيال والميزان، فهو تأكيد له ولكن بضده، وهو مع إضمام ما بعده تفصيل بعد إجمال، لأنه عندما دعاهم إلى النهي عن نقص حق الناس في الميزان، أمرهم بإيفائه كاملا لهم من دون بخس.

قوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الجملة معطوفة على ما قبلها، والبخس هو النقص، وتعدية فعله إلى مفعولين لأنه من باب كسا، و(أشياءهم) لفظ عام يدخل فيه كل ما يوزن ويكال مما يتخذ طعاما ونحوه.

قوله (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) والعثي هو الإفساد، وبابه عثا يعثو، و(في الأرض) تفيد تعميم أماكن الفساد، و(مفسدين) حال.

وفي كلام شعيب عليه السلام ثلاثة نواه: بدأها متدرجا بأسلوب حكيم من الخاص بالنهي عن نقص المكيال والميزان إلى العام بالنهي عن بخس الناس أشياءهم ثم الأعم بالنهي عن الإفساد في الأرض، ليكون ذلك سبيلا إلى إرشاد قومه، ومن هذا وأمثاله سمى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم شعيبا بأنه خطيب الأنبياء.

قوله تعالى ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦ ﴾

قوله (بقية الله خير لكم) البقية يعني ما يترشح من البيع من ربح، وإضافتها إلى الله لإسباغ الحلية والتشريف عليها لأن فيها البركة لذلك أخبر عنه بأنه

(خير لكم) بعموم لفظ الخير، وقيل: إن المقصود بـ (بقية الله) الثواب الثابت بإزاء المتاع الزائل.

قوله (إن كنتم مؤمنين) الشرط لتعليق الإيمان بالقناعة بما تقدم من معنى بقية الله، وليس لأصل الإيمان.

قوله (وما أنا عليكم بحفيظ) الجملة معطوفة، أو تحتمل أن تكون حالا من (اعبدوا)، ونفي كونه حفيظا عليهم، تأكيد لكونه مبلغا لهم، فالحفيظ مبالغة بمعنى المجبر بينما هم أحرار في اختيار أعمالهم، و(عليكم) مجاز من التسلط والاستعلاء، وفي كلام شعيب عليه السلام نوع استقصاء في ترغيبهم بعمل الخير وترهيبهم بدفع الشر.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾

قوله (قالوا يا شعيب) نداؤهم باسمه أول مبدأ كلامهم للاهتمام بما بعده، لأنه رد منهم على حجة شعيب.

قوله (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) الاستفهام للإنكار والتهكم، وإسناد الأمر إلى الصلاة مجاز عقلي ذكر السبب وأراد المسبب منها من أفعال، وهي دعوته لهم بترك عبادة الأصنام، التي عبروا عنها بـ: ما يعبد

آباؤهم، يريدون بها أنها سنة قديمة متبعة اكتسبت الأحقية والقداسة من قدمها، فهو تقليد أعمى اعتل بهم الذين سبقوهم أيضا، فجملة (أن نترك ما يعبد آباؤنا) جملة تفسير لما سبقها.

وقوله (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) يريدون أنهم أحرار في اختيار نمط العبادة والتصرف في أموالهم، إذ ليس كلهم يتجرون فيطففون في الميزان، وكلامهم داخل في باب التهكم، لأنهم أخبروه على جهة الاستنكار: أصلاتك التي تؤمن بها تأمرك بترك عبادة آبائنا والتصرف بأموالنا، فما الذي يدعونا لأن نأتمر بأمرك، وهي عبادتنا وأموالنا؟

قوله (إنك لأنت الحليم الرشيد) الفصل لتعليل النفي المتضمن كلامهم، والإخبار المؤكد بالقصر و(إن) ولام التوكيد أرادوا به إثبات صفات الحلم والرشد إليه إثباتا لإنكارهم فعله معهم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾

قوله (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا) مر تفسير جملة (أرأيتم) وفيها استدراج حسن لقومه في التوصل إلى الغرض المطلوب، وقد ورد كثيرا على ألسنة الأنبياء.

و: البينة: البصيرة والحجة الواضحة، وأراد بالرزق الحسن وحي النبوة، والمعنى: ما خطئي فيكم إن بعثني الله إليكم لأهديكم إلى ما فيه صلاحكم؟ هل في ذلك سلب لحريتكم وتسلط عليكم.

قوله (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) الجملة معطوفة على ما سبق من رده، و(ما) الأولى: للنفي، و(ما) الثانية اسم موصول، وفعل الإرادة مستعمل في معنى العزم، وتعدية فعل المخالفة بـ (إلى) لتضمنه معنى الميل، أي: أخالفكم مائلا إلى ما أنهاكم عنه لمجرد المخالفة، ويريد بذلك تأكيد معنى ما سبق في أنه مأمور بنهيه لهم غير نابع من تسلط أو تجبر، بل عن صلاح لهم وفائدة عائدة عليهم، بدليل أنه لا يخالف ما ينهى عنه.

قوله (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) الفصل تعليل لما سبق من نفي، وضح فيه غرضه من قوله، أورده بالأسلوب الإخباري المؤكد بالقصر بالنفي والاستثناء. و(ما) مصدرية بمعنى: مدة استطاعتي، والإصلاح معنى عام للخير ضد الإفساد.

قوله (وما توفيقي إلا بالله) الجملة حالية، من ضمير (أريد)، فهو لما قال (ما استطعت) استثنى بأن تلك الإرادة لا تكون إلا في حال من التوفيق بالله، والتوفيق من الوفق وهي المطابقة بين الشيئين، والاتفاق مطابقة فعل

الانسان القدر ويقال ذلك في الخير والشر، يقال اتفق لفلان خير، واتفق له شر، والتوفيق نحوه لكنه يختص في التعارف بالخير دون الشر، قال تعالى (وما توفيقي إلا بالله). كذا ذكر الراغب. انتهى.

قوله (عليه توكلت وإليه أنيب) جملة حالية من لفظ الجلالة، وتقديم المتعلق: عليه، للقصر، وكذا (إليه)، والتوكل زيادة في معنى التفويض والتسليم، والإنابة التوبة والرجوع إلى الله، وكلاهما مر تفسيرهما.

قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ ﴾

قوله (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) الخطاب بإضافة لفظ القوم إلى ضمير التكلم من النبي شعيب عليه السلام لقومه المشركين، أي: لا تكسبنكم عداوتكم إياي إصابتكم بمثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط، ولفظ الجرم أصله قطع الثمرة عن الشجرة، واستعير لكل مكروه، والشقاق العداوة، والغرق هو ما أصاب قوم نوح، وقوم هود الريح الصرصر، وقوم صالح عذاب الصيحة.

قوله (وما قوم لوط منكم ببعيد) الجملة معطوفة، وأكد أولوية الاعتبار بقوم لوط للقرب الزماني والمكاني بين قوم شعيب وقوم لوط إذ لا فاصل كبيرا

بينهما زمانيا أو مكانيا، فمدين قريبة من المدائن بين الأردن والشام، وعذاب لوط سبقهم بأقل من ثلاثة قرون.

قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه) الجملة معطوفة على قوله (ولا يجرمنكم)، وأمرهم بطلب المغفرة وأعقبه بطلب التوبة من الله بالعزم على عدم الرجوع إلى معاصيهم، وقوله: ربكم، تذكير لهم بعبوديتهم القهرية له سبحانه وأن لا مصلحة لهم بالإعراض عن عبادته.

قوله (إن ربي رحيم ودود) القطع لتعليل أوامره السابقة لهم، والإخبار مؤكد بالجملة الإسمية المبدوءة بحرف التأكيد (إن) للزوم صفات الرحمة والمحبة له سبحانه، وكلتا الصفتين صيغة مبالغة لتكثير المعنى، وقوله: ربي - وليس ربكم - تأكيد بتشرفه بهذه العبودية وإشعار لقومه باعتزازه بها.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾

قوله (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) يريدون: أن كلام شعيب بلا فائدة ولا تأثير له فيهم، وليس المراد عدم فهم كلامه فشعيب مفوه فصيح

خطيب الأنبياء، ونفي الفقه عن أنفسهم بمعنى نفي الفهم، والفقه أخص منه، وفي قولهم لجوء إلى غلق الحوار لعجزهم عن رد حجج شعيب، وهو كلام يشبه كلام قوم نوح في ردهم عليه (جادلتنا فأكثرت جدالنا)، ولا يفهم

قوله (وإنا لنراك فينا ضعيفا) الجملة معطوفة، وتوكيدهم المشدد لأنهم أنزلوه بمنزلة من ينكر أنهم يعلمون ضعفه تعريضا به، فهم أرادوا توكيد ضعفه وأنه ليس قويا فيعبأ بكلامه ويجهد الذهن في فهمه.

قوله (ولولا رهطك لرجمناك) الجملة معطوفة على قوله (وإنا لنراك)، والرهط الجماعة الصغيرة من الثلاثة إلى العشرة، سموا بها عشيرته تقليلا لشأنه، وفي الكلام تقدير للخبر المحذوف بمعنى: ولولا رهطك مكرمون لرجمناك، وما بعدل يدل عليه، وقوله: لرجمناك، اللام للتوكيد واقعة في جواب لولا، والرجم الرمي بالحجارة حتى الموت.

قوله (وما أنت علينا بعزيز) والعطف تأكيد لما سبق، أرادوا أنهم لا يرجموه لمكان رهطه، لا لمكان عزته عليهم، وتعدية العزيز بـ (علينا) لا يفيد معنى الاستعلاء أو التقوية، بل متضمن معنى الشدة، أي: رجمك لا يشتد على نفوسنا، والباء المقترن بلفظ العزيز لتقوية النفي.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ ﴾

قوله (قال يا قوم) رد منه عليهم والنداء للتنبيه، وإضافة لفظ القوم إلى ياء التكلم تأدب من شعيب وشفقة.

قوله (أرهطي أعز عليكم من الله) احتجاج منه عليهم، بدأه بالاستفهام الذي يفيد إنكار فهمهم بمقام الألوهية، فالله أعز من كل عزيز، وأنه عزيز بالله لا برهطه، وأنه لا يعول على رهطه كما يزعمون.

قوله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) الجملة حالية، وهي كناية عن نسيان الله، والاتخاذ الجعل، و(وراءكم): زيادة في معنى النسيان، و(ظهريا): نسبة إلى الظهر، فكل ما هو خلف الظهر معرض قليل المشاهدة معرض للنسيان، والمعنى أنهم لكثرة عبادتهم الأصنام صاروا لا يعرفون مظاهر توحيده.

قوله (إن ربي بما تعملون محيط) تعليل لنفي أن يكون نسيا، فأكد بالجملة الإسمية لما فيها من دلالة التحقيق والثبوت، ولفظ الإحاطة استعارة للعلم بكل شيء، وهو رد على سفههم بنسيان عزة الله.

قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣ ﴾

قوله (ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل) الكلام تصوير لما عرفت به شخصية شعيب من فصاحة وبيان في خطاب قومه، فهو أنصف قومه في

تهديدهم من دون أن يهيج تعصبهم لأنفسهم، فجعل نفسه قسيما لهم في الكلام، فأضمر تأييد الله له ووعده بإحلال العذاب فيهم.

قوله (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) وأبهم ولم يصرح من الذي يأتيه عذاب يخزيه ولا من هو الكاذب، مع أنه يعلم أنه مؤيد من ربه، وأن العذاب مخزيهم وأنهم هم الكاذبون.

قوله (وارتقبوا إني معكم رقيب) أجرى أمره مجرى ما سبق من إنصاف قومه في مخاطبتهم، والارتقاب توقع المحذور، وأوامره: اعملوا، ارتقبوا، مجازية تحمل معنى التهديد لهم.

والفصل في جملة: إني عامل، إني معكم رقيب، لوقوعها خبرا بعد إنشاء، والآية مرت في سورة الأعراف.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

قوله (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه) أي: حل بهم العذاب الذي استأصل شأفتهم، وأنجى الله نبيه ومن آمن معه تفضلا منه ورحمة بهم، وأهلك الله الظالمين بشركهم بعذاب الصيحة الذي فجأهم فاصبحوا

موتى في ديارهم كأنهم للزومهم الأرض هلعا لصقوا جثوما بها، فمجيء الأمر كناية عن نزول عذاب الله فيهم.

قوله (برحمة منا) أي: بسبب نوع رحمة إلهية شملت شعيبا ومن آمن معه.

قوله (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أي: أفنتهم الصيحة واستأصلت شأفتهم، والإتيان بجملة الموصول لبيان علة الأخذ.

قوله (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) الفاء لتفريع النتيجة على السبب، وذكر الديار بمعنى الموطن، والجثوم الموت على وجوههم لصوقا في الأرض.

قوله تعالى ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾

قوله (كأن لم يغنوا فيها) شبه فناءهم واستئصالهم وخلوهم من ديارهم بأنفسهم في حال لم يقيموا فيها ولم يغنوا بأموالهم ودورهم.

قوله (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) و(ألا): استفتاح للتنبيه، و(بعدا): مصدر من الفعل: ليبعدوا، و(لمدين): مجاز، أي: لأهل مدين، وقوله: (كما بعدت ثمود) تشبيه لحال لعنهم بحال ثمود قوم هود، لأنهم أشبهوهم بالشرك والعصيان وسوء العاقبة، وهو نوع استطراد لافت لم يرد كثيرا في القرآن الكريم.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ ﴾

لما تقدم ذكر الأمم وأحوالها مع أنبيائهم متسلسلين تاريخيا وصل ذكر بني إسرائيل وأحوالهم مع موسى عليه السلام بدءا من الآية السادسة والتسعين إلى الآية التاسعة والتسعين فأوجزت الآيات الكلام في شأنه لأنها ذكرته مفصلا في مائة ونيف وثلاثين موضعا.

قوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) تشديد التأكيد لإنزالها المخاطبين ممن أنكروا صحة القرآن منزلة المنكرين، و(بآياتنا): الباء للمصاحبة، والآيات المعجزات سميت بذلك لظهورها كالعلامات الواضحة المختصرة للمعاني الكثيرة، وإضافتها إلى ضمير التكلم للتشريف والتعظيم، وأرسل الله موسى مصحوبا بآياته وليست بآية واحدة لأن معجزاته كثيرة.

قوله (وسلطان مبين) أي: وبحجة قاطعة ظاهرة تعم ذكر الآيات، فهو تعميم بعد تخصيص، تسلط بها موسى عليه السلام على فرعون فقضي عليه بالغرق.

قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ ﴾

قوله (إلى فرعون وملئه) الظرف متعلق بالفعل: أرسلنا، وعطف ملأه على فرعون لأن أثرهم واضح في قرار فرعون وظلم بني إسرائيل، ويراد بلفظ الملأ أشراف القبط من آل فرعون.

قوله (فاتبعوا أمر فرعون) الفاء للسبب، أي: لأنهم اتبعوا أمر فرعون، ولفظ الاتباع مجاز مرسل يراد به الطاعة والانقياد.

قوله (وما أمر فرعون برشيد) الجملة حالية، أي: اتبعوه في حال أن أمره ليس برشيد. والأمر هو الشأن، و: برشيد: الباء زائدة لتأكيد النفي. والرشيد صيغة مبالغة في معنى نفي الرشد وضده الغي، والمراد تأكيد سفه فرعون تعريضا بتجهيل قومه الذين شايعوه على أمره حتى وصل السفه به ادعاء الإلهية وهو بشر مثلهم.

قوله تعالى ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨ ﴾

قوله (يقدُمُ قومه يوم القيامة) فصلت الجملة لأنها تفسير لجملة نفي الرشد، أو يمكن أن تكون جملة استئناف أو حال، والقدوم السبق فكل متقدم سابق على من يأتي بعده، فهو يتقدم قومه من القبطيين يوم القيامة كونهم مؤتمين به أتباع له، كناية عن قيادته لقومه إلى النار، والكلام من أخبار الغيب يوم القيامة أنزل منزلة الكائن لحتمية وقوعه.

قوله (فأوردهم النار) الفاء تفريع على الفعل (يقدم)، و(أوردهم): استعارة بالكناية، شبه عطش قومه بمن يسعى إلى عين ماء ـ وهي الورد ـ ثم حذف المشبه به وأشار إلى ما يلزمه على سبيل الاستعارة المكنية، وفي لفظ إيرادهم النار استعارة تهكم بهم.

قوله (وبئس الورد المورود) الجملة حالية تفيد الذم، والورد موضع الماء، استعارة تصريحية أراد بها النار، تعويلا على ما سبق، و(المورود): المطلوب، والتجنيس تفنن لافت للأسماع بالتهكم منهم، والمخصوص بالذم محذوف دل عليه ما سبق وهو النار، فتكون الجملة: بئس الورد المورود النار.

قوله تعالى ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾

قوله (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة) الواو للعطف، ولفظ الإتْباع التعقيب والإلحاق، و(أُتْبعوا): جناس ناقص مع الفعل: (اتّبعوا)، ولفظ الإشارة بالقريب للحياة الدنيا لتحقيرها وتقليل شأنها بإزاء الحياة الباقية في عالم الآخرة، واللعن دعاء بالطرد من رحمة الله تعالى، و(ويوم القيامة): الواو عاطفة، والمعنى: ألحقوا لعنة في الدنيا وفي الآخرة.

قوله (بئس الرفد المرفود) الفصل لقصد إنشاء الذم، والرِفْد ما يُعطى مما ينفع ويعين، وهو استعارة تصريحية للّعن تفيد التهكم، والمخصوص بالذم محذوف تقديره رفدهم، أي: بئس الرفد المرفود رفدهم، و(المرفود): المعطى، وإجراء التذكير عليه لأنه صفة للرفد، وبين لفظي: الورد والمورود، تفنن بديعي من التجنيس الاشتقاقي، والجملة تحاذي قوله في الآية السابقة: (بئس الورد المرود)، معنى ووزنا وبديعا.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ ﴾

أجملت الآيات ـ إلى الآية الثامنة بعد المائة ـ تفصيل ما تقدم من ذكر الأمم السابقة،

قوله (ذلك من أنباء القرى) الفصل للاستئناف، ذلك: اسم إشارة للبعيد مستعمل لاختصار ما تقدم وتمييزه لترسيخه في الذهن، وأريد ببعده بعد حضوره عن الذهن لغيبه، و(من): للتبعيض، إشارة إلى أن ليس كل قصص الأمم ذكرها القرآن بل بعضا منها، ولفظ الأنباء يعني الأخبار المشتملة على الحوادث الهامة من عهد نوح إلى ما بعدها، و(القرى): الحواضر، خصت بالذكر كونها الأكثر تأثيرا وسكنا.

قوله (نقصه عليك) نقصه بمعنى نتلوه، والهاء في ضمير فعل القص عائد على ضمير (ذلك) بمعنى النبأ أو الأمر، وحرف الجر (على) يفيد التمكن، والكاف فيه للخطاب موجه إلى النبي ﷺ.

قوله (منها قائم وحصيد) مقام الجملة الحال، وضمير(منها) عائد إلى الأنباء، و(قائم وحصيد) استعارة بالكناية عن الزرع القائم الظاهر الذي وضح أثره، والزرع المحصود الذي لا أثر له، فمن الأمم البائدة التي بقيت آثارها شاخصة الفراعنة في مصر كالأهرامات والكرنك وأبو الهول، وآثار النمرود في محرقته ببابل، وآثار قوم يونس في نينوى، وآثار قوم تُبَّع في

صنعاء، أما الأمم الحصيدة فهي التي لا أثر لها كعاد، ومدائن قوم لوط، ومدين.

قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

قوله (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) الواو للاستئناف، وضمير جمع الغائبين في (ظلمناهم) عائد على أهل القرى، و(لكن): للاستدراك على النفي، في أن ظلم الظالمين لغيرهم رجع على أنفسهم على أساس المجازاة.

قوله (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) الفاء للتفريع على ظلمهم أنفسهم الذي من مظاهره عبادة الأصنام التي عبدوها من دون الله فعجزت عن نجدتهم ودفع عذاب الاستئصال عنهم لما حل بهم، و(من) الأولى ابتدائية، و(من) الثانية زائدة لتأكيد نفي عموم الانتفاع، و(لما) ظرفية بمعنى حين، ومجيء أمر الله مجاز في حلول عذاب الاستئصال، والخطاب في إضافة الرب إلى كاف النبي ﷺ للتشريف، ولا يخلو الكلام من تهديد لأهل مكة لأنهم يشبهونهم في عبادة الأصنام.

قوله (وما زادوهم غير تتبيب) الواو للعطف، والجملة زيادة في التأكيد، والتتبيب من الفعل المضعف تبّب وهو الخسران المستمر، وضمير جمع

الغائبين في (زادهم): عائد إلى الآلهة، والزيادة استعارة تهكم، لأنها تقال فيما ينفع، لكنها فجأتهم بلفظ التخسير، والنفي والاستثناء يفيد قصر الخسران بزيادتهم.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ ﴾

قوله (وكذلك أخذ ربك) الواو عاطف، والتشبيه بلفظ الإشارة للبعيد بمعنى بمثل ذلك العقاب عقاب ربك، ولفظ الإخذ كناية عن الإمساك وعدم الفوات ويراد به الإهلاك، وذكر لفظ الربوبية للتعظيم وإضافته إلى ضمير نبيه محمد ﷺ للعناية والاهتمام.

قوله (إذا أخذ القرى) أي: إذا قضى بإهلاكها والقضاء عليها، ولفظ القرى مجاز مرسل بعلاقة المحلية، ذكر المحل ـ القرى ـ وأراد الحالين فيها وهم أهلها.

قوله (وهي ظالمة) الجملة حالية، أي: في حال من الظلم، و(ظالمة): مجاز عقلي نسب الظلم للقرى وأراد أهلها، والظلم تعبير في القرآن يطلق على الشرك.

قوله (إن أخذه أليم شديد) الفصل بيان لقوله (وكذلك أخذ ربك)، وصفة الأليم مبالغة في معنى المؤلم، والشديد القوي.

وفي الخبر المنقول عن الرسول ﷺ أنه قال: إن الله سبحانه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

قوله (إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة) الفصل للاستئناف، والإخبار بكثرة الموكدات لإنكارهم، و(ذلك) أي: ذلك العذاب المستأصل لوجودهم في عالم الدنيا، والآية العلامة، والمعنى: إن عذاب الدنيا علامة لمن خاف من عذاب الآخرة، وإنما هي علامة للاعتبار بها.

قوله (ذلك يوم مجموع له الناس) ذلك: تنويه بذكر يوم الآخرة، و(مجموع له): أي: مجموع لأجله وهو الحشر، وتعريف الناس لإفادة العموم.

قوله (وذلك يوم مشهود) الواو عاطف، ويوم القيامة مشهود لتحققه، أو مشهود يشهده الشاهدون.

قوله تعالى ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾

قوله (وما نؤخره) ما: للنفي، وضمير الغائب في فعل التأخير عائد إلى اليوم المشهود.

قوله (إلا لأجل معدود) وإلا: أداة استثناء ملغاة لانتقاض نفيها بـ (ما)، و: لأجل: اللام للتعليل، والأجل المدة، وسماه معدودا وأراد به تعيينه لأن كل معدود متعين. والمراد تقريب مدته.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾

قوله (يوم يأتي) يوم: مستعمل بمعنى: حين، وفعل الإتيان كناية عن وقوع يوم القيامة وحلوله، والضمير فيه عائد إلى اليوم المشهود.

قوله (لا تكلم نفس إلا بإذنه) الفصل للابتداء، و: لا تكلم: أي: لا تتكلم، وتنكير النفس بمعنى مطلق النفس، و: إلا بإذنه: أي: إلا بإذن الله، وهو إذن تكويني رفع عن النفس البشرية في عالم الدنيا، أما في الآخرة فلا أحد مأذون له بالكلام إلا من يشاء الله له بالكلام، وفي الكلام تعريض بزعم المشركين بشفاعة أصنامهم لهم وإبطال له.

قوله (فمنهم شقي وسعيد) الفاء تفريع، وضمير جمع الغائبين في (منهم) عائد إلى الناس في قوله (مجموع له الناس)، والشقي صفة مشبهة من الشقاوة، وهو المتلبس بصفاتها وسوئها، والسعيد ضد الشقي، وهو المتصف بها المتلبس بصفات السعادة، وتقسيم الناس أشقياء أو سعداء لإفادة الحصر يوم القيامة، إذ لا فئة ثالثة، والواو عاطفة بمعنى: ومنهم سعيد.

وفي المأثور ما ذكر في الدر المنثور، أن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت: فمنهم شقي وسعيد، قلت: يا رسول الله فعلى م نعمل؟ على شيء قد فرغ منه أم على شيء لم يفرغ منه؟ قال: بل على شيء قد فرغ منه، وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قوله (فأما الذين شقوا ففي النار) الفاء تفريع على (فمنهم شقي وسعيد)، و: أما: شرط يفيد التفصيل، والذين شقوا يدخل فيه من كتب عليهم الشقاء من أهل المعاصي وأولها الشرك بالله، يقضي بها الله وحده، وقوله (ففي النار) الفاء واقعة في الجزاء، والظرفية (في) لإفادة تضمنها لهم.

قوله (لهم فيها زفير وشهيق) تقديم (لهم) للعناية بالكلام فيهم، واللام لام الاستحقاق، وتفيد (فيها) التضمين، والزفير صوت الهواء الخارج من الصدر عبر الأنفاس، والشهيق عكس الزفير اجتلاب الهواء إلى داخل الصدر، وكلاهما يقوم عليهما التنفس للبقاء والإدراك، وهما استعارتان لأصوات الحزن والكرب داخل النار، والمراد تبشيع منظر بقائهم في النار مدركين لآلامها.

قوله تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾

قوله (خالدين فيها) أي: دوام العذاب في النار، قال الراغب: الخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد يصفه العرب بالخلود كقولهم للأثافي: خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها يقال: خلد يخلد خلودا، قال تعالى: (لعلكم تخلدون) والخلد - بالفتح فالسكون - اسم للجزء الذي يبقى من الانسان على حالته فلا يستحيل ما دام الانسان حيا استحالة سائر أجزائه، وأصل المخلد الذي يبقى مدة طويلة، ومنه قيل: رجل مخلد لمن أبطأ عنه الشيب، ودابة مخلدة هي التي تبقى ثناياها حتى تخرج رباعيتها ثم استعير للمبقي دائما. انتهى.

قوله (ما دامت السماوات والأرض) تفيد (ما) المصدرية بمعنى: مدة بقاء السماوات والأرض، وهو تقييد لمدة بقائهم في النار، وليس المراد بها سماوات العالم المؤقت وأرضه، لأنها فانية بدليل قوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) [الأنبياء ١٠٤]، وقوله: (والسماوات مطويات بيمينه) [الزمر ٦٧]، ولذلك وردت بمطلقها، لأن للآخرة سماوات وأرضا يخلقها الله بعد فناء كل شيء يوم القيامة قال تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار) [إبراهيم ٤٨]، وقال على لسان أهل الجنة: (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء) [الزمر ٧٤].

قوله (إلا ما شاء ربك) الاستثناء بتعليق المشيئة يعني إمكان تدارك الرحمة لمن في النار بشفاعة أو نحوه لإخراجه وإدخاله الجنة، وهؤلاء يقال لهم الجهنميون من أهل التوحيد خاصة لا عامة أهل النار.

قوله (إن ربك فعال لما يريد) الفصل لتعليل الاستثناء، والإخبار مؤكد بالجملة الإسمية المبدوءة بحرف التوكيد (إن) لدوام المعنى وثبوته، وصيغة فعال مبالغة في أن فعله سبحانه عين إرادته.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾

قوله (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض) الآية في مقابل التي سبقتها في المعنى والفن، والفعل: سعدوا، فعل لازم بني للمجهول لأنه عومل بمعنى: أسعدوا، في إشارة إلى أن السعادة والخير أصلهما من الله تعالى، بينما ورد في الآية السابقة (الذين شقوا) الفعل مبنيا للمعلوم لأنهم هم سبب ما لحقهم من شر.

قوله (إلا ما شاء ربك) الاستثناء من باب إثبات كمال قدرته، فمشيئته سبحانه كتبت الجنة للمطيعين المؤمنين، وليس معناه إخراج من يدخل الجنة وإدخاله النار، فهذا غير وارد على الإطلاق، وهو ما يفسره قوله (عطاء غير مجذوذ) أي: كرم غير مقطوع.

قوله تعالى ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قوله (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) الفاء تفريع على قصص ما مضى، وحذف النون من (تك) للتخفيف، والخطاب ليس مقصودا به سامع بعينه، أو يراد به خطاب للأمة عبر النبي ﷺ.

و(في) للظرفية المجازية مبالغة في الدخول في الشك. ولفظ المرية والامتراء الشك، و(ما) مصدرية بمعنى: عبادة، و(هؤلاء) إشارة إلى مشركي مكة تقليلا من شأنهم، والمراد: نفي الشك من الشك في بطلان عبادة مشركي مكة للأصنام.

قوله (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل) الفصل لأنها تعليل للنهي، بأن عبادتهم تقليد أعمى وتغييب للعقل، و: آباؤهم: أسلافهم كعاد وثمود، لأن العرب العدنانيين أمهم جرهمية، وهي امرأة إسماعيل، وجرهم من إخوة ثمود، وثمود إخوة لعاد، ولأن قريشا كانت أمهم خزاعية وهي زوج قصي، وعبادة الأصنام أتاهم بها عمرو بن لحي، وهو جد خزاعة. كذا اختصر تاريخهم صاحب التحرير والتنوير. انتهى. والظرف في قوله (من قبل) قرينة مضي بعيد، وفي الكلام تهديد شديد.

قوله (وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) الجملة معطوفة على جملة التعليل، واللام في (لموفوهم) للتوكيد واقعة في خبر (إن)، والتوفية تمام

الإعطاء، والنصيب الحظ، كناية عن العذاب الكامل، و: غير منقوص: حال، تأكيد لمعنى (لموفوهم)، والمعنى: إيعاد لهم من الله تعالى بجزائهم على شركهم بما يستحقون جزاء تاما غير منقوص كما جوزي آباؤهم من قبل، وفي الكلام إياس للمشركين من عفو الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾

قوله (ولقد آتينا موسى الكتاب) لما ذكر اختلاف المشركين ـ وهو أصل ذكر قصص الأمم البائدة ـ في ادعاء افتراء القرآن، ذكر اختلاف أمة موسى فيما آتاه الله من الكتاب، وتعريف لفظ الكتاب لحضوره وهو التوراة.

قوله (فاختلف فيه) الفاء للتفريع. ولفظ الاختلاف بمعنى تشتت الرأي ونفي اجتماع قوم موسى على رأي واحد فمنهم من أنكره ومنهم من آمن به.

قوله (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم) يعني بالكلمة الكلمة التي وعد الله بها أن تكون الأرض محل تكليف للبشر، قال تعالى (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) [البقرة ٣٦]، وقوله (لقضي بينهم) أي لأنهى اختلافهم بإهلاكهم وإفنائهم في عاجل الدنيا قبل آجلها.

قوله (وإنهم لفي شك منه مريب) الواو عطف، وضمير جمع الغائبين في (إنهم) عائد إلى اليهود ـ كما قرر ذلك السيد الطباطبائي ـ وضمير الغائب في (منه) عائد إلى التوراة، ولفظ الإرابة تأكيد للشك كما يقال: ظل ظليل،

والمعنى: إن اليهود شاكون شكا في صحة الكتاب الذي عندهم، لأنها ليست التوراة النازلة على موسى عليه السلام لما لحقها من تحريف وتجسيم لله تعالى ومفاهيم غير لائقة.

قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾

قوله (وإن كلا) الواو للعطف، ولفظ الكل نون لقطعه عن الإضافة، ويشمل اليهود ومشركي مكة لأنهم المذكورون في الاختلاف والشك بالكتب السماوية.

وقوله (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) تفيد اللام في (لما) التوكيد وهي الداخلة على خبر (إن)، و(ما) زائدة للتوكيد فاصلة بين اللام الواقعة في خبر (إن) ولام القسم في (ليوفينهم) لكراهة توالي الأمثال، وقيل: إن أصلها: من ما، وقلبت إلى مما بالقراءة فصار (لما)، وذكر صاحب المنار أنها (لما) الجازمة على تقدير: وإن كلا لما يوفوا أعمالهم فلنوفينهم إياها، وفعل التوفية يعني: إيفاؤهم أعمالهم بمجازاتهم عليها بالعقاب.

قوله (إنه بما يعملون خبير) الفصل للتعليل، وضمير الشأن في (إنه) للقصر، و: بما يعملون متعلقة بـ (خبير) والخبير العارف بدقائق الأمور وخفاياها.

قوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾

قوله (فاستقم كما أمرت) الفاء للتفريع، وأمر الاستقامة كناية عن الثبات على الدين، وقوله (كما أمرت) تقع حالا، أي: كما أمرت بالدوام على الاستقامة فيه، وفيه عناية وتنويه بتخصيص ذكر النبي ﷺ، ذكر الطبرسي في المجمع: قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله: شيبتني هود والواقعة. انتهى.

قوله (ومن تاب معك) الواو عطف على ضمير فعل الاستقامة، أي: والذين تابوا من الشرك وآمنو بك، و(معك) حال من فعل التوبة، أي: في حال معيتهم لك، وليس متعلقا بـ (تاب) لأن النبي لم يكن مشركا.

قوله (ولا تطغوا) الواو للعطف، والنهي للمؤمنين التائبين عن الطغيان، والطغيان أصله تجاوز الحد والإفراط، والمراد: النهي عن جرأة مخالفة أوامر الله وأحكامه أو عدم الاكتراث بها، بل هو نهي عن أصول المفاسد.

قوله (إنه بما تعلمون بصير) الفصل للتعليل، والجملة مؤكدة بـ (إن) وضمير الشأن، والبصير صيغة مبالغة من العلم فيها تلويح لمن يطغى.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

قوله (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) الواو للعطف، والركون الميل الشديد، ويشار به للقوة، وهو كناية عن الموافقة على فعل المشركين والاعتماد عليهم أو مجاملتهم، ومن هنا وقع النهي المؤمنين لأنهم إذا استمروا بالركون سيكونون تابعين لهم منافقين، والظلم هو الشرك، والصلة علة للنهي.

قوله (فتمسكم النار) الفاء للتفريع على النهي، ومس النار كناية عن دخولهم فيها، وهو أخص في الإصابة من اللمس.

قوله (وما لكم من دون الله من أولياء) الجملة حالية، أي: لا تملكون من يدفع عنكم العذاب من دون الله أو ينفعكم. و(من) الأولى حرف جر لنفي الابتداء، و(من) الثانية زائدة لتوكيد نفي الأولياء من غير الله تعالى.

قوله (ثم لا تنصرون) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، ونفي النصرة نفي التأييد والشفاعة لهم، أي ولا تجدون من يؤيدكم وينتصر لكم.

قوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

قوله (وأقم الصلاة) الجملة معطوفة لأن الكلام متصل بالوصايا بالأحكام العامة التي بها استقامة الدين والحياة، وهي نتائج وعبر مستخلصة من قصص ما ذكر، وإقامة أداؤها على أصولها، وخصت بالذكر لأهميتها لأنها الشعار الظاهر للمؤمن، والخطاب ليس مخصصا بالنبي ﷺ، بل لعامة المؤمنين.

قوله (طرفي النهار) كناية عن أول النهار بطلوع الفجر ونهايته إلى غروب الشمس، والمراد به إقامة صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر، والنهار سمي بذلك لاتساع الضوء فيه.

قوله (وزلفا من الليل) الواو للعطف، أي: وأقم الصلاة زلفا من الليل، وهو وقت صلاة المغرب والعشاء، والزلف وقت قرب الليل من النهار.

قوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) الفصل لتعليل جملة (أقم الصلاة)، والإخبار المؤكد بالجملة الإسمية لإفادة لزوم المعنى، والحسنات لفظ عام لكل خير نوي به القرب من الله، والسيئات نقيضه، معنى عام لكل يتصف به الشر، ومعنى الإذهاب الإزالة، والهمزة في ماضيه للتعدية، وإسناد فعل (يذهبن) إلى الحسنات مجاز عقلي بعلاقة المسببية والمراد إذهاب آثار الصلاة للسيئات، أي: العمل الصالح الذي تكون الصلاة سببا فيه.

وأثر في الروايات المعتبرة كثير من تأكيدات أهمية الصلاة وأن الذنوب تتحات بها كما يتحات ورق الشجر من الغصن اليابس، وأنها كفارة الذنب، ذكر العياشي في تفسيره عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

أرجى آية في كتاب الله: (واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) وقرأ الآية كلها، وقال: يا علي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا - إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط من جوارحه الذنوب فإذا استقبل بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته امه فإذا أصاب شيئا بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس. انتهى.

قوله (ذلك ذكرى للذاكرين) الفصل للتأكيد باتحاد المعنى والمبنى بينها وبين الجملة السابقة. ولفظ الإشارة لتمييز قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات)، ولفظ الذكر مبالغة في الذكر، والذاكرون هم المتلبسين بفعل الصلاة، وبين اللفظين جناس اشتقاقي لطيف.

قوله تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

قوله (واصبر) وأمر الصبر للنبي ﷺ يراد به تحمل المشاق في النهوض بدعوة التوحيد، ويشمل جميع ما تقدم من الأوامر والنواهي لأنها كلها قائمة على معنى الصبر.

قوله (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) الفاء في (فإن) للسبب. والجملة تعليل لفعل الصبر، ونفي الإضاعة تأكيد لحفظ الأجر والثواب، والمحسن العامل للإحسان، وفي إيراد لفظه ثناء بالغ من الله على نبيه.

قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

قوله (فلولا كان من القرون أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض) الفاء للتفريع، ولولا بمعنى: هلا، وتفيد التحضيض والتوبيخ، وأراد بقوله (من القرون) من الأمم، ومعنى قوله (أولوا بقية) أي قوم باقون، كناية عن أهل العقل والحكمة. والنهي عن الفساد منع وقوع العدوان والبغي. وتعريف الأرض للعموم.

والمعنى: هلا كان من الأمم من قبلكم وقد أفنيناهم أولو بقية ممن ينهى عن الفساد في الأرض فيصلحوا أمتهم ويحفظوها من عذاب الاستئصال.

قوله (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) استثناء أخرج الله به ممن نجاهم من عذاب الاستئصال، بدلالة (منهم) التبعيضية.

قوله (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) الواو عاطف، والجملة بيان حال الباقي بعد الاستثناء، وقد عرفهم بأنهم أكثرهم ظالمون ومجرمون، والمراد بلفظ الاتباع الانقياد إلى لذائذ الدنيا اليت عبر عنها بلفظ الترف، إذن تحصل من الاستثناء وبيان الباقي منهم تمييز نوعين من الناس: ناجين ومجرمين.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

قوله (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) صيغة نفي الكون ولام الجحود المقترنة بخبرها تشديد في النفي، أي: ليس من شأن ربك إهلاك أهل القرى بظلم في حال صلاح أهلها.

والمراد بـ (ليهلك القرى) ليهلك أهلها، وهو مجاز مرسل بعلاقة المحلية مبالغة في معنى الإهلاك، والباء في (بظلم) للملابسة.

قوله (وأهلها مصلحون) جملة حالية، والمصلحون فاعلو الصلاح.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

قوله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) الواو واو التفسير، والمعنى: أن مشيئته قضت باختلاف الناس مجازاة لأعمالهم، وأمر جمعهم على كلمة واحدة لا يعجز الله لو شاءت مشيئته، والأمة الواحدة كناية عن نفي اختلاف الناس في الدين لأنه هو المنهي عنه.

قوله (ولا يزالون مختلفين) أي: إن مشيئته سائرة في استمرار اختلافهم في الدين حتى انقضاء آجالهم في عالم الدنيا.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩ ﴾

قوله (إلا من رحم ربك) الاستثناء من الاختلاف والتفرق في الدين والحق يكون برحمة وعناية وهداية من الله لبعض عباده.

قوله (ولذلك خلقهم) الواو عاطف، ولفظ الإشارة بمعنى: ولذلك الأمر من الرحمة والحق من عدم الاختلاف فيه خلقهم.

قوله (وتمت كلمة ربك) الواو للعطف، وفعل الإتمام بمعنى الأحقية والإيجاب: أي: حقت ووجبت، وكلمة الله مجاز مرسل يعني بها قوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) والفصل للجملة لوقوعها جوابا لسؤال مفترض عن كلمة الله، والأصل فيها ما توعد الله به إبليس في قوله (فبعزتك لا غوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) [ص ٨٥].

قوله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ ﴾

ختمت السورة بآيات تلخص للنبي ﷺ ما جاء فيها من أغراض.

قوله (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل) الواو للعطف، وتنوين (كلا) لقطعها عن الإضافة بمعنى: وكل القصص إجمالها وتفصيلها، وقوله (من أنباء الرسل) أي من أخبارهم مع أممهم.

قوله (ما نثبت به فؤادك) تعليل لبيان القص، وتثبيت الفؤاد كناية عن الطمأنينة والسكينة وإزالة ما يصيبه من قلق واضطراب.

قوله (وجاءك في هذه الحق) أي: ونزل عليك ووصلك في هذه السورة الحق من المعاني المختلفة لهذا اللفظ كالمعارف الإلهية وأخبار الغيب.

قوله (وموعظة وذكرى للمؤمنين) أي: وجاءت المؤمنين الموعظة والذكرى من الوصايا والأوامر والنواهي والأخبار ما فيه يتعظون به في صلاح دينهم ودنياهم.

قوله تعالى ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

قوله (وقل للذين لا يؤمنون) الجملة معطوفة لاتصال الوصايا للنبي ﷺ، أي: أخبر المشركين، وهو أمر تلقين تشريف للنبي ﷺ، وتهديد للمشركين.

قوله (اعملوا على مكانتكم انا عاملون) الأمر للتهديد قطعا للمحاجة مع المشركين، و: مكانتكم: بمعنى حالكم من الشرك وهيأتكم من العصيان.

قوله (انا عاملون) الفصل للتعليل، والإخبار يراد به التهديد، والأسلوب أخذ بالنصفة من الكلام بينه وبين قومه، استعمله الأنبياء كثيرا، نحو ما خاطب به شعيب قومه في قوله تعالى (ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب) [هود ٩٣].

قوله تعالى ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢ ﴾

الآية تأكيد لما سبق في المعنى والأسلوب، والأمر بالانتظار للتهديد، والإخبار عنه يراد به توقع حصوله.

قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣ ﴾

قوله (ولله غيب السماوات والأرض) الجملة معطوفة على ما سبق، والكلام أسلوب قصر الغيب على الله وحده، والتصريح بلفظ الألوهية للتعظيم، وذكر السماوات والأرض لبيان كمال قدرته سبحانه بالإحاطة والعلم. وذلك من تمام دلائل توحيده، والإخبارات تطييب لنفس النبي بنصره وتأييده في انتظاره وعمله في الآيتين السابقتين.

قوله (واليه يرجع الامر كله) إفادة القصر بتقديم المتعلق (إليه) إثبات لمعنى المعاد الذي ينكره المشركون، وفي الكلام تهديد غير خاف، و(كله) زيادة في تأكيد معاد الخلائق إليه.

قوله (فاعبده وتوكل عليه) الفاء للتفريع، وخصوصية خطاب العبادة للنبي ﷺ تشريف وعناية من الله بنبيه، والتوكل تفويض وتسليم وتعليق لشؤونه ﷺ على أمر الله وقدرته سبحانه.

قوله (وما ربك بغافل عما تعملون) الجملة معطوفة لاتصال معاني الكلام، و(ما) تفيد النفي، وإضافة لفظ الربوبية إلى كاف الخطاب عناية وتشريف للنبي ﷺ. والباء في (بغافل) زائدة لتأكيد النفي، والخطاب في (تعملون) تسلية للنبي ﷺ وتهديد للمشركين. والله العالم.

سورة يوسف

مكية، وهي مائة وإحدى عشرة آية

اختصت السورة من أولها إلى آخرها بسرد قصة النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام بتفاصيل لم يسبق أن عرضت لنبي بهذا الاستقصاء، وغرضها من ذلك استخلاص العبرة بأن من يتولى الله تعالى فيخلص له نفسه فالله حافظه يورده مورد القرب وينزله منزلة الكرامة، فيرتب الأسباب لذلك، وإن عزم الأقربون على إهلاك العبد، وإن اجتمعت الظروف على حطه ووضعه، فكان يوسف الصديق مثالا لقدرة الله وحسن تدبيره لعبده الذي امتلأ قلبه إخلاصا له سبحانه وإيمانا، باعه إخوته عبدا بثمن بخس فانتهى به الحال أن يرفعه الله عزيزا آتاه الحكم والملك، وكان يوسف قد اجتباه ربه وعلمه تأويل الأحاديث فابتلي من إخوته بالحسد والحقد، وكان كلما نازعته شدة صبره الله عليها وأحالها سببا لإنجاز طلبته، حتى قدر له الحكم والملك.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ ﴾

قوله (ألر) تقدم الكلام في تفسيرها.

قوله (تلك آيات الكتاب المبين) اسم الإشارة لتمييز المشار إليه وحضوره بالذهن، والكتاب: القرآن، ووصفه بالمبين من الإبانة وهو الكشف والوضوح، والقرآن أقل ما فيه من الإبانة أن بعضه يوضح بعضا، وفي نهج البلاغة: كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض. انتهى. والآية مرت في سورة يونس.

قوله تعالى﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾

قوله (إنا أنزلناه) الفصل للتعليل، وضمير الجمع (نا) عائد إلى الله للتعظيم، ولفظ التنزيل باعتبار العلو المجازي لمقام الألوهية المجازي.

قوله (قرآنا عربيا) حال من ضمير الهاء في (أنزلناه)، أي: أنزل كتابا يقرأ. و(عربيا) أي: صفة لـ (قرآنا)، أي: بلسان لغة العرب، والعرب لم يكن لهم كتاب من قبل، لذلك كانوا يسمون بالأميين، قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم كتابه) [الجمعة ٢].

وفي نهج البلاغة، قوله عليه السلام: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة. انتهى.

قوله (لعلكم تعقلون) جملة تعليل، أي: لعلّ نزول الكتاب بلغة العرب سبب للرجوع إلى العقل والرشد بترك عبادة الشرك ونوازع الجهل، والخطاب لأهل مكة.

قوله تعالى ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾

قوله (نحن نقص عليك) ضمير الشأن الذي يفيد التعظيم والقصر رد على من يطعن بالقرآن من المشركين، و(نقص) أي: نتلوا أخبار الماضين، من قصّ الأثر إذا تتبع آثارهم، و(عليك) مجاز للتمكن، والكاف للخطاب عناية بنبيه.

قوله (أحسن القصص) لمن يقص القصص غير القرآن، وليس بمعنى أحسنها في القرآن، يمكن أن يكون لفظ القص مصدرا من القصة بمعنى وروده مفعولا مطلقا، أو اسم مصدر من الاقتصاص، وعلى أي حال فهو أحسن القصص باعتبار جمال أغراضها ومعانيها وحسن فائدتها، ولاشتمالها على معاني ولاية الله لعبده، وكمال توكل العبد على مولاه.

قوله (بما أوحينا إليك هذا القرآن) الباء للسبب، فهو أحسن القصص لصدوره من خالق الحسن ومنبع العلم، والوحي إشارة إلى نزول القرآن بالوحي عن طريق جبرئيل، وتكرار لفظ القرآن بكامل أدوات التعريف من لفظ الإشارة وأل التعريف لتعظيمه.

قوله (وان كنت من قبله لمن الغافلين) الواو للحال، و(إن) حرف توكيد مخفف، واسم إن ضمير الشأن محذوف، وما بعدها من جملة كان خبر لها، والهاء في (قبله) عائد إلى القرآن، واللام في (لمن) لام التوكيد واقعة في

خبر (إن) لام فارقة لأنها سبب تمييز (إن) المخففة من (إن) النافية، والغفلة السهو ويراد به نفي العلم، فقد كانت قصة يوسف من أخبار الغيب لم يعرفها العرب، وهي أصلا سورة مكية نزلت قبل الاختلاط باليهود بالمدينة، دفعا لمن يزعم أن النبي ﷺ أخذها من التوراة، على أن ثمة اختلافا دقيقا بين ما جاء في القرآن وما في التوراة.

قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (إذ قال يوسف لأبيه) الآية وما بعدها من الآيتين سياقها افتتاح القصة في رؤيا رآها يوسف وأخبر بها أباه يعقوب الذي أولها بشرى له بالنبوة.

وتفيد (إذ) الظرفية والعامل فيها محذوف بمعنى: واذكر، والكلام بدل من قوله (أحسن القصص)، ويوسف اسم عبراني، وهو ابن يعقوب بن إسحاق، من زوجه راحيل التي فارقته وهو وليد، له أحد عشر أخا من أبيه وأخ واحد من أمه هو بنيامين.

قوله (يا أبت) نداء يدل على الرحمة والشفقة والمودة.

قوله (إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) فعل الرؤية يعني بها رؤيا المنام، والأحد عشر كوكبا رمز لإخوته، وأفرد عنهم الشمس والقمر لأنهما فسرا بيعقوب وزوجه، وكان يوسف قد رأى في منامه أنه يملك مصر وأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت له.

قوله (رأيتهم لي ساجدين) أعاد ذكر فعل الإراءة، لطول الفاصل بين رأيت وحاله (ساجدين)، وضمير الجمع، للإيحاء بإرادتهم وأنهم عقلاء، وتقديم (لي) على عامله لإفادة القصر بأنهم سجدوا له دون سواه، وهو سجود تكريم لا سجود عبادة، والرؤيا من الصالحين رؤيا صادقة لأنها حالة انكشاف تحصل لأنفسهم الناطقة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ ﴾

قوله (قال يا بني) أجابه يعقوب بـ (يا بني) بتصغير (ابن) وإضافتها إلى ضمير التكلم لتنقل لنا صورة الحوار عمق الصلة والتراحم بين يعقوب وولده.

قوله (لا تقصص رؤياك على اخوتك) أي: لا تخبر، وفك الإدغام لأن فعله مضعف، وهو من لهجة الحجاز، والرؤيا ما يراه النائم، وتفيد (على) التمكين المجازي، وإنما نهاه عن قص رؤياه على إخوته لما عرف أبوهم من حسد إخوته له.

قوله (فيكيدوا لك كيدا) الفاء تفريع على قوله (لا تقصص) متضمن معنى العلة وهو انطواء نفوس إخوة يوسف على الشر والحسد لأخيهم، والكيد الاحتيال يتعدى بنفسه أو باللام، وتأكيده بمصدره (كيدا) يدل على دقة توسم يعقوب بما يضمر ولده من شر ليوسف في حال معرفتهم ببشارة النبوة

ليوسف، ونهي يعقوب قبل بشارته لولده يدل على شدة حرصه وشفقته به، فهو صغير ابن تسع أو سبع حين أخبر أباه بما رأى في منامه.

قوله (إنّ الشيطان للإنسان عدو مبين) الفصل تعليل للنهي، وهي علة ثانية للكيد، من تأثير خارجي من نزغ الشيطان ووسوسته في التفريق بين الإخوة، ومع أن يوسف التزم وصية أبيه إلا أن ذلك لم يمنع إخوته من الكيد به.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾

قوله (وكذلك يجتبيك ربك) الواو للعطف، والتشبيه المقترن بلفظ الإشارة بمعنى: بمثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك، والاجتباء أصله من الجبو وهو ما يجمع في الحوض من ماء، والافتعال فيه تكلف وزيادة في معنى الجمع والعناية والرعاية على نحو الاصطفاء والخلوص.

قوله (ويعلمك من تأويل الأحاديث) تعليم الله كناية عن إلهامه والوحي إليه، و(من) للتبعيض، ولفظ التأويل التفسير، ويختلف عنه في كونه ناظرا إلى ما يخفى ويدق، والأحاديث: كناية عن المنامات، سميت بذلك لأنها من حديث النفس في المنام، تشبيها لها بحديثها في اليقظة، وذكر الطباطبائي: أن الأحاديث التي علّمها الله تأويلها أعم من أحاديث الرؤيا، وإنما هي

الأحاديث أعني الحوادث والوقائع التي تتصور للإنسان أعم من أن تتصور له في يقظة أو منام. انتهى.

قوله (ويتم نعمته عليك) الجملة معطوفة لاتصال الكلام، والنعمة بالكسر لبناء الحالة وبالفتح لبناء المرة، وكون إتمامها من الله على يوسف بكمال رعايته سبحانه له بإيتائه النبوة والعزة والملك.

قوله (وعلى آل يعقوب) عطف آل يعقوب عليه لأنه جعله أصلا لتمام نعمة الله إشارة إلى منزلة يوسف.

قوله (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق) التشبيه لبيان أن النعمة من الله وعظم الشأن واجتباء النبوة موروثة مستمرة في أهل هذا البيت، و(إبراهيم وإسحاق): بدل من قوله: (أبويك).

قوله (إن ربك عليم حكيم) الفصل لتعليل الاجتباء والإتمام في كون الله عليما باستعدادات عباده وملكات نفوسهم، وحكيما يعرف بواطن الأمور وظواهرها.

وفي كلام يعقوب عليه السلام ما يدل على علمه بتأويل الأحاديث ومنزلته الكبيرة عند الله تعالى.

قوله تعالى﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾

الآية إجمال مشوق على جهة أسلوب القصص في التركيز على محورها الذي تتعاظم تفاصيله باطراد.

قوله (لقد كان في يوسف وإخوته) شروع بالقصة بأسلوب القسم والتوكيد، والآيات الحجج الدالة على توحيد الله سبحانه في كمال قدرته في العناية بعباده، وقد كان يوسف مثالا لذلك، فقد أعزه الله بعد إذلال، وملكه مصرا بعد أن دخلها عبدا، وكان كلما قصده قاصد بسوء صيره الله لصالحه، ألقوه إخوته في البئر ليتخلصوا منه فإذا به يكون ملكا عليهم، وباعته السيارة عبدا فإذا به يكون ملكا، وقصدته امرأة العزيز بسوء فإذا بالسجن يكون سببا ليقربه الملك إليه، وفي ذلك كله كان يوسف متوكلا مسلما أمره إلى ربه، يدير شؤونه بتسلسل غير متوقع من الأحداث، فكانت قصته بحق مع أخوته آيات دالة على كمال قدرة الله تعالى وتوحيده.

قوله (آيات للسائلين) أي: حجج وبراهين دالة على كمال قدرة الله تعالى، وذكر السائلين تشويق لمن يسأل عن القصة.

قوله تعالى ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ﴾

سياق الآيات ينتظم في تبيان التآمر على إبعاد يوسف عن أبيه من هذه الآية إلى الآية الحادية والعشرين.

قوله (إذ قالوا ليوسف وأخوه) إذ ظرفية متعلقة بـ (كان) في الآية السابقة، وضمير الجمع في فعل القول عائد إلى إخوة يوسف، ومعنى قوله (ليوسف وأخوه) اللام موطئة للقسم، وأخوه هو بنيامين.

قوله (أحب إلى أبينا منا) خبر المبتدأ، وإخبارهم يدل على حسدهم وإضمارهم الشر، وإقناع بعضهم بعضا بالتآمر به، إذ ليس كلهم على كلمة واحدة، لأنهم فسروا الرعاية الخاصة من أبيهم ليوسف وأخيه كونهما يتيمين صغيرين أفضلية في تفوقهما عليهم.

قوله (ونحن عصبة) الجملة حالية، أي: يفضلهما في حال نحن أكثر عددا منهما، والإخبار يراد به الإنكار والتعجب من أمر أبيهم في تفضيل الاثنين على عصبتهم، وهم أكثر نفعا له وبيدهم تدبير شؤون معاشه ومواشيه وأمواله حيث كانوا يسكنون البدو، والعصبة هي الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ويقع على جماعة من عشرة إلى خمسة عشر، وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين، ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر، كذا ذكره الطبرسي. انتهى

قوله (إنّ أبانا لفي ضلال مبين) فصل الجملة لأنها تعليل لإخبارهم، وأرادوا بالضلال إضاعة طريق الصواب، وليس ضلال المعتقد لأنهم مؤمنون بنبوة أبيهم، وفي إيراد كلامهم بكثرة المؤكدات ما يدل على عزمهم بإحداث الوقيعة بأخيهم وتمكن الحقد من نفوسهم عليه، والغيض على أبيهم.

قوله تعالى ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾

قوله (اقتلوا يوسف) الفصل لاستئناف محاورة المتآمرين، وقتل يوسف أحد الآراء التي تداولها إخوته، بالقضاء عليه قضاء مبرما، وإنما ذكروا يوسف دون أخيه معه ـ رغم أنهم ذكروهما في أول الكلام ـ لأنهم لحظوا العناية بيوسف كانت أشد، ويوسف فيه أمارات النبوة والحكم أوضح وأشد.

قوله (أو اطرحوه أرضا) وهذا هو الخيار الثاني مما تآمروا عليه، وهو أن يلقى في أرض بعيدة منكرة، لا يستطيع معها العود، والطرح هو النبذ والترك بكراهة، وتنكير لفظ الأرض لإفادة نكارتها، وانتصابها على نزع الخافض، وفي ذلك ما يدل على قساوة قلوبهم وأخلاقهم السيئة.

قوله (يخل لكم وجه أبيكم) جزم الفعل (يخل) لأنه جواب طلب أمر القتل، وهو نتيجة له، وفعل الخلو مستعار للفراغ تشبيها له بمن كان يشغله فأزيل منه، و(لكم) أي: لأجلكم، والمراد: يقبل عليكم أبوكم بوجهه وتستعيدوا حبه ومودته وتفضيله لكم.

قوله (وتكونوا من بعده قوما صالحين) الجملة معطوفة ولذلك جزم الفعل (تكونوا)، والهاء في (بعده) عائد إلى يوسف، وأريد بلفظ الصالحين صلاح حالهم عامة ومع أبيهم خاصة بعد إبعاد يوسف عنه.

قوله تعالى ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ ﴾

قوله (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف) الفصل للحكاية، وهذا الرأي مثّل أغلبهم وهو يناقض من اقترح (اقتلوا يوسف)، والسكوت عن ذكر اسم القائل لعدم الفائدة منه.

قوله (وألقوه في غيابت الجب) الواو للعطف، والإلقاء الرمي، وتقدير الكلام: إن تلقوه، والغيابة ما غاب عن البصر، والجب البئر التي فيها ماء، وتعريفها للعهد والحضور في أنها بئر معروفة على طريق السيارة بين الشام مصر، والمراد: استقرار اقتراحهم بعدم قتل يوسف والاكتفاء بإلقائه في بئر معروفة تقصدها السيارة ليحملوه بعيدا عن أبيهم.

قوله (يلتقطه بعض السيارة) جواب الشرط المقدر، والالتقاط أخذ الشيء من الأرض، وهو استعارة للشيء الضائع، و(السيارة) مبالغة في معنى سير القافلة للتجارة أو الميرة، ولحقتها التاء للمبالغة في السير كما قالوا بحارة.

قوله (ان كنتم فاعلين) التعليق متضمن إبطاء العمل والتريث فيه بمعنى: إن كان ولابد من إبعاد يوسف فارموه في البئر.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ ﴾

قوله (قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف) قولهم هذا لأبيهم بعد أن اتفقوا على كلمة واحدة في تآمرهم على أخيهم، وفي ندائهم بـ (أبانا) مكر واستدراج، و(ما) استفهام يفيد التعجب. و(لا تأمنا) أي: لا تأمننا، أدغمت النون للتخفيف، ونفي الأمان لإزالة الشبهة والمكر بأبيهم وأخيهم، وهذا استشعار منهم في أن عدم السماح ليوسف بالرعي معهم أصله خوف الغدر به، ويفيد (على) مجاز الاستعلاء والتمكن.

قوله (وإنا له لناصحون) جملة حالية، والإخبار لتوكيد الثقة ونفي الشبهة عن أنفسهم، بأنهم لا يريدون لأخيهم سوى الخير.

قوله تعالى ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ ﴾

قوله (أرسله معنا غدا) القطع للمحاورة، كأنه قيل لهم: ماذا تريدون؟ فأجابوا: أرسله معنا، والإرسال الإطلاق، والمعية متضمنة معنى ملازمة الصحبة.

قوله (يرتع ويلعب) جواب الطلب المجزوم، والرتع توسع في المعنى لأن أصله أكل البهائم، وتوسعوا فيه فصار يطلق على الإنسان إذا أريد به الأكل

الكثير، واللعب معروف، وجزم فعله على العطف، وإنما ذكروا الرتع واللعب تحببا وإغراء.

قوله (وانا له لحافظون) الجملة حالية، وهو تأكيد مشدد منهم، يحاذي قولهم (وإنا له لناصحون).

قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (قال إني ليحزنني أن تذهبوا به) قطع الجملة للمحاورة، وإيراد الجملة بالتوكيد لشدة فراسة يعقوب بأولاده، واللام في (ليحزنني) واقعة في خبر(إن)، ولم ينف يعقوب قولهم في أنه لا يأمنهم، ولكنه تلطف في جوابه لهم، بأن ذهابهم به قد يعرضه إلى المهلكة، وإنما ذكر لفظ الحزن لقطع إلحاحهم لأن من شأن الابن ألاّ يحزن أباه.

قوله (وأخاف ان يأكله الذئب) الواو للعطف، وخوفه لأنهم قد ينشغلون عنه باللعب والابتعاد فينفرد به الذئب فيقتله، وفي المراتع البعيدة عادة ما تكثر الذئاب طلبا للأكل، وتعريف الذئب للجنس، وهو حيوان بري شأنه الغدر والفتك.

قوله (وأنتم عنه غافلون) الجملة حالية، أي: تنشغلون عنه في حال من النسيان.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (قالوا) رد إخوة يوسف لأبيهم في فعل القول تصوير لإلحاحهم على إقناع أبيهم.

قوله (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) ردوا حجة أبيهم، بأنهم عصبة كثيرة لا يغفلون عن أخيهم أو يقوى الذئب على الغدر به، وأورده بالأسلوب المؤكد لرفع الإنكار عن أبيهم، فـ (لئن) لام القسم المقترن بالشرط.

قوله (انا إذا لخاسرون) الجملة تقوم مقام الجزاء جواب القسم، ولفظ الخسران كناية عن انتفاء النفع، وفي كلامهم مكر مبطن فقد أبدوا تغاضيا عن سبب نفي السماح لخروجه معهم وهو انعدام الثقة بهم، لا الذئب، لكنهم أمسكوا بقصة الذئب فأقسموا لأبيهم ألا يمسه سوء وهم أقوياء أشداء، ولكنهم سرعان ما حنثوا بيمينهم وغدروا بأخيهم في اليوم نفسه.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (فلما ذهبوا به) الفاء تفريع على تقدير كلام محذوف تقديره: فلما سمح يعقوب بالخروج معهم، ومعنى: ذهبوا به: خرجوا مصطحبين له.

قوله (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب) الإجماع الاتفاق على كلمة واحدة فهم قرروا أن ينفذوا ما اتفقوا عليه بإلقائه في البئر التي عينوها، وجواب (لما) محذوف يفهمه السامع من بشاعة الحدث وتفصيله، وذلك أوقع في تأمله وتخييله.

قوله (وأوحينا إليه) أي: وأخبرنا يوسف، فالضمير عائد إليه بعد إلقائهم إياه في الجب، وقوله (لتنبئنهم بأمرهم هذا) اللام مشعرة بالقسم للتوكيد، وفعل الإنباء الإخبار بما فعلوا من امر عظيم و(هذا) لتمييز الحدث، وهو رمي إخوته له في البئر، وفي الكلام طمأنة ليوسف في غيابة الجب ووعد له بالنجاة والغلبة، وهذا من كيد الله سبحانه لهم، جزاء لما فعلوا بهذا الطفل المظلوم المعصوم.

قوله (وهم لا يشعرون) الجملة حالية، أي: وهم لا يشعرون بإيحائنا ليوسف.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ ﴾

قوله (وجاؤوا أباهم عشاء) الجملة معطوفة على ما قبلها، وفعل المجيء متعد بنفسه، وواو الجمع فيه راجع إلى أولاد يعقوب، وذكر الأب دون التصريح باسم يعقوب لإفادة جرأتهم على عقوق حق الأبوة، والعشاء الشفق بعد غروب الشمس، ودل انتصابها على الظرفية.

قوله (يبكون) جملة حالية، وهم يبكون تمويها على فعلتهم لئلا يظن أبوهم أنهم من فعلوا ذلك، فهو بكاء مصطنع فاسد يشي بالحيلة والمكر، ولا غرابة من أمثالهم في ادعاء الحقيقة والحزن بإخراج الدمع من العينين وهو حقيقة البكاء، فهذا قد نشهده كثيرا عند من يدعي الحزن الظاهر.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾

قوله (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) الفصل تعليل منهم لبكائهم. افتتحوه بنداء الرقة والتليين والاستعطاف للتلبيس على أبيهم، والاستباق التسابق فيما بينهم أيهم يسبق أخاه في العدو، والتاء فيه للتكلف.

قوله (وتركنا يوسف عند متاعنا) أي: انشغلنا عنه في المكان الذي تركناه عند حاجياتنا وزادنا، والمتاع ما يأخذه المسافر من زاد وماء ليسد به حاجته.

قوله (فأكله الذئب) الفاء للتفريع، وأكله بمعنى قتله، وافترسه، وهم أخذوا بما بكلام ما خافه أبوهم عليه حيلة وخداعا. والمراد بالذئب جنس الذئاب ويحتمل فيه الجمع.

قوله (وما أنت بمؤمن لنا) الجملة حالية، وهي إخبار مؤكد منهم لعلمهم بإنكار تصديق أبيهم لهم، وتعدية لفظ الإيمان باللام في (لنا) معناه التصديق، وقد تكرر أمثاله كثيرا.

قوله (ولو كنا صادقين) حال ثانية، بمعنى الكناية عن صدق الخبر، فهم قصدوا إخباره الحقيقة حتى لو لم يصدقها، وإنما قالوا ذلك على سبيل الاعتذار لعلمهم بعدم تصديق أبيهم لروايتهم، وكيف يصدقها وهو الذي حذر منها من قبل؟

قوله تعالى ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾

قوله (وجاؤا على قميصه بدم كذب) الواو للحال، ويفيد (على) مجاز تمكن الذئب من دم يوسف وقميصه، وصفة الكذب على القميص مبالغة بمعنى المكذوب، فهو ليس دمه حقيقة بل دم جدي لطخوه به، والباء في (بدم) للمصاحبة، وتنكير لفظ الدم لنكارته، والمعنى: وجاؤوا مصطحبين لقميصه ملطخا به دمه، وغرضهم من ذلك دعم روايتهم بالدليل بعد أن قدموا تباكيهم على ما جرى لأخيهم، للتبري أمام أبيهم.

قوله (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) الفصل للمحاورة، وتفيد (بل) الإضراب عما قبله تأكيدا لما بعده، والتسويل التسهيل، وتنكير لفظ الأمر لتهويله وتعظيمه، لأنه لا يعلم حقيقته، سوى أنه متيقن من غدرهم به.

قوله (فصبر جميل) الفاء للتفريع، وارتفع الصبر لأنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره شأني صبر جميل، وتنكيره لإرادة تعظيمه، ووصف بالجمال بمعنى أنه صبر لا يخالط حسنه الجزع عند المصيبة، وهذا من عمق اتكال يعقوب

على ربه وتسليمه أمره، فالصبر يعني الثبات على الإيمان، وألا يزعزعه مما يبتلى به الإنسان من محن من غير استذلال لها.

قوله (والله المستعان على ما تصفون) الواو للعطف، والجملة من محاسن الصبر الجميل، لأنها تعني أن يعقوب لم يسلم بما قالوا من أكاذيب، بل أعرض عنهم إلى ربه، صابرا مستعينا به سبحانه على ما ابتلاه، فلا ملجأ سواه، بعد أن خانه من يعتمد عليهم من ولده، ولعل من دلائل عمق المعرفة التوحيدية ليعقوب أن جعل دعاءه خالصا في التوكل على الله، قدم فيه الصبر، ولم يأت باسمه ولو بضمير، ولم يذكر شيئا لولده المغيب، أو دعاء على من تسببوا بأذاه، بل أعرض عن ذلك كله، فجاء بجملة الصبر جميلة ثابتة المعنى، ثم أعقبها بجملة صرح بها بلفظ الله، خالصة الاتكال عليه، لم يطلب الاستعانة من سواه على ما ابتلي به من أقرب الناس إليه.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ ﴾

قوله (وجاءت سيارة) الواو للعطف، والسيارة القافلة السائرة، لأن موقعهم كان ممرا بين الشام ومصر.

قوله (فأرسلوا واردهم) الفاء للتعقيب، والوارد القاصد الماء الذي يتقدم القوم. قوله (فأدلى دلوه) الفاء للتعقيب، والإدلاء الإدناء، قال الراغب:

دلوت الدلو إذا أرسلتها، وأدليتها أي: أخرجتها، وقيل: يكون بمعنى أرسلتها. انتهى.

قوله (قال يا بشرى) الفصل لأنه في مقام الدهشة، ونداء البشرى استعارة لمعنى الحضور، كأنه لسروره يناديها بالإقبال عليه والحضور عنده، ولفظ البشرى مبالغة في البشر والسرور، وإنما قال ذلك لأنه لم يتوقع أن يخرج له طفل بحسن يوسف من بئر جاء يمتاح منه.

قوله (هذا غلام) الفصل لأنه تعليل لندائه بالبشرى، والإخبار يراد به التعجب.

قوله (وأسروه بضاعة) الجملة معطوفة، والإسرار الإخفاء ضده الإعلان، والبضاعة ما تباع وتشترى، كناية عن اتخاذه عبدا للبيع، والصورة من التشبيه البليغ.

قوله (والله عليم بما يعملون) الجملة حالية، والإخبار متضمن معنى إدانتهم على فعلهم، ولفظ العليم صيغة مبالغة من العلم.

قوله تعالى ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠ ﴾

قوله (وشروه بثمن بخس) الواو للعطف، وشرى بمعنى باع، وهو من الأفعال التي تحتمل المعنى وضده، ولكن السياق يفسرها، وضمير الجماعة

عائد إلى السيارة، والهاء فيه عائد إلى يوسف، والثمن العوض من المال ونحوه في معاملات البيع. والبخس الرخيص المنقوص عن حقه.

قوله (دراهم معدودة) فصلت الجملة لأنها بدل من (ثمن)، والدراهم ما كانوا يتعاملون به من عملة مضروبة من الفضة، واللفظ معرب من الفارسية، ومعدودة كناية عن قلتها، لأن القليل هو الذي يعد.

قوله (وكانوا فيه من الزاهدين) الجملة حالية، أي باعوه مستغنين عنه زاهدين فيه، لا يعرفون قيمته، وتقديم المتعلق (فيه) للتنويه بالمزهود فيه.

ومن المفسرين من يرى أن ضمائر الجمع في (شروه، كانوا) عائدة على إخوة يوسف، وهو وإن كان واردا بحسب الروايات التي نقلت أنهم ادعوا أنه عبدهم وسقط في البئر، إلا أن السياق لا يساعد على ذلك لأن الكلام يدور عن السيارة، وإذا فسر بغيره فسيكون عدولا معقدا في التركيب.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته) في الكلام إيجاز حذف اقتضاه المقام، تقديره: فأخذوه إلى مصر وعرضوه في سوق العبيد للبيع، وكل ذلك

اختصر بقوله (اشتراه من مصر) لأنه دل على ما حذف، وهذا من بلاغة إيجاز القرآن، وفاعل الاشتراء هو رئيس شرطة مدينة مصر، اسمه فوطيفار، أو قطفير، ويقال له العزيز وهو صاحب الملك وخازنه، واسم امرأته زليخا أو راعيل، عزيزة مصر، وعلى عادة الملوك والأمراء لا يدخلون قصورهم إلا الفاتنات ولا يتزوجون إلا بأجملهن، وكانت امرأته من أجمل نساء مصر، وإسناد فعل الاشتراء إليه مجاز عقلي بعلاقة السببية، أسند إليه لأنه المالك الفعلي الذي قام بدفع العوض المالي.

قوله (أكرمي مثواه) فصل الجملة لأنه مقول القول، والإكرام والتكريم أن يوصل إلى الإنسان إكرام أي نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئا كريما أي شريفا، كذا قال الراغب. انتهى.

ولفظ المثوى كناية عن مكان الإقامة، ولا ريب في أن ذلك من تدبير الله تعالى، إذ ليس كل عبد يشترى إلى قصور الملوك لولا أن العزيز تفرس في وجه يوسف فرأى فيه شمائل الأرومة الطيبة في جمال لا يوصف مثله، فانجذبت نفسه إليه، ومن تمام ولاية الله لعبده أن جعل زوجة الملك تكرم مثواه وترعاه ليتربى في كنف العز، وهو أمر غير معهود أن تؤمر العزيزة برعاية عبد لولا أن لهذا العبد شأنا خاصا جعل قلوب الناس لا تقوى على الممانعة عن محبته.

قوله (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) الفصل تعليل لأمر الإكرام، والترديد بين النفع واتخاذه ولدا ترديد بين القرب والأقرب، لأنه قصد بالنفع منه

اجتلاب محبته بالإحسان إليه، وبالثاني قصد تبنيه ولدا لهما، وذلك من تدبير الله تعالى في زرع الإحسان في قلوبهما ليوسف، فالعزيز رجل عقيم ليس له ولد.

قوله (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) الجملة معطوفة، والتشبيه المقترن باسم الإشارة ليس بمعنى تشبيه الشيء بنفسه، بل بمعنى: أن ذلك التمكين بلغ من كماله حدا لا يشبه إلا تمكين يوسف في الأرض، والتمكين والإمكان الاستقرار في المكان، وهو كناية عن القدرة والقوة والتوسع في الأمر، واستعمل التركيب ليوسف عند كل من يمكر به فحين رماه إخوته في البئر أخرجه الله تعالى ومكنه في الأرض بأن أدخله بيت عزيز مصر، وحين كادت به زوجة العزيز ودخل السجن فأخرجه الملك ومكنه الله على خزائن مصر، في قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف الأرض يتبوأ منها حيث يشاء) [٥٦ من السورة]، وفي ذلك كله تحقيق لمعنى ولاية الله لعبده يوسف.

قوله (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) الواو عاطف على محذوف تقديره: مكنا ليوسف ليفعل الخير فيها، ولنعلمه من تأويل الأحاديث، وهو أسلوب قرآني شائع في إيجاز القص، واللام في فعل التعليم للتعليل، وتأويل الأحاديث كناية عن التعبير عما خفي في رموز المنامات ووقائع الأحداث.

قوله (والله غالب على أمره) الجملة تذييل لما سبق فمعناها عام شامل، والإخبار بالتصريح بلفظ الجلالة تعظيم لغلبته، ويفيد(على) الاستعلاء، وضمير الهاء في (أمره) عائد إليه سبحانه، والأمر هو الشأن، والله سبحانه

غالب على الأسباب، مدبر لها، أراد إخوته الكيد بيوسف فجعل سبب ما كادوا عزا ليوسف.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن أمر الله في تدبيره الأسباب والمسببات حقيقة ثابتة تدل عليها الوقائع اليومية.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ ﴾

تعرض الآيات ـ إلى الآية الرابعة والثلاثين ـ قصة لبث يوسف في بيت العزيز حتى إخراجه منه إلى السجن بكيد زوجته.

قوله (ولما بلغ أشده) تفيد (لما) الشرط، وبلوغ الأشد وصوله إلى سن الشباب واليفاعة.

قوله (آتيناه حكما وعلما) جواب الشرط، وآتينا: أعطينا، والحكم الفصل فيما يختلف فيه من الأمور والشؤون والأحوال، والعلم محضه الذي لا يشوبه جهل، وتنكيرهما لإفادة خصوصيتهما في كونهما مأتيين من الله لأنبيائه.

قوله (وكذلك نجزى المحسنين) أي: بمثل ذلك الإيتاء يكون جزاء المحسنين، وفي لفظ المحسنين تضمين لمعنى الجزاء، أي: جازيناهم بمثل ذلك لإحسانهم.

قوله تعالى ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) الجمل من عطف قصة على قصة، والمراودة الطلب برفق متضمن معنى التكرير، فهو مفاعلة، من راد يرود إذا ذهب وجاء، وتستعمل في التكنية عن طلب النكاح، وتعديتها بـ (عن) للمجاوزة، كأن فيه مباعدة نفسه عنه لتصفو لها، والتركيب من مبتكرات الصياغة القرآنية، وفي الإعراض عن التصريح باسم المرأة بقوله (التي هو في بيتها) حفظ لحرمة البيت، والعرب تكني في مثل ذلك فيقال: ربة البيت، صاحبة البيت، والبيت هو بيت سكناها، وهو قصر العزيز ليكون الطلب آمن.

قوله (وغلقت الأبواب) الجملة معطوفة، وتضعيف فعل الغلق للتكثير، والمبالغة في إحكام غلق الأبواب ليكون أستر للفعل، ويبدو من جمع الباب أنها كانت بابا بعد باب حتى تصل إلى المكان الذي يجمعهما.

قوله (وقالت هيت لك) هيت: اسم فعل بمعنى: هلم، بادر، والتعدية باللام في (لك) زيادة في تأكيد قصد المخاطب، كما قيل: شكرا لك، أو رعيا لك، والمراد الكناية عن تمكينه من نفسها بعد توافر السبل كلها، من المكان الآمن والجمال الفاتن وعزة الملك.

قوله (قال معاذ الله) فصل الجملة لأنها جواب لقولها (هيت لك)، والاستعاذة بالله الاعتصام به، أراد به استبعاد صدور ذلك الفعل منه، وقوله (إنه ربي أحسن مثواي) الفصل لتعليل استعاذته، وإيراده بالقصر والتوكيد المشدد لتحقيق المعنى، والهاء في (إنه) ضمير الشأن عائد إلى لفظ الجلالة للتعظيم، وفي إيراد لفظ الربوبية مضافا إلى ضمير التكلم بعد التصريح بلفظ الألوهية شأن عظيم ليوسف في عمق معرفته بربه وصلته به سبحانه، فهو أشبه بتعريف ما يجهله المخاطب بإلهه، فاختصر له الحال بجمع المقامين معا: الألوهية والربوبية التي لا يصح معها اقتراف الإثم بعد رعايته وولايته لعبده وإحسانه لمثواه، الذي هيأ الأسباب كلها حتى وصل إلى صاحب القصر وزوج المرأة لأن يقول: (أكرمي مثواه).

وقال السيد الطباطبائي مشيرا إلى ما شابه قول يوسف: وكم من الفرق بين قوله هذا وبين قول مريم للروح لما تمثل لها بشرا سويا (إني أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقيا) [مريم ١٨]. انتهى.

قوله (إنه لا يفلح الظالمون) تعليل بعد تعليل، بالأسلوب ذاته من (أن) وضمير الشأن، ونفي الفلاح والظفر عن الظالمين، كون جحود نعمة الله ظلم لحقه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (ولقد همت به وهم بها) القسم وحرف التحقيق لتأكيد عزمها على فعل الفاحشة، وفعل الهمة من عزم النفس الذي يسبق التنفيذ، وفعل الهم لهما وإن أخرجا مخرجا واحدا غير أن متعلقاته مختلفة، فهمُّها معروف في طلب يوسف، لكن همّ يوسف يختلف، فهو لا يجوز على مثله العزم على فعل المعصية، وباختصار: هي همت به لتمكينه من نفسها، وهو هم بها ليبعدها بالقوة عن نفسه حتى كاد يضربها، وقوله (وهم بها) معطوفة على القسم لا المقسم به، أي: ليست معطوفة على (همت)، لأنها متعلقة بالشرط (لولا)، فالتقدير: ولولا رأى برهان ربه لهم بها، وقدم الجواب (هم بها) على الشرط للاهتمام به.

قوله (لولا أن رأى برهان ربه) وهذا القيد دافع لوسوسة الهم على الفعل، وتقييد نجاته به من ارتكاب المعصية باعتبار أن البرهان إشارة إلى انكشاف عصمة النبوة له وإراءة لطف الله له، ومهما اختلفت التفسيرات فهي بقرائن الأحوال الكثيرة للسورة ومشهد المراودة تؤكد رعاية الله ليوسف وأنه بصون وعصمة مانعة من الوقوع بمثل هذا الخطأ مهما كانت مغريات الآخر.

قوله (كذلك) أي: بمثل ذلك الصون من الانكشاف الذي يرى به الخطأ ماثلا قبيحا تعافه نفوس الأنبياء.

قوله (لنصرف عنه السوء والفحشاء) اللام للغاية، والصرف تغيير الجهة وتحويلها، و(عنه) أي: عن يوسف، للمجاوزة، وقد يراد بالسوء الخيانة أو الإثم، والفاحشة فعل الزنا، وفي الكلام دليل على براءة يوسف من فعل الهم، لأنه قال لنصرف عنه السوء ولم يقل: لنصرفه عن السوء.

قوله (إنه من عبادنا المخلصين) الفصل لتعليل صرف السوء عن يوسف، والضمير في حرف التوكيد (إن) لتعظيم شأن يوسف، والخلوص الاصطفاء، وإطلاق صفة العبودية الخالصة عليه لخلوص قلبه من حب غير الله تعالى، وفي ذلك قدر عال ليوسف وتنزيه من ركوب القبيح.

قوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ ﴾

قوله (واستبقا الباب) الاستباق مبالغة في العدو، يوسف يعدو ليفر منها وهي تعدو وراءه للإمساك به، فكأنهم يتسابقون أيهم يصل قبل صاحبه إلى الباب، وقد كانت الأبواب موصدة مقفلة ولكنها تفتحت بقدرة الله أمام يوسف وهو يعدو، حتى وصل آخر باب فأمسكت بقميصه من خلفه فقدّته ففوجئت بزوجها على الباب.

قوله (وقدت قميصه من دبر) لأنها مسرعة لم تمسك غير قميصه من ظهره، والقد الشق طولا، ودبر كل شيء خلفه.

قوله (وألفيا سيدها لدى الباب) أي: وجدا، وألف التثنية إشارة إلى أن كليهما فوجئا به، والإلفاء الوجدان المفاجيء على حالة خاصة من غير سعي، ولفظ السيد إشارة إلى زوجها، وكان ذاك من عرف مصر، وما يزال يسمى الزوج سيدا، و(لدى) ظرف مكاني بمعنى (عند).

قوله (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلّا أن يسجن أو عذاب اليم) الفصل على تقدير إجابة المحاورة المحذوفة، للإيجاز كأنه قيل: ما الذي يجري؟ وفي كلامها إلقاء بالتهمة على يوسف ورمي بالخيانة، أوردته بأسلوب القصر للتوكيد، ولكنه أورد حكما عاما لم يذكر فيه اسم يوسف ولا ذكر لما جرى بالتفصيل، وأبهم معنى السوء تأدبا في الكلام بحضرة العزيز، وفي ذلك أيضا كيد به لتشتيت ذهنه عن الشك بها، ولفظ الأهل يطلق على الزوجة، وإضافته إلى كاف الخطاب تهييج لحميته على يوسف، والتخيير بالجزاء بين السجن أو العذاب الأليم دون القتل الصريح استبقاء ليوسف وميل إليه حتى وهي في هذا الموقف، ولفظ السوء إشارة إلى فعل الفاحشة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ ﴾

قوله (قال) مدافعا يوسف عن نفسه وردا للتهمة عنه.

قوله (هي راودتني عن نفسي) ضمير الفصل للقصر مبتدئا بها مدافعا عن نفسه لأنها اتهمته، ولو لم تذكره لما تكلم صيانة لحرمتها، ولذلك لم يأت بكلام أكثر من ذلك، فكانت نفسه مطمئنة واثقة لم يستعمل القسم والتكرار لدفع ما رمي به.

قوله (وشهد شاهد من أهلها) لفظ الشهادة يعني القول بالإنصاف بوصفه حاضرا في الحدث، وتنكير الشاهد لنوعيته، فقد قيل: إنه رجل حكيم مما يقرب زليخا، أو لخرق العادة، فقد أثر عن روايات أهل البيت عليهم السلام أن الشاهد صبي في المهد ابن أخت العزيزة، أنطقه الله إكراما وعناية لنبيه لينقذه من مأزق المكيدة، وخصوصية كونه من أهلها ليكون أبلغ في قبول الشهادة.

قوله (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) الفصل لأنه مقول قول الشاهد، والقد من القبل شقه طولا من أمام، جعل علامة صدق المزعم لاحتماله، وبين الصدق والكذب طباق بديعي.

قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (وإن كان قميصه) عطف وشرط يقابل الكلام الذي سبقه، والقميص ما يشتمل على بدن الإنسان.

قوله (قد من دبر) الجملة محلها الخبر لـ (كان)، والقد القطع طولا، و(من) ابتدائية، والدبر الخلف.

قوله (فكذبت) الفاء في جواب (إن) الشرطية، والكذب نقيض الصدق، وتاء التأنيث عائدة إلى زوج العزيز.

قوله (وهو من الصادقين) العطف لإتمام الإخبار، وضمير الفصل للقصر عائد إلى يوسف، و(من) للتبيين، وإيراد لفظ الصادقين لأنه أثبت لصدقه من القول: فكذبت وهو صدق.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾

قوله (فلما رأى قميصه قد من دبر) الفاء للتفريع، ولفظ الرؤية للبصر والعيان، وفاعلها عائد إلى عزيز مصر في لفظ (سيدها)، والمعنى: عندما رأى قميص يوسف مقدودا من ظهره.

قوله (قال إنه من كيدكن) الإخبار أراد به تثبيت احتيال زوجته، وضمير الشأن في (إنه) ونسبتها إلى ضمير جمع النسوة تعظيم لكيدهن، وذلك لما أوتين من أسباب الاستمالة والجذب، والكيد المكر.

قوله (إن كيدكن عظيم) الفصل للتعليل، ووصف كيدهن بالعظمة لفداحة أثره.

قوله تعالى ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩ ﴾

قوله (يوسف أعرض عن هذا) الفصل لأن الكلام واقع في قول العزيز، وناداه باسمه تطييبا لقلب يوسف، وأمر الإعراض أراد به أن يتجاهله وينساه ولا يحدث به أحدا، و(عن) للمجاوزة، ولفظ الإشارة أراد به ما حدث.

قوله (واستغفري لذنبك) في الكلام التفات في الخطاب، لأنه لما فرغ من خطاب يوسف التفت إلى زوجته، وطلب منها أن تتوب من ذنبها، واللام في لفظ الذنب للتعليل، أي: لأجل ذنبك، وقد يراد بلفظ الاستغفار المعنى المتعارف من استغفار الله، فهم وثنيون يؤمنون بوجود الله ولكن يضعون له شركاء في الأرض.

قوله (إنك كنت من الخاطئين) فصلت الجملة الإخبارية لأنها تعليل لأمر الاستغفار، والخاطئ المذنب، وجيء بجمع التذكير - وليس الخاطئات - على سبيل التغليب، وعبر عنها بالكون تأكيدا في أن شأنها كان الخطأ.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾

قوله (وقال نسوة في المدينة) الواو للاستئناف، وتذكير لفظ القول لأن النسوة اسم جمع، وهو جمع للقلة لا مفرد له، والمراد به نساء الأشراف من المدينة، وتعريف المدينة للعهد، وأريد بها منفيس، والمدينة سميت بذلك لتحضرها بخلافة البادية.

قوله (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) الفصل لأنها مقول القول، والإخبار يراد به التشهير والتعيير والمكايدة من سيدات المدينة لامرأة العزيز رغبة منهن في رؤية يوسف، ولذلك كان مكرا، و(فتاها) كناية عن يوسف، والمعنى: مملوكها، ونسبتها إليه باعتبار نسبته إلى زوجها، وعبر عنه بالفتى لإفادة معنى يفاعته وفوران شبابه.

قوله (قد شغفها حبا) الفصل للتعليل، و(قد) حرف تحقيق للتأكيد، والشغاف استعارة لامتلاء قلبها بحب فتاها يوسف.

قوله (إنا لنراها في ضلال مبين) فصلت للاستئناف، وحرف التأكيد (إن) واللام الواقعة في خبرها لإثبات المعنى، ولفظ الرؤية يفيد رؤية العلم لا العيان، والضلال الطيش والنزق وليس ضلال الدين.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (فلما سمعت بمكرهن) الفاء للتفريع، وسماع المكر كناية عن السعايات وكلام التشهير والتعيير، وضمير تاء الفعل عائد إلى زوجة العزيز، والتعدية بالباء لتضمن الفعل معنى أخبرت.

قوله (أرسلت إليهن) جواب (لما)، وتعدية فعل الإرسال بـ (إلى) يفيد معنى الاستدعاء، أي: استدعتهن لجلسة يأنسن باجتماعهن كما اعتادت نساء الأشراف ذلك بينهن، ولكنها كانت مكيدة بهن لإسكاتهن وإشغالهن عن الحديث بها.

قوله (وأعتدت لهن متكئا) أي: هيأت لكل واحدة منهن وسادة اتكاء للاستراحة، على عادة الملوك، يأكلون مضطجعين.

قوله (وآتت كل واحدة منهن سكينا) أي: قدمت السكاكين لتقشير الثمار كالأترج ونحوه.

قوله (وقالت اخرج عليهن) أمر الخروج ليوسف، بمعنى دخوله عليهن لأنه كان مستورا عنهن، و(على) حرف جر للاستعلاء ليتمكن منظره منهن.

قوله (فلما رأينه أكبرنه) الفاء للتفريع، ولفظ الرؤية للبصر، والإكبار بمعنى إعظام شأنه لجمال طلعته.

قوله (وقطعن أيديهن) التقطيع التبضيع، والتضعيف فيه للمبالغة والتكثير، والمراد أنهن جرحن أيديهن بلا شعور يحسبن أنهن يقشرن الفواكه الموضوعة أمام كل واحدة منهن، لأنهن فعلن ذلك عند رؤية يوسف فحال

جماله من الانتباه إلى ما يفعلن بأيديهن شأن من يتوله بشيء ينشغل ببصره عن باقي الإدراكات.

قوله (وقلن حاش لله) دعاء حكاية عن قول النسوة القبطيات، بمعنى استبعاد أن يكون ذلك بشرا من الله.

قوله (ما هذا بشرا) الفصل للتعليل، ونفي صفة الإنس عنه لأن الراكز في الذهن أن صفات الكمال ليست موجودة في البشر بل في صور الملائكة لذلك أكدنه بإثبات ما نفين.

قوله (إن هذا ‘لّا ملك كريم) الفصل لكمال اتحاد المعنى، لأنها تأكيد لما قبلها، والنفي والاستثناء لإفادة القصر، والملك مخلوق شفاف نوراني غير مرئي، ولكن بعرف الاستعمال وكثرته حسن التشبيه به للجمال المطلق، وصفة الكرم له لاعتقادهن بكمال الملك شكلا ومضمونا.

قوله تعالى ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

قوله (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) الفصل على تقدير: فماذا قالت لهن امرأة العزيز حين شاهدت ذلك منهن؟، والفاء المقترن باسم الإشارة للتفريع، واسم الإشارة لتمييز يوسف، واستعمال اسم الموصول للتعريف به، و(فيه) تعليل، وإنما قالت ذلك لانكشاف حالهن أمامها في الوله به،

فأصبحن جميعا في أمر واحد ليس فيه ستر ولا حجاب، لذا قالت ما اضمرت بعد هذا الكلام.

قوله (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) إقرار منها مؤكد بالقسم، يؤكد استمرارها بطلب نفسه إليها، والسين والتاء في فعل العصمة مبالغة في امتناع يوسف عنها.

قوله (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) القسم والشرط يدلان على العزم المؤكد منها في تحقيق ما تبتغيه نفسها منه، ويدل على شدة منها أكثر من قولها عند إلفاء العزيز لها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم)، وفي (ما آمره) دلالة على أن الأمر أصبح منكشفا لا حجاب معه، ولذلك كان وقع الأمر شديدا على يوسف لأنه لم يعد مكتوما بل أصبح فريقا من النسوة يعاضدنها على فعل المنكر، ولا حياء معه، والصغار الهوان والذل.

قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾

قوله (قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه) الفصل لوقوعه وقوع المحاورة، ودعاؤه ربه يدل على عظم مجاهدة نفسه لهن، وشدة أذاه لصدهن، لأنه لم يدع ربه بمثل ذلك في حدث استباق الباب، فالأمران مختلفان، كان ثمة ستر وتأثير واحد، بينما تغير فأصبح متهتكا ستر

المراودة إلى حد تجمع النسوة وإلحاحهن عليه ليقنعنه، وأصبح أمرا يفرض عليه بعدّها عزيزة وبوصفه مملوكا ليس إليه إلا الطاعة.

قوله (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) والشرط لبيان الحال، لأن الكيد تعاظم أمره فقد دعته كل واحدة لنفسها بدلالة طلب صرف كيدهن عنه، والصبا الميل للهوى، ولفظ الجاهلين أريد به نفي العلم والرعاية عن نفسه، وفي كلام يوسف ما يدل على شدة إعراضه عن مغرياتهن وأنه لم يكن منشغلا بجميل سوى ربه، وأن قلبه لم يملأ بغير حب إلهه، لذلك دعا لنفسه بالخلاص منهن وبصرف كيدهن عنه، ولم يقترح على ربه السجن.

قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (فاستجاب له ربه) الفاء للتعقيب، والاستجابة مبالغة في الإجابة، وفي إضافة ضمير الغائب العائد إلى يوسف في (ربه) عناية بنبيه.

قوله (فصرف عنه كيدهن) الفاء للتفريع، وصرف الكيد بصرف أثره عن يوسف.

قوله (انه هو السميع العليم) فصل الجملة للتعليل، وضمير الشأن للتعظيم، و(هو) ضمير منفصل للقصر في أنه سميع يجيب دعوة من دعاه سريعا، عليم يعلم ما انطوت عليه القلوب.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ ﴾

فصل متسلسل من قصة يوسف ـ من الآية الخامسة والثلاثين إلى الآية الثانية والأربعين ـ تصور انتقاله من بيت العزيز إلى مكثه في السجن.

قوله (ثم) تفيد التراخي في الزمن، أي: بعد مدة من انتشار القالة في المدينة.

قوله (بدا لهم) أي: ظهر واستقر رأيهم، وهم العزيز وامرأته والمشيرون عليه من جماعته.

قوله (من بعد ما رأوا الآيات) والرؤية للبصر، والآيات الدلائل والبراهين على براءة يوسف، من شهادة الصبي، وقد القميص، وإقرارها على نفسها، وتقطيع الأيدي.

قوله (ليسجننه حتى حين) اللام للقسم المتصل بالفعل المؤكد بالنون، دلالة على عزمهم سجنه قطعا للقالة والحديث في أمر يوسف مع امرأته، و: حتى حين: إلى أجل محدود، حتى ينسى الناس الأمر، ولهذا الرأي مآرب كثيرة، لا يخلو فيها من تطويع يوسف ومعاقبته، وهو أمر يدل على تأثير زليخا في رأي زوجها، وعدم انقطاع رجائها في يوسف.

قوله تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

في الآية ايجاز حذف جمل، فيوسف أُمِر بحبسه ونقله إلى السجن.

قوله (ودخل معه السجن فتيان) إسناد فعل الدخول إلى الفتيين مجاز عقلي، وهما عبدان من عبيد الملك، فهما أدخلا حقيقة ولم يدخلا، شأنهما شأن يوسف، وتعريف السجن لحضوره في الذهن.

قوله (قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا) الفصل للاستئناف، إذ لا علاقة بين دخولهما وبين قولهما، وإنما أريد الإشعار بالفصل الزمني بينهما، و: أحدهما: أحد الفتيين: وهو ساقي الملك، وفعل الرؤية من رؤيا المنام، بدلالة ياء التكلم فيه، والمضارع لاستحضار الحال، وعصره الخمر مجاز مرسل باعتبار ما سيؤول، أي: يعصر عنبا يؤول إلى خمر.

قوله (وقال الآخر) وهو القائم على شؤون الأكل للملك، وقوله (إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) المعنى ظاهر.

قوله (نبئنا بتأويله) أي: أخبرنا بمعنى ما رأينا، وضمير الهاء في الفعل للإيجاز عن إعادة الذكر.

قوله (إنا نراك من المحسنين) الفصل للتعليل، والرؤية رؤية العلم والاعتقاد، والمحسنون العاملون الإحسان، وهو ما يقدم من خير للآخرين، وهو ما توسماه في يوسف من صفاء روح ونقاء قلب، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال: كان يوسف يوسع المجلس ويستقرض المحتاج ويعين الضعيف. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ﴾

قوله (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) استثمر يوسف سؤالهما عن تأويل منامهما في بث علمه بالتوحيد، فقدم دليلا يجلب به قلوب الجميع للإيمان به وليس السائلان فحسب، وضمير الهاء في: ترزقانه: عائد إلى الطعام، وأراد بإتيانه إتيانهما وهما في السجن.

قوله (الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) الاستثناء مسبوق بالنفي للدلالة على القصر بعلم يوسف بالتأويل، والهاء في فعل التأويل عائد إلى الطعام، وأراد به تبيان نوعه لهما قبل أن يصلهما.

قوله (ذلكما مما علمني ربي) اسم الإشارة لتمييز علمه بتأويل الأحاديث، وذكر به وإسناده إلى نفسه أراد به التمهيد لجلب الانتباه إلى الكلام عن توحيده لأن ذلك غايته، فهم إن أعجبوا بعلم يوسف فأولى أن يعجبوا بعلم

من علمه ذلك، وهذا استدراج جميل في استجلاب السامعين لأنهم كانوا قبطا وثنيين، والبدء بدعوته إلى التوحيد ونبذ الوثنية من السجن لأن النفوس أكثر إقبالا على الاستماع منه لقلة انشغالها كثيرا بمتعلقات الحياة.

قوله (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) الفصل لتعليل تعليمه التأويل، بأنه ترك ملة أهل الشرك، والمنكرين للمعاد بدلالة قوله (وهم بالآخرة هم كافرون) وهو توصيف ثان لمن نبذهم يوسف، وقد كان أهل مصر يؤمنون بتعدد الآلهة والقول بتناسخ الأرواح، وينكرون المعاد.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ ﴾

قوله (واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب) الجملة معطوفة، والاتباع كناية عن الطاعة والانقياد بعمل المتبع، والآية تقابل ما مضت، وهذه هي المرة الأولى التي يصرح فيها بنسبه منذ دخوله مصر، وأراد به تعريف أهل السجن به والتنويه بفضل سابقية آبائه.

قوله (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) الفصل لتعليل اتباعه وتنويهه بآبائه، ونفي الكون عنهم ـ وأدخل نفسه معهم لأنه منهم ـ بمعنى: ليس شأننا ولا يصح لنا الإشراك بالله، و(من شيء) زيادة في نفي كل شيء يصح معه شبهة الشرك بالله.

قوله (ذلك من فضل الله علينا) الفصل زيادة في الاستئناف بقصد الترغيب في اتباعهم، و(فضل الله) إشارة إلى رزقهم النبوة والتسديد والعصمة عن الخطأ، وحرف الجر (على) للتمكين والاستعلاء.

قوله (وعلى الناس) الفضل على الناس يكون باتباعهم لأولياء الله، لأن به ينالون السعادتين، وإلى هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: فإنّا صنائعُ ربنا والناس بعدُ صنائعُ لنا. انتهى. لأن الله تعالى يخلص لتوحيده خلقا يجعلهم منارات هدى، يُستدل بهم عليه.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) نفي الشكر عنهم باعتبار كفرهم بالنبوة والرسالة والتوحيد.

قوله تعالى ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ ﴾

قوله (يا صاحبي السجن) لفظ الصحبة يدل على الملازمة، سماهما بذلك باعتبار ما يضمهما من مكان واحد هو السجن، وناداهما لطلب إقبالهما على ما سيبين لهما من معنى التوحيد.

قوله (ء أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) الاستفهام تصوري للتقرير والتعيين، والأرباب المتفرقون يعني بهم الملائكة لأن القبط كانوا يعبدونهم شركاء لله ويتخذون تماثيل لها، وهذا التعيين الفطري يوجب اختيار الفائدة من الإله الواحد لدفع المكروه وجلب المحبوب، وطلبه من

واحد أسهل عليه من طلبه من متعدد، و(خير) مطلق الأفضلية وليس للمقارنة، واختيار الواحد القهار من دون بقية الأسماء لمناسبتها في المقام، وجعل الواحد مقابل المتعدد من الأرباب، ويعني بالواحد المتفرد الذي لا تفترق صفاته عن ذاته، وليس الواحد العددي.

وإلى هذا المعنى قوله ﷺ في إحدى خطبه التوحيدية في نهج البلاغة: واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة، لم تحط به الأوهام، بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها. انتهى.

قوله تعالى ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) الفصل للاستئناف والبيان، وفي الكلام التفات بدأه بخطاب صاحبيه ثم عدل عنه إلى خطاب المجموع لأنهم مشتركون جميعا في خطأ العبادة، والهاء في (دونه) عائد إلى الله تعويلا على التصريح بالواحد القهار، وأراد بـ (أسماء) الأوثان التي يعبدونها فيعطون لها وظائف لكل إله يزعمونه منها ويوزعون عليها المهام التي يحتاجها البشر كإله البحر وإله البر، وإله

الرزق، وإله السماء، وإله الأرض، وإله الأب، وإله الأم، وتنكيرها للتقليل من شأنها في كونها مجرد أسماء لا مسمى وراءها، وقوله (سميتموها أنتم وآباؤكم) لنزع القدسية عنها، في كونها بدعا لا قيمة غيبية لها كما يزعمون، والإخبار يراد به التحقير لها.

قوله (ما انزل الله بها من سلطان) الفصل للتأكيد، والمعنى: نفي أن يكون لها حجة نازلة من الله بعبادتها.

قوله (إن الحكم إلّا لله) الفصل للتعليل، لإبطال عبادتهم للآلهة، فقصر الحكم والقضاء والأمر بالله وحده دون سواه.

قوله (أمر ألّا تعبدوا إلّا إياه) الفصل لتأكيد الجمل لأنها في معنى واحد في بيان الربوبية، لذلك أوردت بأسلوب تأكيدي واحد من النفي والاستثناء، وقصر العبادة به وحده سبحانه، وقد تعمد التصريح بلفظ الجلالة ست مرات في الآيات المتتالية إمعانا في ترسيخ لفظه في الذهن لأن المخاطبين لم يعرفوه إلا بوثنيتهم.

قوله (ذلك الدين القيم) استأنف لأنه نتيجة عما تقدم، و: قيم: صيغة مشبهة مبالغة في القيام بالشيء وتدبيره، والمعنى أن دين التوحيد هو الأقدر على القيام بإدارة المجتمع وتدبير شؤونه.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي: لا يعلمون جوهر دين التوحيد كما توضح.

قوله تعالى ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (يا صاحبي السجن) استأنف النداء لإلفات انتباههما لأهمية ما سيسمعان.

قوله (أما أحدكما فيسقي ربه خمرا) أحدكما: أي: ساقي الملك، والإخبار يفيد أنه سيفرج عنه ويطلق سراحه ويعود سيرته في عمله بخدمة الملك، و(ربه) أي: مالكه، يعني به الملك.

قوله (وأما الآخر) ويعني به العامل على إعداد طعام الملك، قوله (فيصلب) الفاء في جواب الشرط، والصلب أن يربط المعاقب على خشبة ويجرح ويترك ليموت.

قوله (فتأكل الطير من رأسه) الفاء للتعقيب، والطير للجمع والمفرد، وتعريفه لإرادة العموم، و: تأكل: أي: تنهش من رأسه حتى الموت.

قوله (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) الفصل للاستئناف، ولفظ القضاء وإيراده بفعله المبني للمجهول بمعنى صدور الحكم النهائي من الله، وإضمار الفاعل إشارة إلى بيان ما قدم من تعريف بالله تعالى، والصلة لبيان الأمر، ولفظ الاستفتاء تكلف في معنى طلب الإفتاء.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (وقال للذي ظن أنه ناج منهما) الجملة معطوفة، و(ظن) مستعملة في معنى العلم، والمراد صاحب سقاية الملك.

قوله (اذكرني عند ربك) الفصل لأنه مقول القول، و: اذكرني: كناية عن ذكر قصته عند الملك وحكاية مظلوميته، و(ربك) أي: مالكك وسيدك يعني به الملك.

قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) الفاء للتفريع على قوله (اذكرني عند ربك)، وضمير الهاء في فعل النسيان عائد إلى الناجي، وذكر ربه: أي: ذكر أمر يوسف للملك، من باب إضافة المصدر لمعموله، وضمير الهاء في لفظ الرب عائد إلى الساقي.

قوله (فلبث في السجن بضع سنين) الفاء للتفريع، واللبث طول المكث والإقامة، والبضع فوق الواحد وما دون العشرة، وكان قد مكث يوسف سبع سنين في السجن.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣ ﴾

سياق الآيات ـ من الآية الثالثة والأربعين إلى السابعة والخمسين ـ تحكي قصة خروج يوسف من السجن بتأويل رؤيا الملك وبراءته بعد ذلك.

قوله (وقال الملك) الواو تفيد عطف فصل على فصل من القصة، والملك هو حاكم مصر، وسمي بذلك ولم يسمه القرآن فرعون لأنه قبل ظهور سلالة اسم الفراعنة، فقد كان يحكم مصر في ذلك الزمان الهكسوس، وهم العمالقة، وقيل أصلهم من الكنعانيين من العرب، ويسمون ملوك الرعاة، وحكموا مصر من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٥٢٥ قبل الميلاد.

قوله (إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) الفصل لأنه مقول القول، والرؤية رؤيا المنام، ولفظ العجاف جمع عجفاء وقياسه (عجف) ولكن اختاره لأجل إتباعها بـ (سمان)، ومعناه الضعيفة الهزيلة تقابل السمان، وهذه الرؤيا تكررت في منامه.

قوله (يا أيها الملأ) الفصل للإنشاء، وخاطب الملأ لأنهم هم القريبون منه وبخدمته.

قوله (أفتوني في رؤياي) الأمر في لفظ الإفتاء بمعنى طلب الفتوى، ونسبة الفتوى إليهم مجاز عقلي أراد به إحضار من يفك له رموز منامه، وقد كان ذلك شائعا بينهم ولاسيما الكهان منهم، والمراد: أخبروني وفسروا لي، ورؤياي: ما يراه النائم من حلم، و(في) للظرفية المتضمنة دخول التأويل دخولا في بيان الرؤيا.

قوله (إن كنتم للرؤيا تعبرون) الشرط علق به قوله (أفتوني)، وتقديم المعمول (للرؤيا) للاهتمام ورعاية الفاصلة، وتعريفها لإفادة العموم، وتعبرون من التعبير بالتأويل.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤ ﴾

قوله (قالوا أضغاث أحلام) الذين قالوا هم المعبرون، والأضغاث جمع ضغث، وهو الخليط المجتمع من أمور متفرقة، وأرادوا بها أنها أخلاط أحلام لا معنى لها، وتنكير اللفظين لإفادة إبهامهما، وتعقيد الرؤيا لأنها متنقلة من رؤيا إلى أخرى في المنام الواحد، فتبدو ليس يجمعها جامع من فك رموزها.

قوله (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) نفيهم المؤكد بالقصر والباء الزائدة في (بعالمين) وتقديم المعمول (بتأويل الأحلام) على عامله يفيد نفيهم بتأويل أضغاث الأحلام، أما الأحلام الصحيحة فهم يعلمون تأويلها، ولا تنافي كبير في المعنى لو عد أل التعريف للعهد في لفظ (الأحلام) أو

العموم، لأنه إن أريد العهد فمعناه ما ذكروه بحلمه خاصة، وإن أريد العموم فهم غير قادرين على التعبير عن الأحلام المختلطة غير الصحيحة.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (وقال الذي نجا منهما) كناية عن الساقي الذي أخبره يوسف بنجاته، وضمير التثنية في (منهما) أي من الناجي والهالك.

قوله (وادكر بعد أمة) ادكر بمعنى: تذكر، أدغمت التاء بالذال واستجلبت همزة الوصل للتخفيف في النطق، وقوله (بعد أمة) أي: بعد أجل طويل امتد لسبع سنين كان قد نسي فيها ما أوصاه يوسف أن يتذكره عند ربه.

قوله (أنا أنبئكم بتأويله) الفصل لأنه مقول القول، والخطاب للملك وأعوانه، والمعنى: بادر الساقي من نفسه وقال: أنا أخبركم بتأويل الرؤيا بعد عجز المنجمين عنها.

قوله (فأرسلون) الفاء للتفريع، أي: أرسلوني إلى السجن لأخبر يوسف عن الرؤيا، وحذفت الياء من فعل الإرسال للتخفيف ولرعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (يوسف أيها الصديق) في الكلام حذف جمل للإيجاز، وذلك من أسلوب القرآن يجد لا نفع كبير للمعنى في إيراده، وتقديره: فأرسل الساقي إلى السجن والتقى يوسف، فقال: يوسف أيها الصديق.. إلى آخر الآية، وحذفت أداة النداء للتخفيف، و(أيها الصديق) نداء تعظيم، ولفظ الصديق مبالغة في صدق الكلام وتعبير الرؤى.

قوله (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) الفصل للإنشاء، لأنه مقول القول، وطلب الفتوى من دون تصريح بلفظ الرؤيا تعويلا على ما بينهما من عهد تأويل المنامات.

قوله (لعلي أرجع إلى الناس) تعليل لطلب الفتوى، وأراد بالناس بدلالة أل العهد الكناية عن الملك وأعوانه من الملأ الذين ينتظرون رجوعه بتأويل الرؤيا.

قوله (لعلهم يعلمون) تعليل لرجوعه بالتأويل الصحيح، أي: لكي يفهموا التأويل برجوعه.

قوله تعالى ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ﴾

قوله (قال تزرعون سبع سنين دأبا) الفصل لأن التأويل متضمن معنى الإخبار، وضمير الجمع في (تزرعون) عدول بالكلام من خطاب الساقي إلى خطاب الجمع استفيد من دلالة (الناس) في قوله الآنف، وأورد فعل الزراعة بصيغة الخبر وأراد به الإنشاء بمعنى: ازرعوا، و(دأبا) حال، والمعنى: تزرعون في حال من الاستمرار غير المنقطع، والدأب إدامة السير.

قوله (فما حصدتم فذروه في سنبله إلّا قليلا مما تأكلون) الفاء الأولى للتفريع، والفاء الثانية للتعقيب، وتأويل يوسف للرؤيا تفكيك وحل للرموز ثم تقديم المعالجة لها، وهو أن يحفظ الزرع بسنبله لأن العفن والفساد لا يلحقه طالما هو محفوظ بسنبله، والاستثناء يعني الاحتفاظ بأكثره وأخذ قليله ليطحن ويتخذ طعاما.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ﴾

قوله (ثم) تفيد التراخي الزمني، أي: بعد مدة من الزمان.

قوله (يأتي من بعد ذلك سبع شداد) أي: من بعد الخصب والزراعة المستمرة مدة سبع سنين، وفاعل يأتي متضمن معنى الجدب والقحط، والسبع الشداد أي سبع سنوات شديدة الوطء، كناية عن ثقلها على الناس لشدة ما يلحقهم من جفاف في الأرض وإمساك للسماء.

قوله (يأكلن ما قدمتم لهن) وفعل الأكل استعارة بالكناية من السباع المفترسة تشبيها للسنوات الشداد بها ثم حذف المشبه به وأشير إلى شيء من لوازمه وهو الأكل لما اختزن من طعام يقدم لهن بدلا منهم.

قوله (إلا قليلا مما تحصنون) أي: إلا قليلا مما تدخرون فهو لكم لا تأكله السباع، والإحصان الاحتراز والادخار.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩ ﴾

قوله (ثم يأتي من بعد ذلك عام) تفيد ثم التراخي الزمني، والظرف في قوله (من بعد ذلك) أي: من بعد السنوات الشداد، ولفظ العام يطلق على ما يتضمن من أحداث مهمة.

قوله (فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) وتقديم المتعلقات الظرفية (فيه) للقصر، في أنه عام الفرج، وأريد بالغيث الكناية عن إرسال السماء ماءها فتنبت الأرض كلأها وزرعها وتخصب خضراء نضرة، وفعل العصر متم لمعنى الغيث، كناية عن الحلب من ضروع الأنعام أو كناية عن الأشربة

والأدهنة من الفواكه والبقول، وكلا الفعلين (يغاث ويعصرون) صورة كنائية عن توافر النعم بعد القحط.

وفي تفسير القمي، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام: ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، على البناء للفاعل فقال: ويحك أي شيء يعصرون، يعصرون الخمر؟ قال الرجل يا أمير المؤمنين كيف أقرؤها؟ فقال: إنما نزلت وفيه يعصِرون، أي: يمطرون بعد سني المجاعة والدليل على ذلك قوله: (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا). انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

في الكلام ايجاز بحذف الجمل، تقديره: ثم رجع الساقي برؤيا يوسف إلى الملك، وأخبره بما جرى معه.

قوله (وقال الملك ائتوني به) أي: بعد إخباره التأويل من الساقي، أمر الملك بإحضار يوسف من السجن.

قوله (فلما جاءه الرسول) الفاء للتفريع، وضمير الهاء في فعل المجيء عائد إلى يوسف، ولفظ الرسول كناية عن تبليغ يوسف برسالة الملك بإحضاره، وتعريفه للعهد.

قوله (قال ارجع إلى ربك) ضمير فعل القول راجع إلى يوسف، وربك: أي: ملكك، والخطاب موجه إلى الرسول وهو الساقي نفسه.

قوله (فسئله) الفاء لتعليل أمر الرجوع، وأمر السؤال لإفادة تحقيق براءة يوسف مما رمي به.

قوله (ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) الاستفهام للتقرير والاستعلام، وتعريف النسوة لأنهن معرفات لأهل المدينة، واختار يوسف من قصة الكيد به تقطيع أيدي النسوة لأنها دليل براءته، ولأدبه النبوي الرفيع لم يذكر زليخا بسوء ولم يذكر النسوة بأكثر مما ذكر، فلا مراودة ولا إلحاح ولا تغليق أبواب، كلها أعرض عن ذكرها لأن ما يطلبه ليس الحكم عليهم وإنما تنزيهه بما بهتوه.

قوله (إن ربي بكيدهن عليم) الفصل تعليل لاستفهامه السابق، والإخبار مؤكد محقق بالجملة الإسمية المبدوءة بحرف التوكيد (إن)، وتقديم المعمول (بكيدهن) للاهتمام ورعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

قوله (قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه) في الكلام حذف جمل للإيجاز، لدلالة المقام عليه، تقديره: فرجع الرسول إلى الملك فأخبره رسالة يوسف، فاستدعى الملك النسوة وسألهن: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه.

والسؤال في قوله (ما خطبكن) استفهام حقيقي، والخطب المصيبة تقال في الأمور العظام، و(إذ) للظرفية، والمعنى: ما شأنكن وقت مراودتكن يوسف عن نفسه؟

قوله (قلن حاش لله) كلمة تنزيه، قلن مثلها حين رأينه أول مرة، والمعنى: تنزيه يوسف من السوء.

قوله (ما علمنا عليه من سوء) نفي مشدد، و(على) مجاز استعلاء وتمكن، وتقديمه على عامله لإفادة القصر، و(من) زائدة لتوكيد نفي السوء عن يوسف، والسوء كناية عن الفاحشة، وتنكير اللفظ للعموم.

قوله (قالت امرأة العزيز) وهي زليخا صاحبة الشأن والفتنة.

قوله (الآن حصحص الحق) الآن: ظرف زمان مبني يفيد معنى الحضور، وحصحص بمعنى الكشف والوضوح، وتكرار المقطع مبالغة في انكشاف الحق.

قوله (أنا راودته عن نفسه) الفصل تعليل لتحصحص الحق، والقول منها إقرار واعتراف بمظلومية يوسف.

قوله (وإنه لمن الصادقين) الجملة معطوفة، وهو تعليل ثان، وإقرار مؤكد بضمير الشأن لتعظيم يوسف، واللام واقعة في خبر (إن)، وصيغة الجملة الإسمية دالة على لزوم صفة الصدق بيوسف.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ ﴾

قوله (ذلك ليعلم) في الكلام حذف تقديره: ورجع رسول الملك إلى يوسف وأخبره باعتراف النسوة وبراءته، فقال يوسف: إن إرجاعه إلى الملك للتحقيق في الأمر لغايات منها: ذلك ليعلم أني إلى آخر الآية، فاسم الإشارة لتمييز إرجاع الرسول وطلب التحقيق بأمر النسوة، واللام في فعل العلم للتعليل، وفاعل يعلم هو عزيز مصر.

قوله (أنى لم أخنه بالغيب) وهو الغرض الأول: أي: حافظ لعرضه وبيته.

قوله (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) وهو الغرض الثاني: أن الله يفضح كيد الخائنين وأنهم لابد يوما تهتك أستار الكيد عن أفعالهم، وفي الكلام إشارة إلى تعليل براءته وتأييده بالله، وفيه تلميح إلى الملك إلى إمكان اتخاذه أمينا على خزائن مصر.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾

قوله (وما أبرئ نفسي) لما أثبت لنفسه نزاهتها، أثبت أن تزكيتها تكون بلطف من الله تعالى، وليس له تبرئتها بالمطلق، بمعنى أن النفس بطبيعتها مجبولة على الميل إلى الشهوات، وإنما عناية الله هي التي تصرف السوء عنها.

قوله (إن النفس لأمارة بالسوء) الفصل تعليل للنفي، والأمارة مبالغة في الأمر بالسوء، والإخبار يراد به التسليم لله في تزكية النفس.

قوله (إلا ما رحم ربي) الاستثناء إخراج للمؤمنين ـ ومنهم هو عليه السلام ـ الذين ينجون بأنفسهم برحمة وفضل من الله.

قوله (إن ربي غفور رحيم) الفصل تعليل لمن تشملهم الرحمة، فالله غفور يستر سيئات عباده، رحيم يدخلهم بظل عفوه وجنانه، وتكرار (ربي) للإشارة إلى عناية الله به وخصوصية اعتزازه بعبوديته لربه.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ ﴾

قوله (وقال الملك ائتوني به) العطف عطف فصل على فصل، ودلالة ائتوني به إطلاق سراح يوسف من السجن بعد تبرئته وإعزازه.

قوله (أستخلصه لنفسي) الفصل للتعليل، والاستخلاص مبالغة في الاصطفاء، أي: أختص به خليلا وعونا ومساعدا، كناية عن شدة الاتصال والقرب منه، واللام في (لنفسي) للملك.

قوله (فلما كلّمه) الفاء للتفريع، وفاعل التكليم يوسف، وضمير الهاء عائد إلى الملك، والمراد الإبانة عن حكمة يوسف وعلمه وأدبه.

قوله (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) جواب (لما) تعليل لفعل التكليم، والقائل هو الملك، ثناء منه على يوسف ﷺ، أورده بصيغ التأكيد إعجابا بيوسف، والمكين صفة مشبهة لذي المكانة الكبيرة والمنزلة العظيمة، والأمين كذلك زيادة في صفة الأمانة في معنى المأمون، وفي قول الملك إغراء ليوسف ﷺ على طلبه في الآية اللاحقة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله (قال اجعلني على خزائن الأرض) الفصل لوقوع الجملة في مقام الحوار، والأمر من يوسف ﷺ عرض واقتراح منه على الملك، لم يطلب

فيه مالا ولا جاها، بل لِما رأى في نفسه كفاية في إدارة أزمة البلد، و(على) مجاز لتسليطه على أموال مصر والتصرف بها التي كنى بها بلفظ الخزائن، وتعريف الأرض يراد بها أرض مصر، وسؤاله سؤال من رغب في المباشرة بنفسه في تخليص الناس مما سيقبلون عليه تمهيدا لمهمة سامية هي نشر التوحيد بين الناس، وليس سؤال من يرغب بتسلط على رقاب الناس.

قوله (إني حفيظ عليم) الفصل لتعليل طلبه، وأورد بصيغة التأكيد الخالي من الزمن لرسوخ ثقته وتمكنه، وحفيظ مبالغة في حفظ الأمانة وعليم مبالغة في معرفته بعمله، وكلتا الصفتين مما ينبغي لمن يتصدى لهذه المهام.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦ ﴾

قوله (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) وهذا التمكين الثاني من الله تعالى ليوسف بإخراجه من السجن وجعله ملكا على خزائن مصر، بعد التمكين الأول بإخراجه من البئر وإدخاله بيت العزيز، وفيه تلميح رعاية الله لنبيه الذي أريد به الكيد ليكون من الصاغرين إذا به يرفعه الله عزيزا منيعا في مصر.

قوله (يتبوء منها حيث يشاء) الجملة في موقع الحال، وهي كناية عن تصرفه كما يرغب في ملك مصر، وفي الكلام إشارة إلى فضل الله على يوسف الذي كادوا به ليحبس ويمنع حريته إذا به يبوئه الله أي مكان يرغب من مصر.

قوله (نصيب برحمتنا من نشاء) الإصابة تقتضي التعيين، وتستعمل في الحظ، والجملة في معناها من باب العموم بعد الخصوص.

قوله (ولا نضيع أجر المحسنين) الجملة معطوفة متممة لما سبق، وفي حفظ الأجر جزاء لإيراد لفظ المحسنين.

وفى تفسير البرهان، روي عن الرضا عليه السلام قوله: وأقبل يوسف على جمع الطعام في السبع السنين المخصبة، فكبسه في الخزائن، فلما مضت تلك السنون، وأقبلت السنون المجدبة، أقبل يوسف على بيع الطعام، فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير، حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار، ولا درهم إلا صار في ملك يوسف، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر إلا صار في ملكه، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي، حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية إلا صار في ملكه، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلا صار في ملكه، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والفناء حتى لم يبق في مصر وما حولها دار ولا فناء إلا صار في ملكه، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتى لم يبق

بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلا صار في ملكه، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صار عبدا ليوسف، فملك أحرارهم وعبيدهم وأموالهم، وقال الناس: ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكما وعلما وتدبيرا، ثم قال يوسف للملك: ما ترى فيما خولني ربى من ملك مصر وما حولها؟ أشر علينا برأيك، فإني لم أصلحهم لأفسدهم، ولم أنجهم من البلاء، ليكون بلاء عليهم، ولكن الله أنجاهم بيدي، قال الملك: الرأي رأيك، قال يوسف: إني أُشهِد الله وأُشهدك أيها الملك أني قد أعتقت أهل مصر كلهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك الملك وخاتمك وسريرك وتاجك، على أن لا تسير الا بسيرتي ولا تحكم إلا بحكمي، قال له الملك: إن ذلك توبتي وفخري أن لا أسير إلا بسيرتك، ولا أحكم إلا بحكمك، ولولاك ما توليت عليك، ولا اهتديت له، وقد جعلتَ سلطاني عزيزا ما يُرام، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسوله، فأقم على [ما] وليتك، فإنك لدينا مكين أمين. انتهى.

قوله تعالى﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله (ولأجر الآخرة خير) الكلام التفات إلى معنى دوام الخير في الآخرة بعد ذكر مقامات يوسف في الدنيا، واللام المقترن بلفظ الأجر موطئة للقسم، إشارة إلى تأكيد المعنى، و(خير) مطلق الأفضلية، وهو جواب القسم.

قوله (للذين آمنوا) اللام للملك واسم الموصول وصلته علة لمعنى ما تقدم من خير أجر الآخرة.

قوله (وكانوا يتقون) جملة حالية أي: الذين شأنهم الورع عن المعاصي والوقوع في الشبهات، كيوسف عليه السلام.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨ ﴾

هذا الفصل من القصة تعرض فيه الآيات لقاء يوسف بإخوته، من الآية الثامنة والخمسين إلى الآية الثانية والستين.

قوله تعالى (وجاء إخوة يوسف) الجملة معطوفة متصلة الأجزاء، وفي الكلام حذف كثير، فبعد مضي سبع سنين خصبات، جاءه إخوته في سني الجدب، فهذا الفصل عود عجيب إلى أصل القصة، وهم إخوته وما فعلوه به، جاوؤا كلهم إلا شقيقه بنيامين لاستئثار يعقوب به أنيسا يدفع عنه وحشة فقد يوسف.

قوله (فدخلوا عليه) الفاء للتعقيب، و(عليه) أي: على يوسف، لأنه كان يباشر بنفسه على رعاية مصالح الناس، ومراقبة شؤونهم في مواقع اختزان الحبوب وتزويد الناس بها.

قوله (فعرفهم) الفاء للتعقيب، عرفهم وميزهم واحدا واحدا بفراسته وعلمه.

قوله (وهم له مُنكِرون) الجملة حالية، أي: عرفهم في حال من إنكارهم له، وتقديم المتعلق للاهتمام ورعاية الفاصلة، وهم لم يعرفوه لأن الفارق الزمني منذ إلقائه في البئر ـ وهو آخر عهدهم به ـ ودخولهم عليه أربعون عاما، تغير فيه وجه يوسف وزيه فتصوروه قبطيا، ويبعد عن أذهانهم أن يكون بهذا العز والملك.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله (ولما جهّزهم بجَهازهم) الجملة معطوفة، أي: تجهيزهم بما يتخذ طعاما، فقد كانوا في سنة جدباء اضطروا معها إلى الاستعانة بخزين مصر، ونسبة التجهيز إلى يوسف مجاز عقلي بعلاقة السببية، لأنه الآمر بجهازهم.

قوله (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) جواب (لما)، وأراد به بنيامين لأنه أخوهم غير الشقيق، وتنكير لفظ الأخ لإفادة الإبهام بادعاء عدم معرفته، تعمية منه عليهم لئلا يتفطنوا لأمره.

قوله (ألا ترون أنّي أُوفِي الكيل) الاستفهام للتقرير، وأوفي الكيل: بمعنى أزيده إذا جئتم به، سماه باسم آلته، وأراد المكيل وهو الطعام.

قوله (وأنا خيرُ المُنزِلين) الجملة حالية، أي: أوفي الكيل في حال من إكرامكم، أورد كلامه عاما وأرادهم به خاصة، وإنما قال ذلك ليغريهم بالعودة ومعهم بنيامين.

قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾

قوله (فإنْ لم تأتوني به) وهذا من الترهيب، خوفهم إن لم يأتوا به فلن يكيل لهم، وضمير الهاء في (به) عائد إلى بنيامين.

وقوله (فلا كيل لكم عندي) الفاء في جواب الشرط، و: لا: نافية للجنس، والمعنى: لا تستحقون مني طعاما.

وقوله (ولا تقربون) زيادة في التخويف، أشد من الأول، أي: لا تدخلوا أرضي ولا تحضروا عندي للامتيار أصلا، وشدد لهم في الكلام من أجل الإتيان ببنيامين.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

قوله (قالوا سنراود عنه أباه) ضمير الجمع في فعل القول عائد إلى إخوة يوسف، وفعل المراودة أرادوا به أنهم سيطلبون من أبيهم ذلك برفق وإلحاح، وفي ذلك دليل على أنهم حكوا ليوسف عن أبيهم وعن بنيامين، فهم لم يقولوا: أبانا، بل قالوا: أباه.

قوله (وانا لفاعلون) الجملة تأكيد منهم لإرضاء يوسف، وتشديد لإظهار عزمهم على ذلك.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله (وقال لفتيانه) أي: يوسف، قال لغلمانه العاملين بعيدا عن إخوته.

وقوله (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أي: اجعلوا أموالهم داخل رحالهم، سمى المال بضاعة لأنهم يبادلون به ما يتخذ طعاما، وقال الراغب: البضاعة قطعة وافرة من المال يقتنى للتجارة. انتهى. و(في) للظرفية المجازية، والرحال متاع المسافر الذي يحمل على البعير.

قوله (لعلهم يعرفونها) تعليل، أي: لكي يتعرفوا عليها ويعثروا عليها.

قوله (إذا انقلبوا إلى أهلهم) فعل الانقلاب كناية عن رجوعهم إلى أهلهم.

قوله (لعلهم يرجعون) تعليل، لكي يرجعوا مصطحبين أخاهم معهم.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

تقتص الآيات ـ من الآية الثالثة والستين إلى الآية الثانية والثمانين ـ رجوع إخوة يوسف إلى أبيهم وإقناعه بحمل بنيامين معهم ثم عودتهم إلى الاكتيال في مصر، وفيها حيلة إبقاء بنيامين مع أخيه يوسف.

قوله (فلما رجعوا إلى أبيهم) الفاء للعطف، وضمير الجمع في فعل الرجوع عائد إلى إخوة يوسف.

قوله (قالوا يا أبانا) نداء شفقة واستعطاف.

قوله (منع منا الكيل) أي: منع في قابل الأيام، و(من) ابتدائية، و(الكيل) مصدر أريد به مسماه، أي: ما يكال، قال الراغب: الكيل كيل الطعام يقال: كلت له الطعام إذا توليت له ذلك، وكلته الطعام إذا أعطيته كيلا، واكتلت عليه، إذا اخذت منه كيلا، قال تعالى: (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم). انتهى.

قوله (فأرسل معنا أخانا نكتل) الفاء للتفريع، وأرادوا إرسال بنيامين معهم، وعبروا عنه بـ (أخانا) تطييبا لنفس أبيهم، لأن العزيز اشترط ذلك، و(نكتل) مجزوم لوقوعه جواب الطلب.

قوله (وإنا له لحافظون) الجملة حالية، والتشديد والتأكيد بإيرادها بالجملة الإسمية لإظهار عزمهم على حفظ أخيهم بنيامين، وتقديم المتعلق (له) على عامله للاهتمام ورعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله (قال) يعقوب رادا على اقتراح بنيه.

قوله (هل آمنكم عليه إلّا كما آمنتكم على أخيه من قبل) الاستفهام للإنكار، والتشبيه بحالة طلبهم الأمان على بنيامين في ظلهم بحالة أمانهم على يوسف من قبل للتذكير ولتبيان انعدام الثقة ببنيه، و(أخيه) كناية عن يوسف، و(من قبل) إشارة إلى الزمن البعيد.

قوله (فالله خير حافظا) الفاء للتفريع، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم، و(حافظا) تمييز للفظ الخير، ويبدو من الكلام أنه سلم لأمر الله بإرسال بنيامين معهم.

قوله (وهو أرحم الراحمين) تتمة البيان بمنزلة التعليل لقوله (فالله خير حافظا) لأن من ائتمن وخان يعيد فعلته إذا ائتمن مرة ثانية، لذلك الله هو خير حافظا لأنه أرحم الراحمين، وفي إخباره تعريض بهم لأنهم لم يرحموا أخاهم ولم يبروا أباهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٞ يَسِيرٞ ٦٥ ﴾

قوله (ولما فتحوا متاعهم) أي: متاع سفرهم ورحالهم، قوله (وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) وكانت صررا من الدراهم موضوعة بين الرحال كما أمر يوسف.

قوله (قالوا يا أبانا ما نبغي) أي: قال أولاد يعقوب، و(ما) استفهام يفيد التعجب من إكرام العزيز لهم.

قوله (هذه بضاعتنا ردت إلينا) الفصل لدهشتهم وتعجبهم من رجوع أموالهم إليهم.

قوله (ونمير أهلنا) أي: نشتري بها طعاما ميرة لأهلنا، ويسمى ما يرجع من الطعام المشترى ميرة، وفي ذلك التفصيل تطييب لنفس أبيهم ليسمح بذهاب أخيهم معهم.

قوله (ونحفظ أخانا) تأكيد منهم على حفظ أخيهم بنيامين.

قوله (ونزداد كيل بعير) أي: يزدادون في الامتيار بزيادة العدد حمل بعير.

قوله (ذلك كيل يسير) جملة تعليل، لأن كيلهم الذي اكتالوه قليل لا يكفيهم، فقد كانت عائلة يعقوب من ست وسبعين نفسا.

قوله تعالى ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾

قوله (قال) يعقوب رادا عليهم.

قوله (لن أرسله معكم) نفي اصطحابهم لبنيامين إلا بشروط.

قوله (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى: للابتداء، و(تؤتوني) تعطوني، و(الموثق) مصدر من الوثاقة والعهد واليمين، وعلقه بأن يكون صدوره (من الله) لتعظيمه، وهو أن يقولوا: لك عهد الله، ولك ميثاق الله.

قوله (لتأتنني به) واللام للقسم، وضمير الغائب في (به) عائد إلى بنيامين، وجملة القسم هي جملة جواب لقسم محذوف دل عليه لفظ الموثق، حكاية على لسانهم.

قوله (إلا أن يُحاط بكم) الاستثناء لإخراج من عهد القسم في حفظ بنيامين، فهو لا يلزمهم إذا فاق الأمر قدرتهم مثل أن يؤسروا ونحوه، وفعل الإحاطة كناية عن ذلك، وفي كلام يعقوب احتراز على ولده فهو أب شفيق لهم مثلما هو شفيق ببنيامين.

قوله (فلما آتوه موثقهم) أي: ولده، أعطوه موثقا وعهدا من الله بأن يردوا بنيامين إليه.

قوله (قال الله على ما نقول وكيل) الفصل للمحاورات بينهم، والتصريح بلفظ الله للتعظيم، والوكيل صفة مشبهة مبالغة في معنى الموكول، وإنما قال ذلك يعقوب ليكون العهد أبلغ في الحفظ، ويبدو من استجابة ولده صدق نواياهم وندمهم على ما فعلوا بيوسف.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾

قوله (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد) وهذا من وصايا يعقوب لولده، بعد أن وافق على إرسال أخيهم معهم، فهم عددهم كبير وزيهم مختلف فخاف عليهم عيون الحراسة من حبسهم أو مراقبتهم أو التضييق عليهم إن دخلوا بعددهم من باب واحد.

قوله (وادخلوا من أبواب متفرقة) أي: أبواب متعددة وسماها متفرقة، ليوحي بذلك تفرق بنيه على دخول المدينة، وكانت منفيس مدينة عظيمة في مصر السفلى لها عدة أبواب.

قوله (وما أغني عنكم من الله من شيء) أي: أنا أعمل بتكليفي وسعيي في الإيصاء بحفظكم، وأما ما يقدره الله لكم فذلك ما لا أعلمه ولا أغني عنكم في رده شيئا، وهذا من أدب التوحيد أراد به يعقوب عليه السلام تعليم ولده،

و(عنكم) تفيد (عن) المجاوزة، و(من) الأولى حرف جر للابتداء، و(من) الثانية زائدة لتأكيد نفي العموم.

قوله (إن الحكم إلّا لله) جملة تعليل، أوردت بأسلوب القصر وبالجملة الإسمية لأن ذلك أثبت للمعنى، والحكم القضاء مختص به الله وحده.

قوله (عليه توكلت) الفصل لاتحاد المعاني واتصالها، وتقديم المتعلق للقصر، وهو من دعائه لنفسه.

قوله (وعليه فليتوكل المتوكلون) عطف وقصر، والفاء المقترن بفعل أمر التوكل لتضمن الكلام معنى الشرط بسبب تقديم المتعلق، والكلام من دعاء يعقوب لبنيه.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾

قوله (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي: التزموا بوصية أبيهم في الدخول من أبواب متفرقة.

قوله (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) تأكيد في أن قضاء الله نافذ لو شاءت مشيئته بهم قدرا ما، فلا دخولهم من أبواب متفرقة يغني ولا وصية أبيهم تنفعهم.

قوله (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) والحاجة: كناية عن وصيته لبنيه احترازا من غائلة القدر، و(قضاها) أبلغها ولده.

قوله (وإنه لذو علم لما علمناه) ضمير الشأن في (إنه) لتعظيم شأن يعقوب، والكلام ثناء من الله تعالى ليعقوب، في أن علمه بتعليم من الله.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الجملة تذييل، أي: لا يعلمون التوفيق بين السعي والاتكال على الله.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله (ولما دخلوا على يوسف) في الكلام حذف جمل إيجازا لعدم نفعها الكثير في غرض القصة، تقديره: فسار أولاد يعقوب ومعهم بنيامين، ووصلوا مصر يمتارون، ولما دخلوا على يوسف إلى آخر الآية، ويبدو من سهولة دخولهم على يوسف اختلاط يوسف بالناس في موقع خزن الطعام ومبادلته بالبضاعة، ومباشرة ذلك كله بنفسه.

قوله (آوى إليه أخاه) الإيواء كناية عن الإدناء والقرب، فقد أدنى إليه أخاه بنيامين إدناء لغرض إسراره من دون إخوته.

قوله (قال إني انا أخوك) الفصل لأنه تعليل لفعل الإيواء، وإنما أورد بالجملة الإسمية المؤكدة بالقصر بضمير الفصل (أنا) لإظهار التشديد في كونه أخاه يوسف.

قوله (فلا تبتئس بما كانوا يعملون) الفاء تفريع على ما قال يوسف، و(لا) للنهي، ولفظ البؤس حزن بكدر، والابتئاس تكلف ومبالغة فيه، وقد كان بنيامين يبدو عليه الحزن لفقد أخيه، و(بما) الباء للسبب، وفعل المضارع في (يعلمون) لاستمرار مضايقة بني يعقوب لبنيامين، والصلة أريد بها تبيان علة النهي.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله (فلما جهزهم بجهازهم) الفاء للتفريع، والتجهيز إشارة إلى تزويدهم بما يتخذ طعاما لهم في أمتعتهم ورحالهم، وهو أكثر من عدل يحمل على رواحلهم، ونسبة فعل التجهيز ليوسف مجاز عقلي أريد به أمره لفتيانه بتجهيزهم.

قوله (جعل السقاية) وعاء السقي، وإسناد الجعل إلى يوسف مجاز عقلي كما توضح مثله في فعل التجهيز.

قوله (في رحل أخيه) أي: في متاع بنيامين، والرحل مصدر يقصد به جهاز المسافر يضعه على راحلته من الدواب.

قوله (ثم أذن مؤذن) ثم: للتراخي الزمني، أي: بعد أن انطلقوا بعيرهم، وفعل الأذان بمعنى الإعلان، وتضعيفه للتكثير والمبالغة في إعلاء الصوت.

قوله (أيتها العير إنكم لسارقون) الفصل لأن الأذان متضمن قولا، ولفظ العير اسم يطلق على مجموعة الإبل والحمير وما عليها من أحمال وركاب، واتهامهم بالسرقة إخبار منهم لا تشكيك، لأنهم أوردوه مؤكدا بما يحقق معناه ويثبته بالجملة الإسمية.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

قوله (قالوا وأقبلوا عليهم) فاعل القول إخوة يوسف، وجملة الإقبال جملة حالية، أي: قالوا في حال من إقبال فتيان يوسف عليهم، فضمير الجمع في (أقبلوا) عائد إلى فتيان يوسف.

قوله (ماذا تفقدون) السؤال من أولاد يعقوب للفتيان الذين نادوا بإيقافهم، فسألوهم ماذا أضعتم.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله (قالوا نفقد صواع الملك) فصل الكلام للمحاورة، وواو فعل القول راجع إلى فتيان يوسف، والصواع إناء لشرب الماء، ونسبته إلى الملك

على سبيل تعظيمه، ويمكن أن يراد به الكناية عن يوسف فقد يسمون العزيز ملكا.

قوله (ولمن جاء به حمل بعير) الكلام جعالة لمن يأتي بالصواع ويحضره، وكلامهم تعمية منهم على بني يعقوب، لأن يوسف أخبرهم بشأن إخوته.

قوله (وانا به زعيم) أي: أنا به كفيل وضامن بإعطاء الجعالة، والكلام قاله كبير الفتيان.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ ﴾

قوله (قالوا تالله) ضمير الجمع عائد إلى بني يعقوب، والتاء للقسم، تدخل على لفظ الجلالة فقط.

قوله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض) قسم مؤكد منهم في نفي الإفساد عنهم، وتعريف الأرض للعهد أريد به أرض مصر، ومعنى قولهم (علمتم) باعتبار تكرار مجيئهم إلى مصر للامتيار.

قوله (وما كنا سارقين) أي: وليس شأننا السرقة، وهذا أوكد من السابق.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ ﴾

قوله (قالوا) أي: فتيان يوسف.

قوله (فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) الفاء للتفريع، و(ما) للسؤال، والجزاء الاستحقاق على الفعل، والهاء في اللفظ راجع إلى السارق، والشرط لتعليق الجزاء في حال كذبهم.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ ﴾

قوله (قالوا) أي: بنو يعقوب رادين على سؤال فتيان يوسف.

قوله (جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) أي: يكون الجزاء لمن وجد في رحله، وذلك بأن يكون عقوبته الاسترقاق، لأن ذلك كان معمولا به في مصر، فتكون جملة الشرط من اسم وفعله وجوابه (من وجد في رحله فهو جزاؤه) خبرا للمبتدأ (جزاؤه).

قوله (كذلك نجزي الظالمين) الجملة تعليل لما قرروا، لذلك فصلوها.

قوله تعالى ﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ﴾

قوله (فبدأ بأوعيتهم) الفاء للتفريع، وفاعل البدء كبير فتيان يوسف، وضمير الجمع في أوعيتهم عائد إلى إخوة يوسف دون بنيامين، وإنما بدأ بأوعيتهم ليعمي عليهم فلا يتفطنوا إلى الحيلة.

قوله (قبل وعاء أخيه) أي: قبل وعاء بنيامين.

قوله (ثم استخرجها من وعاء أخيه) ثم للتراخي الرتبي، وضمير الهاء في فعل الخروج عائد إلى السقاية التي تسمى صواعا، ووعاء أخيه: أي بنيامين، وكان ذاك من اتفاق بين يوسف وأخيه.

قوله (كذلك كدنا ليوسف) أي: بمثل ذلك كدنا لأجل يوسف، فاللام للتعليل.

قوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا ان يشاء الله) أي: يأخذه بالعرف السائد لدين ملوك القبط في أخذ السارق عبدا، وكل ذلك ما كان ليتم لولا مشيئة الله.

قوله (نرفع درجات من نشاء) الفصل للتعليل، والدرجات استعارة للرفعة والسمو.

قوله (وفوق كل ذي علم عليم) الجملة تذييل، وظرف الفوقية استعارة للعلو المجازي لا المكاني.

قوله تعالى ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾

قوله (قالوا) في الكلام حذف، أي: رجع بنو يعقوب إلى العزيز فدخلوا عليه وقالوا ما قالوا.

قوله (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) تعليل منهم، وتزكية لأنفسهم عن السرقة، وفاعل (يسرق) بنيامين، و(أخ له) إشارة إلى يوسف أرادوا أنه سرق أباهم منهم، وهذا بهتان منهم على يوسف، راموا به التخلص من ضغط الموقف عليهم.

قوله (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) أسرها: أي: كتمها، فقد آلمته كلمتهم، ولم يظهرها لهم محاسبا أو معاتبا فيما بعد لما كاشفهم.

قوله (قال أنتم شر مكانا) القول من يوسف رادا عليهم، وجملة (أنتم شر مكانا) كناية عن نسبة، مبالغة في صفة شرهم.

قوله (والله أعلم بما تصفون) الإخبار بالتصريح بلفظ الجلالة للقصر، واسم التفضيل للفظ العلم يراد به مطلق العلم، والباء لتعدية اسم التفضيل، وفعل الوصف بمعنى الكلام لأن أصل الكلام إخبار ووصف، وفي الكلام تهديد ووعيد لهم.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ ﴾

قوله (قالوا يا أيها العزيز) قول إخوة يوسف ملتمسين راجين عطف العزيز، فخاطبوه بالتعظيم، للاهتمام بما بعده.

قوله (إن له أبا شيخا كبيرا) الفصل لأنه مقول القول، والتأكيد بالابتداء والجملة الإسمية لإظهار صدقهم، فالتمسوا العذر بإطلاق سراحه بذكر أبيهم، وذكروا ليعقوب ثلاث صفات شفيقة هي الأبوة والشيخوخة والكبر، أملا في استعطاف العزيز، وتنكيرها لإفادة تعظيمها، وأرادوا بلفظ الكبير معنى أصل قبيلته ورئيسها.

قوله (فخذ أحدنا مكانه) الفاء للتفريع على ما سبق، وأرادوا باقتراحهم إعادة بنيامين لأبيهم، وكانوا صادقين.

قوله (إنا نراك من المحسنين) الفصل للتعليل، في كون العزيز محسنا ظهر منه ذلك في تعامله لهم، وفعل الرؤية من العلم والإدراك.

قوله تعالى ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ ﴾

قوله (قال معاذ الله) أي: تعوذ يوسف بالله معاذا، فالنصب على المفعولية، أي: أعتصم بالله.

قوله (أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) تعليل للاستعاذة، أورد بطريقة القصر تأكيدا للحق.

قوله (إنا إذا لظالمون) الإخبار من دليل التعليل في أخذ ما ليس له، والكلام مؤكد بحرف النسخ واللام الواقعة في خبرها.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

قوله (فلما استيئسوا منه) الفاء للتفريع، والاستيئاس مبالغة في اليأس، وضمير الجماعة فيه عائد إلى إخوة يوسف، وضمير الغائب في (منه) أي: من إرسال بنيامين معهم.

قوله (خلصوا نجيا) أي: انفردوا يتناجون للخروج من أمرهم على كلمة واحدة، والتناجي الكلام بهمس.

قوله (قال كبيرهم) أي: أسنهم، وهو روبين.

قوله (ألم تعلموا) الاستفهام للتقرير، ولفظ الإعلام للتنبيه عن أمر مغفول عنه، والخطاب لإخوته.

قوله (إن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) الإخبار تذكير منه لهم بعهدهم بالعودة ببنيامين معهم.

قوله (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) تفيد (ما) المصدرية، أي: ومن قبل تفريطكم بيوسف، أراد أن أباهم لن يصدقهم في هذا الأمر ولو كانوا صادقين هذه المرة، بسبب تفريطهم السابق بيوسف.

قوله (فلن أبرح الأرض) الفاء للتفريع، و(لن) لنفي المستقبل، و(أبرح) أغادر، وتعريف الأرض، الأرض المعروفة وهي مصر، وإنما قال هذا ليكون علامة ليعقوب على صدق بنيه هذه المرة.

قوله (حتى يأذن لي أبى) حتى: للابتداء، والمعنى: حتى يسمح لي أبي بالعودة.

قوله (أو يحكم الله لي) الترديد بين سماح أبيه أو حكم الله فيه يدل على صدقهم وندمهم مما فعلوا مع أخيهم يوسف وأبيهم.

قوله (وهو خير الحاكمين) تذييل لكلامه، وضمير الفصل للقصر، وفي إيراد الفاصلة مناسبة وتفنن بين الحكم ومشتقه الحاكمين.

قوله تعالى ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

قوله (ارجعوا إلى أبيكم) الفصل على تقدير جواب لسؤال من إخوته: فماذا نفعل؟ وأمرهم روبين أخوهم الأكبر بالعودة إلى أبيهم ليخبروه الخبر، وقرروا أن يقولوا الحقيقة كما هي.

قوله (فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) أخذوا بالعبرة، فلم يكذبوا هذه المرة ولكن يعقوب لم يصدقهم.

قوله (وما شهدنا إلّا بما علمنا) الجملة بيان لما قبلها، أوردت بأسلوب التأكيد للتشديد على صدقهم.

قوله (وما كنا للغيب حافظين) تخفيف منهم على أبيهم بإخباره بسرقة بنيامين، ونفي الكون بمعنى: ليس شأننا علم الغيب، وإنما قلنا ما شهدنا، أما ما غاب عنا فلسنا نعلمه، وهذا دليل معرفة منهم لأنهم موحدون.

قوله تعالى ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قوله (واسأل القرية التي كنا فيها) الجملة معطوفة، وفيها مجاز مرسل بعلاقة المحلية، أراد به سؤال أهل القرية لأنهم الحالّون فيها، وتأكيدا

لكلامهم اقترحوا على أبيهم أمرين: أحدهما: أن يسأل أهل القرية عن الأمر بنفسه، أو يرسل من يستخبر له عن الأمر.

قوله (والعير التي أقبلنا فيها) وهذا هو الاقتراح الثاني، وهو أن يسأل من كان معهم في القافلة من الكنعانيين، ومعنى قوله (أقبلنا فيها) أي: رجعنا بها إليكم، أو أقبلنا فيها عليكم.

قوله (وإنا لصادقون) تذييل منهم لكلامهم بتأكيده، أورد على نحو ثبوت المعنى وتحققه بالجملة الإسمية المؤكدة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾

الآيات ـ إلى الآية الثالثة والتسعين ـ حوار بين يعقوب وبنيه حول فقد بنيامين، وفيه كاشفهم بأن يوسف حي وأمرهم بتحسس أمره.

قوله (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) في الكلام حذف اقتضاه المقام لعدم وجوبه، فقد رجع بنو يعقوب من دون أخويهم بنيامين وأخيهم الأكبر إلى أبيهم وأخبروه القصة، وإجابة يعقوب لهم نفسها حين أخبروه بفقد يوسف، فقوله (بل) إضراب عن قولهم يدل على نفي تصديقه لكلام بنيه، والتسويل التسهيل.

قوله (فصبر جميل) الفاء للتفريع، وفي الكلام تصبير للنفس، وعن الباقر عليه السلام أنه سئل عن معناه فقال: ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى أحد من الناس. ذكره الكليني في الكافي. انتهى.

قوله (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) الفصل لتضمنه معنى الدعاء لربه في أن يكون ذلك سببا لاجتماع أولاده جميعا.

قوله (إنه هو العليم الحكيم) الفصل للتعليل، وضمير الشأن في (إنه) للتعظيم، وضمير الفصل للقصر بأن الله تعالى عليم يعلم بأحوال أوليائه، حكيم يدبر لهم يسر ما تعسر عليهم، والكلام يشمل حاله وإن أورده عاما.

قوله تعالى ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ ﴾

قوله (وتولّى عنهم) الجملة معطوفة وتشير إلى الانتقال إلى قصة انصرافه غاضبا على بنيه أياما، وتولى: ابتعد منعزلا عنهم، وفاعل التولي يعقوب عليه السلام، و(عنهم) أي: عن بنيه.

قوله (وقال يا أسفى على يوسف) الواو للعطف، ونداء الأسف: لطلب حضوره، وتقال في حال الحزن الشديد، والمراد: أن في توليه عن بنيه وانعزاله عنهم تجدد حزنه على يوسف.

قوله (وابيضت عيناه من الحزن) ابيضاض العين يكون بذهاب سوادها بسبب حزنه وبكائه وهو عمى مؤقت، وقوله (من الحزن) أي: بسبب الحزن.

قوله (فهو كظيم) الفاء للتفريع، والكظيم مراد به المكظوم، مبالغة في معنى ضبط النفس بعدم إظهار حزنه أمام الغير.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ ﴾

قوله (قالوا) ضمير الجمع إشارة إلى أهله ومن حوله سوى بنيه لأنه لا يكلمهم.

قوله (تالله تفتؤ تذكر يوسف) القسم بالتاء مختص بلفظ الجلالة، وتفتأ، بمعنى: لا تفتأ، ولا تفتر، إشفاق منهم على يعقوب لكثرة حزنه وذكره ليوسف.

قوله (حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) فعل الكون بمعنى: حالك الهلاك النفسي، أو حالك الهلاك الجسدي، والحرض المشرف على الهلاك.

قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾

قوله (قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله) الفصل لأنه واقع في المحاورات، والمراد أنه لا يشكو همه إليهم فيُمل، ولكن يشكو إلى الذي يستمع بثه وشكواه ويستجيب لضراعته له، والقصر بـ (إنما) للتشديد بأن حزنه شكوى إلى الله ونوع عبادة وذوبان فيه تعالى، وليس حزنا مستقلا عن الضراعة لله كما هو حزن العاشقين لغير الله تعالى الذي يؤدي إلى نوع هوس وجنون.

قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي: وأخبر أنه يعلم علم من لا يقنط من رحمة الله مهما تعاظمت المصائب.

قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾

في الكلام حذف، يبدو من السياق أن بني يعقوب كاشفوا أباهم وأعلنوا توبتهم أمامه لذلك خاطبهم.

قوله (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) الخطاب بتصغير الأبن وإضافته إلى ضمير التكلم خطاب رفق وشفقة، والأمر من يعقوب لبنيه بالعودة إلى مصر للتحسس واستعلام الأمر عن يوسف وبنيامين، والتحسس مثل التجسس غير أنه أعم منه، وهو الطلب بحضور الحاسة للإحاطة والعلم في تستر وخفاء.

قوله (ولا تيأسوا من روح الله) نهي عن اليأس من روح الله، والروح استعارة لكشف الكربة، وفي الكلام بعث لهمتهم في البحث عن يوسف وألاّ تكون طول المدة سببا لليأس من حياة يوسف.

قوله (إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) تعليل للنهي السابق، إذ الكافرون هم اليائسون بينما أنتم مؤمنون، وفي الكلام نوع تعريض بهم.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله (فلما دخلوا عليه) الفاء للتفريع، وضمير الجمع في فعل الدخول راجع إلى إخوة يوسف، وضمير الهاء في (عليه) راجع إلى يوسف.

قوله (قالوا يا أيها العزيز) الفصل للمحاورة، وخطابهم ليوسف على جهة تعظيمه.

قوله (مسنا وأهلنا الضر) المس أخص في الإصابة من اللمس، وذكر الأهل لإرادة تهييج العاطفة والنخوة، وتعريف الضر لإفادة تهويله، وإنما ذكروا ذلك لتليين قلب يوسف ومقدمة لما سيطلبون.

قوله (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي: بضاعة رخيصة يدفعها ويردها من يراها.

قوله (فأوف لنا الكيل) الفاء للتفريع على قولهم، ولفظ الإيفاء الكيل بتمامه.

قوله (وتصدق علينا) أي: أطلق سراح أخينا صدقة منك علينا.

قوله (إن الله يجزى المتصدقين) الفصل تعليل لأمر التصدق، فالله يجزي على الصدقة أهلها.

قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

قوله (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) الفصل لوقوع القول في الحوار، والاستفهام يراد به التوبيخ، وفعل العلم لتوبيخهم عن غفلتهم، وذكر يوسف وأخيه لما نالهما من أذى من إخوتهم، وفي الكلام نوع مكاشفة ومفاجأة لهم.

قوله (إذ أنتم جاهلون) إذ للظرفية، والجملة حالية، أي: عملتم ذلك وقت جهلكم وحسدكم، وفيه التماس عذر لهم وتخفيف عليهم، وذلك لسمو خلق يوسف وسعة صدره.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله (قالوا أإنك لأنت يوسف) أجابه إخوته وقد عرفوه حين أشار لهم بقصة يوسف، والاستفهام يراد به التقرير، و(إن) حرف توكيد، واللام في ضمير الفصل (أنت) للتوكيد واقعة في خبرها، كلها مؤكدات تدل على توثب نفوسهم في تعيين يوسف.

قوله (قال أنا يوسف) الفصل للتحاور، والإجابة بالجملة الإسمية وضمير الفصل (أنا) لثبوت المعنى وتحققه في نفوسهم.

قوله (وهذا أخي) أي: أخي بنيامين، وهم يعرفونه وإنما الإخبار أراد به إظهار عز الله عليهما وحفظه من كيدهما.

قوله (قد منّ الله علينا) الفصل لاتصال المعنى، والمن الفضل، وأراد به اجتماعهما بعد الفرقة، وإظهار لفظ الجلالة لتعظيم المن.

قوله (إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) الفصل لتعليل المن، والإخبار وإن ورد بصيغة العموم غير أن يوسف وأخاه داخل في مضمونه، وجملة الشرط (من) وجوابها من جملة (فإن واسمها وخبرها) كلها خبر لـ (إن) الأولى.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾

قوله (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) القول من إخوة يوسف، و: (تالله) قسم بلفظ الجلالة، وجملة (لقد آثرك الله علينا) جملة جواب القسم مؤكدة بالقسم وحرف التحقيق (قد)، والإيثار التفضيل والتقدمة، وذكر لفظ الله إقرار منهم بفضل يوسف عليهم.

قوله (وإن كنا لخاطئين) الجملة حالية، و(إن) حرف توكيد مخفف من (إن) الثقيلة، وخبره (لخاطئين) بدلالة دخول لام التوكيد عليه، والكون تأكيد شأنهم وحالهم في الخطيئة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

قوله (قال لا تثريب عليكم) الفصل للمحاورة، والقائل يوسف، ومعنى قوله (لا تثريب عليكم) أي: لا لوم، ولا تقريع، ويمكن الاستغناء عن (عليكم)، وإن ذكرت فللتأكيد، مثل: سقيا لك، ويبدو أن (عليكم) هي نهاية الجملة لكثرة استعماله بذلك.

قوله (اليوم يغفر الله لكم) لفظ اليوم لتعيين الزمن، وهو الذي من الله به على يوسف فجمعه بأخيه، بعد أن فرقهم إخوتهم، وهاهم اليوم يقفون يستدرون عطفه ويسألونه بتذلل واستعطاف أن يرحمهم، وها هي فتوة يوسف وسعة حلمه لم يبادرهم بأكثر مما سألهم (هل علمتم ما فعلتم

بيوسف)، بل دعا لهم، وحفظ لهم حياءهم من الوقوع في ذل العفو والاسترحام من أخيهم، والغفران الستر للذنوب، و(لكم) زيادة في التوكيد.

قوله (وهو أرحم الراحمين) الجملة حالية، ويمكن أن تكون تعليلا، وضمير الفصل توكيد لرحمته تعالى، وبين (أرحم، والراحمين) جناس بديعي لطيف.

قوله تعالى ﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ ﴾

تختم الآيات ـ إلى الآية الثانية بعد المائة ـ القصة بلقاء يوسف بأبيه ودخول آل يعقوب مصر، وفي الكلام حذف، تقديره: فلما عرف بنو يعقوب يوسف حكوا له عن حزن أبيهم وذهاب بصره.

قوله (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي) تفيد الباء المصاحبة، واسم الإشارة للتعيين، والقميص علامة دالة بين يوسف وأبيه، وقيل: إنه قميص موروث من جده إبراهيم، والفاء في فعل الإلقاء للتفريع، والأمر تم على سبيل الإعجاز فذلك من كرامات يوسف عليه السلام.

قوله (يأت بصيرا) جزم الفعل لأنه جواب فعل الأمر (فألقوه)، والمعنى: يرتد بصيرا، أو يعود بصيرا.

قوله (وآتوني بأهلكم أجمعين) وهو الأمر الثاني من أمر يوسف لإخوته، أن يحمل آل يعقوب ـ وعددهم ست وسبعون نفسا رجالا ونساء ـ من البدو إلى مصر، وذلك بداية تاريخ بني إسرائيل فيها.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾

قوله (ولما فصلت العير) فصل العير انقطاعها وابتعادها راحلة، وهي عير بني يعقوب.

قوله (قال أبوهم) أي: يعقوب عليه السلام، وضمير الجمع عائد إلى بنيه وإن لم يذكروا فالكلام دال عليهم.

قوله (إني لأجد ريح يوسف) الفصل للابتداء والاستئناف، وإظهار الكلام بصيغ التوكيد ـ إن واللام الواقعة في خبرها ـ لبيان شدة ثقة يعقوب وإيمانه بقرب لقائه بيوسف بعد عشرين عاما من الفراق، والريح كناية عن عبق طيب رائحة يوسف، والأمر لا يخلو من خرق وإعجاز، فالريح حملت البشارة إلى يعقوب تعجيلا للمسرة إلى نفسه.

قوله (لولا أن تفندون) أي: أنتم لا تصدقون لتفنيدكم كلامي، والتفنيد إضعاف الرأي.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾

قوله (قالوا) وهم من حول يعقوب مما تبقى من بنيه، وقد سمعوا كلامه.

قوله (تالله) قسم بلفظ الجلالة، لوثوقهم مما يزعمون.

قوله (إنك لفي ضلالك القديم) جواب القسم، أوردوه بمؤكدات كثيرة لأن ذلك ما يعتقدون من أبيهم، والضلال هو إضاعة الصواب وليس الضلال بضد الإيمان فإنهم يعلمون أن أباهم نبي، والقديم أرادوا به الإسراف في حب يوسف الذي يحمله على الأمل بتجدد اللقاء به، لأنهم كانوا يؤمنون بموت يوسف بعد طول هذه المدة وانقطاع ذكره.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

قوله (فلما أن جاء البشير) الفاء للتفريع، و(أن) حرف مزيد للتأكيد، والبشير صفة مشبهة كناية عن حامل القميص، وتعريفه للعهد.

قوله (ألقاه على وجهه) ضمير الهاء في فعل الإلقاء عائد إلى البشير، وضمير الهاء في لفظ الوجه عائد إلى يعقوب.

قوله (فارتد بصيرا) الفاء للتعقيب، وفعل الارتداد معناه الرجوع، والمعنى: عاد بصيرا يرى.

قوله (قال) يعقوب عليه السلام وقد عاد إليه بصره.

قوله (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون) الاستفهام للتقرير، والخطاب موجه إلى بنيه ومن حوله، وعلمه الذي لا يعلمونه هو علم الأنبياء الملهمين الذين يوحي إليهم ربهم من علمه.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

قوله (قالوا يا أبانا) أي: قال بنو يعقوب، والنداء نداء رقة وشفقة واستعطاف.

قوله (استغفر لنا ذنوبنا) أي: اطلب لنا المغفرة من الله وادعوه ليتجاوز عن ذنوبنا، وهو إقرار منهم واعتراف بما ارتكبوا من جرم.

قوله (إنا كنا خاطئين) الفصل لتعليل طلبهم، وهو من أدب الدعاء، أن يكون أولا الإقرار بالذنب ثم طلب العفو عنه.

قوله تعالى ﴿ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾

قوله (قال سوف أستغفر لكم ربي) أي: رد يعقوب أبوهم على بنيه بالإيجاب، وأرجأ طلب الاستغفار بحرف الاستقبال (سوف) للتمهيد له بالضراعة إلى الله سبحانه لأن يغفر لهم الله.

قوله (إنه هو الغفور الرحيم) الفصل للتعليل، وضمير الشأن للتعظيم، والمؤكدات لإظهار عظمة الله في غفرانه ورحمته.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ ﴾

قوله (فلما دخلوا على يوسف) الفاء للتفريع على الكلام السابق، وضمير الجمع في فعل القول راجع إلى يعقوب وآله.

قوله (آوى إليه أبويه) الإيواء الإدناء، وفاعله يوسف، والمراد: أن يوسف ضم أبويه إليه لأنه استقبلهم على مداخل مصر إكراما لهم، وأبواه: يعقوب وزوجته خالة يوسف، وقيل إنهما حقيقة.

قوله (وقال ادخلوا مصر) القول ليوسف، ومصر هي مدينة منفيس، ليسكنوا فيها بدلا من أرض البدو، وظاهر هذا السياق أنه لم يكن لهم الدخول والاستقرار في مصر إلاّ بجواز من ناحية الملك، ولذا أعطاهم الأمن في مبتدأ الامر. كذا ذكر الطباطبائي. انتهى.

قوله (إن شاء الله آمنين) تعليق المشيئة اعتراض، وهو من أدب يوسف مع ربه، وآمنين مبالغة في الأمن بمعنى مأمونين.

قوله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي

مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾

قوله (ورفع أبويه على العرش) الآية معطوفة على ما سبق، ورفعهم أي: أجلسهم على سرير عال هيء لهم وغالبا ما يكون سرير الملك أعلى من غيره، وسماه العرش كناية عن الإمرة والقدرة.

قوله (وخروا له سجدا) ضمير الجمع في لفظ الخرور عائد إلى يعقوب وبنيه، وضمير الهاء في (له) عائد إلى يوسف، والخرور إلقاء الجسم على الأرض، وسجدا حال من الفعل (خروا)، والسجدة ليوسف ليست بمعنى سجدة عبادة له، بل تكون باعتباره قبلة نحو عبادة الله، وهي مثل سجود الملائكة لآدم.

قوله (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي) أي: يوسف قال، وصيغة المنادى دلالة على صلة التراحم والبنوة والأبوة، واسم الإشارة لإفادة استحضار الأمر.

قوله (من قبل) أي: الرؤيا التي أخبر بها أباه قبل عشرين عاما.

قوله (قد جعلها ربى حقا) الفصل لاتحاد المعنى وتأكيده، وضمير الهاء في فعل الجعل عائد إلى الرؤيا، وجعلها حقا بمعنى تحقيقها واقعا ثابتا.

قوله (وقد أحسن بي) أعاد (قد) لإظهار الامتنان والشكر لله، و: أحسن بي: من الإحسان، لخص به يوسف قصته كلها، فقد أراد إخوته خفضه فألقوه في البئر فرفعه الله وأدخله بيت العزيز، وقد أرادت النسوة الكيد به فحفظه الله من السوء، وألقي في السجن ليعزل عن الناس فجعل الله رؤيا الملك سببا لتقريبه وتمليكه مصر، وكأن الإمام علي عليه السلام نظر إلى هذا المعنى القرآني فقال في نهج البلاغة: من ضيعه الأقرب أتيح له الأبعد. انتهى.

قوله (إذ أخرجني من السجن) الفصل لتفسير فعل الإحسان وتفصيله، وهو إخراجه من السجن الذي جعله الله سببا للقاء بأبيه، وإسناد الإخراج إلى الله تعالى تأدب من يوسف (ع) ومعرفة حقة بربه.

وقوله (وجاء بكم من البدو) أراد اللقاء بهم، وفاعل المجيء مسند إلى الله تعالى، ولا شك في أن حياة البدو أشق من حياة المدينة.

قوله (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) ونزغ الشيطان كناية عن وسوسته، لأنه يدخل في النفس فيفسدها، وأراد ما أحدث بينهم من فرقة، وجعل سببها الشيطان التماسا لعذر إخوته واستبقاء لحيائهم، قال الطباطبائي: ولم يذكر إخراجه من الجب قبل ذلك لحضور اخوته عنده وكان لا يريد أن يذكر ما يسوؤهم ذكره كرما وفتوة، بل أشار إلى ذلك بأحسن لفظ يمكن أن يشار به إليه من غير أن يتضمن طعنا فيهم وشنآنا. انتهى.

قوله (إن ربي لطيف لما يشاء) الفصل للتعليل، والله تعالى لطيف يجعل بلطفه الشدة رخاء، فييسر سبلها ويذلل مواردها.

قوله (إنه هو العليم الحكيم) تعليل ثان أعم من الأول لأنه يشمل ما تقدم كله، والهاء في (إنه) لضمير الشأن تعظيما لذكره سبحانه، و(هو) ضمير الفصل قصر علمه وحكمه به وحده دون سواه.

وإيراد لفظ العليم الحكيم إشارة إلى كلام أبيه يعقوب حين حدثه برؤياه فقال: (وكذلك يجتبيك ربك إلى أن قال إن ربك عليم حكيم)، قال في الميزان: وليس يبعد ان يفيد اللام في قوله العليم الحكيم معنى العهد فيفيد تصديقه لقول أبيه عليه السلام والمعنى وهو ذاك العليم الحكيم الذي وصفته لي يوم أولت رؤياي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

قوله (رب قد آتيتني من الملك) النداء بلفظ الربوبية التفات من يوسف من خطاب أبيه إلى خطاب الله تعالى امتنانا وشكرا على رعايته وولايته، فأسند إليه سبحانه فعل إتيان الملك وفعل تعليم تأويل الأحاديث اعترافا منه بفضل الله تعالى واعتزازا به، وإتيانه الملك وتعليمه تأويل الأحاديث يكون بتهيئة أسبابه.

قوله (فاطر السماوات والأرض) ترق في الثناء على الله تعالى.

قوله (أنت وليي في الدنيا والآخرة) فصل الكلام عما قبله لتعليله، فالله تعالى ولي يوسف حرسه بعنايته وألطف له الأسباب فجعل عوامل الشدة رخاء.

قوله (توفّني مسلما والحقني بالصالحين) وهذا من تمام الدعاء أن يكون الختام بمثل الابتداء، وهو من كمال دعاء الأنبياء في أن يتوفاهم ربهم في حال الإخلاص والتسليم، وهو جوهر معنى الإسلام.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢ ﴾

قوله (ذلك من أنباء الغيب) اسم الإشارة للبعيد لتعظيم قصة يوسف، وتمييزه وحضوره، و(من) للتبعيض، و(أنباء الغيب) التي غابت عن الحواس، وقد كانت قصة يوسف مما لم يعرفه العرب من قبل، ولم تذكر في أحاديثهم.

قوله (نوحيه إليك) نبلغك به، والخطاب للنبي ﷺ.

قوله (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) الجملة حالية، المراد تأكيد غيبها على النبي ﷺ، والمعنى: نوحيها إليك في حال أنك لم تكن

حاضرا تشهد مكر إخوة يوسف به، وضمير الجمع في (أجمعوا) عائد إلى إخوة يوسف.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾

ختام الآيات وصايا لنبيه ﷺ، وتطييب لنفسه لإعراض قومه عنه.

قوله (وما أكثر الناس) أي: ليس يعول على الأكثرية، فهم ليسوا معيارا لصحة الإيمان، لأن أكثر الناس غير مؤمنين بالتوحيد، والخطاب للنبي ﷺ، وأراد بتعريف الناس أهل مكة من المشركين.

وقوله (ولو حرصت بمؤمنين) جملة اعتراضية لبيان شدة اهتمام النبي بإيمان قومه، والباء الداخلة على لفظ الإيمان زائدة لتوكيد نفي الإيمان عنهم، وإطلاقه منكرا ومن غير متعلق لإفادة مطلق الإيمان.

قوله تعالى ﴿ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ ﴾

قوله (وما تسألهم عليه من أجر) الجملة معطوفة، و(ما) للنفي المطلق، والمخاطب في (تسألهم) النبي ﷺ، وضمير الجمع فيه عائد إلى أهل مكة، و(من) زائدة لإفادة نفي العموم، وتنكير لفظ الأجر للعموم.

قوله (إن هو إلا ذكر للعالمين) فصل الجملة لأنها تعليل للنفي السابق، والمراد بضمير الفصل (هو) القرآن الكريم، وقصر عليه الذكر وجعله للعالمين لشموليته وهيمنته على الكتب السماوية كلها.

قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

قوله (وكأين) الجملة معطوفة، وكأين: اسم يدل على كثرة العدد المبهم، يميزه مجرور (من).

قوله (من آية) أي: من علامة دالة على التوحيد، و(من) زائدة للعموم، وتنكير لفظ الآية دال على التعظيم والعموم.

قوله (في السماوات والأرض) وذكرها لأنها لسعة دلائل الله وعلامات توحيده في الكون.

قوله (يمرون عليها) تمام جملة (كأين)، وضمير الجمع فيها عائد إلى جملة المنكرين للتوحيد، وبضمنهم أهل مكة، وفعل المرور كناية عن نفي التدبر فيها، وحرف الجر (على) مجاز من تمكنهم واستقرارهم من المرور دون التفكر.

قوله (وهم عنها معرضون) الجملة حالية، أي: يمرون عليها في حال من الإعراض عن الآيات، وضمير الغائب في (عنها) عائد إلى الآيات.

قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦ ﴾

قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله) أي: لا يؤمن أكثرهم بالإيمان بالله إلا في حال من التلبس بالشرك الخفي الذي لا تبرأ نفوسهم منه، وضمير جمع الغائبين في (أكثرهم) عائد إلى الناس.

وقوله (إلا وهم مشركون) الاستثناء ملغى سبقه النفي، وهو مفرغ يفيد القصر، والجملة حالية.

قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٠٧ ﴾

قوله (أفأمنوا) استفهام إنكار الأمان، وضمير الجمع عائد إلى الناس.

وقوله (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) مصدر مؤول بمعنى: إتيانهم، والغاشية ما يشلمهم ويحيطهم من عذاب فلا يفلتون منه، وتنكيرها لتهويلها وأنها نوعية من العذاب، و(من) للابتداء والصدور، وإضافة العذاب إلى الله لتعظيمه وتهويله في كونه عن غضب منه سبحانه، وهو عذاب الدنيا.

قوله (أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون) أو للترديد من نفي الأمان، والساعة كناية عن القيامة، ويراد بها البرهة القليلة من الزمان التي تقلب بها أحوال الكون ويموت فيها كل مخلوق إيذانا بالبعث والنشور والوقوف بين يدي الله للسؤال، و(بغتة) حال بمعنى الفجأة.

قوله (وهم لا يشعرون) جملة حالية، أي: تأتيهم الساعة في حال من انعدام الشعور بها نهارا أو ليلا، والمراد تهديدهم في أنهم لا يملكون أمرهم ولا مأمن لهم من دون الله.

قوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

قوله (قل) تلقين من الله تعالى لنبيه وعناية وتشريف.

قوله (هذه سبيلي) أي: طريقتي وسنتي في الدعوة إلى التوحيد.

قوله (أدعوا إلى الله) الفصل لاتحاد الكلام، ولفظ الدعوة إلى الله الدعوة إلى توحيده وعبادته، وتفيد (إلى) انتهاء الغاية.

قوله (على بصيرة) استعارة للعلم والهداية، تشبيها لدعوته بالسبيل المنير المؤدي إلى النجاة.

قوله (أنا ومن اتبعني) تأكيد لنفسه ولمن اتبعه على طريق البصيرة.

قوله (وسبحان الله) كلمة تنزيه وتسبيح لله تعالى، أي: وأسبحه سبحانا.

قوله (وما أنا من المشركين) الجملة حالية، أي: أسبحه سبحانه في حال من الإيمان الخالص الذي لا شرك معه.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾

قوله (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي إليهم) الجملة معطوفة، والخطاب للنبي ﷺ، و(من قبلك) زيادة وتأكيد في الأسبقية الزمنية من إرسال الأنبياء.

و(رجالا) أي: أنبياء أصفياء مخلصين شجعانا، وتنكيرها يدل على تلك النوعية، وقوله (نوحي إليهم) جملة وصفية للرجال، بمعنى مهمتهم تبليغ قومهم.

قوله (من أهل القرى) أي: من نفس مجتمعهم من أهل المدن يعرفونهم ويعرفهم.

قوله (أفلم يسيروا في الأرض) الفاء للتفريع، والاستفهام للتوبيخ وتقدم لصدارته، والسير في الأرض الضرب فيها، و(في) مجاز للظرفية مبالغة في نفي تدبرهم لآيات الأرض والاعتبار بالأمم، وتعريف الأرض لإفادة العموم.

قوله (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) الفاء للسبب، وفعل النظر للاعتبار والعلم، وليس نظر البصر، وكيف: اسم استفهام، والجملة مجردة

من السؤال، لبيان الحال، ولفظ العاقبة النهاية والخاتمة لحياة الأمم التي هلكت بفعل إصرارها على الكفر وعناد الرسل.

قوله (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) الجملة معطوفة، واللام في (لدار) موطئة للقسم، ودار الآخرة هي الجنة، فهي آخر رحلة الإنسان المؤمن التي يستقر عندها في رضوان الله تعالى، واللام في (للذين) تفيد الملك والاستحقاق.

قوله (أفلا تعقلون) الاستفهام للتوبيخ، ونفي العقل عنهم إثبات لجهلهم.

قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ ﴾

قوله (حتى إذا استيئس الرسل) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، و(إذا) للشرط، والاستيئاس مبالغة في اليأس من إيمان قومهم. والرسل عموم الرسل.

قوله (وظنوا أنهم قد كذبوا) جملة اعتراضية للتفصيل والإطناب، والظن مستعمل هنا في معنى العلم واليقين، ونائب الفاعل في فعل التكذيب عائد إلى أقوام الرسل المكذبين لهم.

قوله (جاءهم نصرنا) جواب (إذا) الشرطية، وإسناد المجيء إلى النصر مجاز عقلي يراد به آثاره وما يترتب عليه من التأييد وهو عذاب الله للمكذبين ونجاة المرسلين.

قوله (فنُجِّى من نشاء) الفاء للتفريع، أي: أنجي من العذاب من شاء الله له الإنجاء.

قوله (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) أي: يهلك الله المجرمين وهو يقابل الكلام السابق، ولا يرد: نفي مطلق عن دفع عذاب الله إذا شاء إيقاعه بهم، و(بأسنا) كناية عن شدة عذاب الله، وإضافته إلى الله لتهويل شدته لأنه صادر عن غضبه سبحانه، والإتيان بلفظ القوم ثم وصفهم بالمجرمين لإفادة لزوم صفة الإجرام بهم.

قوله تعالى ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾

قوله (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) القسم باللام والتأكيد بـ (قد) لتحقيق معنى الاعتبار، وضمير جمع الغائبين في (قصصهم) عائد إلى الأمم الماضية، والعبرة مصدر لفعل الاعتبار والوعظ بهم، وأولي الألباب هم أصحاب العقول.

قوله (ما كان حديثا يفترى) الفصل لأنها علة لما سبق، أي: ليس شأنه حديثا مكذوبا، وهو تعريض فيمن ادعى الافتراء على القرآن.

قوله (ولكن تصديق الذي بين يديه) الواو لحال، والاستدراك لتأكيد معنى تصديق القرآن للكتب السماوية السابقة عليه كالتوراة والإنجيل وتصحيح أخبارها.

قوله (وتفصيل كل شيء) وهذه من سمات القرآن أنه تفصيل للأحكام والأخبار تفصيلا ينسخ به أحكام ما سبقه من شرائع.

قوله (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) هدى: باعتبار ما يوصل الإيمان إلى النجاة، ورحمة: باعتبار البركة النازلة على من يؤمن به وتحقيق السعادتين في الدنيا والآخرة، واللام في لفظ القوم لام الاستحقاق، وإيرادها ثم الإتيان بفعل الحضور للإيمان لإفادة تلبس هؤلاء القوم به وعدم مفارقتهم له، والسورة بدأت بالذكر واختتمت به، والله العالم.

سورة الرعد

مكية، وهي ثلاث وأربعون آية

انتظمت آيات السورة في بيان حقيقة الكتاب العزيز وإثبات صحة انتسابه إلى الغيب، وفيها رد على المكذبين.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ﴾

قوله (المر) تقدم الكلام في الحروف المقطعات.

قوله (تلك آيات الكتاب) اسم الإشارة لتعظيم آيات الكتاب، وتعريف الكتاب للعهد ويراد به القرآن الكريم، وقد باسم الإشارة التنزيه بالحروف المقطعة في واحد من تفسيراتها.

قوله (والذي انزل إليك من ربك الحق) الخطاب للنبي ﷺ، وما أنزل عليه هو الكتاب، و(من) ابتدائية، وإضافة الرب إلى كاف الخطاب للنبي تشريف وعناية وتبجيل. ولفظ الحق قصر إضافي يراد به الثبات والصدق إشارة إلى كونه غير محرف ولا مكذوب، وليس كباقي ما عرفوه كقصص رستم واسفنديار اللتين عرفهما النضر بن الحارث.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) الجملة معطوفة مستدركة على ما تقدم في كون أكثر الناس يجهلون حقيقة القرآن وأنه لا يساويه غيره في الحقية لذلك لا يؤمنون به.

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾

قوله (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) الفصل للاستئناف والابتداء، والتصريح بلفظ الألوهية للتعظيم. واسم الموصول وصلته لبيان كمال القدرة، وفعل الرفع مجاز استعاري عن الخلق تشبيها للسماوات بالسقف، والباء في (بغير) للملابسة. والعمد جمع عماد وهو ما يقام عليه السقف أو البيت أو الخيمة، وتنكيرها لإفادة التعظيم، وجملة (ترونها) جملة حالية، وضمير الهاء فيها عائد إلى السماوات.

قوله (ثم استوى على العرش) الجملة كناية عن تمام القدرة، وتقدم الكلام فيها في سورة الأعراف ويونس.

قوله (وسخر الشمس والقمر) لفظ التسخير معناه التذليل، وتقدم الكلام فيه كذلك.

قوله (كل يجرى لأجل مسمى) الفصل لاتحاد المعنى، وكل بمعنى كل منهما، والجري المشي السريع، واللام في (لأجل) للغاية، والأجل المدة، والمسمى المضروب المتعين الذي سمي له موعدا معينا لا يعدوه، والمراد: أن الشمس والقمر سابحان في الفضاء في حركة دائمة منتظمة ينتهي أمدها في موعدها المحدد.

قوله (يدبر الأمر) جملة حالية، والفاعل مضمر صرح به ـ سبحانه ـ في صدر الآية، والأمر هو الشأن الذي لا يعرف كنهه سواه سبحانه، ومعنى التدبير التقدير فهو نظام كوني مقدر بحساب أعجز من أن يحيط به العقل.

قوله (يفصل الآيات) الجمل متحدة المعنى متصلة، لذلك فصلت، وتفصيل الآيات توضيح المعجزات توضيحا لا يكفر بها سوى معاند.

قوله (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) جملة تعليل، والآية ترغيب للمكذبين بالإيمان، والكلام التفات من الغيب إلى خطاب الحضور من المشركين، وتقديم المتعلق (بلقاء ربكم) على عامله للأهمية ورعاية الفاصلة، والاستيقان يضاد التشكيك.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَـٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

قوله (وهو الذي مد الأرض) الجملة معطوفة على ما سبق، وضمير الفصل للتأكيد والقصر راجع إلى الله تعالى، والمد البسط، وتعريف الأرض لإفادة العهد في كونها الأرض المعروفة، والكلام كناية عن جعل الأرض ذات تربة مستوية مبسوطة صالحة للسكن والزراعة ولو لم تكن ممدودة بهذا الشكل لفقدت مقومات الإسكان والاستعمار.

قوله (وجعل فيها رواسي وأنهارا) الجملة معطوفة، والجعل خلق وتصيير، والجبال والأنهار مجعولة من الأرض نفسها، وضمير الغائب في (فيها) عائد إلى الأرض، والرواسي جمع راسية، كناية عن الجبال، وسماها راسية لأثرها في تثبيت طبقات التربة وجعلها متراصة مشدودة غير منزلقة، وهذا من عجيب الإشارات التكوينية لآيات الله التي تسمي الجبال رواسي أو أوتادا، والأنهار أمكنة المياه، سميت بذلك لاتساعها وخصوصية إيرادها مع لفظ الرواسي كون الأنهار في حقيقتها أودية عظيمة. وتنكير اللفظين لإفادة تعظيمهما.

قوله (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) عطف على (أنهارا)، ومعمول لـ (جعل)، والثمرات إشارة إلى النبات والفاكهة فيها، وهو من تعداد النعم في الأرض، والزوجان هما الذكر والأنثى، أي: جعل من حيوان زوجين ذكرا وأنثى، و(إثنين) للتأكيد وإظهار المنة.

قوله (يغشى الليل النهار) جملة حالية، انتقال من نعم الأرض إلى نعم نظام الكون وحركة الأرض مع الشمس والقمر، التي يتكون بدورانها الليل

والنهار، والغشيان التغطية، وهو استعارة للستر تشبيها لليل بثوب أو غطاء يستر به النهار، ولذلك تقدم على النهار، والمراد شمول الظلمة وطغيانها على ضوء النهار، بحلول الليل وانقضاء النهار.

قوله (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الفصل تذييل عام لما تقدم، والإخبار مؤكد بـ (إن) واللام الواقعة في خبرها، والجملة الإسمية لإفادة تحقق التفكر من تلك الدلائل الإعجازية لمن يتدبر أحوالها ونظامها، وإيراد فعل المضارع لفعل التفكر بقد استمراره وتجدده، بمعنى: هي دلائل إعجاز للقوم الموصوفين بصفة دوام التفكر والتدبر أما غيرهم من الذين لا يتفكرون فيمرون عليها ولا يشعرون بعظمتها.

قوله تعالى ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾

قوله (وفي الأرض قطع متجاورات) الجملة معطوفة لأنها في مجال تعداد النعم ومنن الله في خلق الأرض. وتعريف الأرض للعهد، والقطع جمع قطعة وكونها متجاورات أراد بها البقاع المختلفة المنابت التي تتجاور مع بعض، فمنها بقعة للكلأ ومنها للأب، فكأن كل بقعة تختص بزرع، مع أن التربة واحدة والمياه واحدة، ويبدو من تقسيم الكلام أنها قطع أريد بها الإشارة إلى ما يخص أكل الحيوان، والعجيب ثمة أرض في القطعة

الواحدة تتنوع بخصائص تربتها ولونها فترى هذه حمراء وتلك صفراء وهاتيك خضراء وهلم جرا.

قوله (وجنات من أعناب) وهذا القسيم الثاني وهو ما يخص غذاء الإنسان من الأرض، والجنات جمع جنة وهي البساتين المكتظة الأشجار، وتنكيرها لإفادة نوعها، والأعناب شجرة الكرم وثمرته.

قوله (وزرع) وهي إشارة إلى القمح والشعير ونحوه، وقوله (ونخيل صنوان وغير صنوان) والنخيل اسم جمع نخلة مثل النخل، والصنوان جمع صنو وهو المثل، وهو الذي تجتمع فيه نخلتان من أصل واحد، وخصت بالذكر لكثرة منافعها ولطيف منظرها.

قوله (يسقى بماء واحد) الجملة حالية، والإخبار يفيد التعجيب في إخراج الثمر المختلف الطعوم والماء واحد لها، والماء الواحد هو ماء الأنهار أو المطر.

وذكر في تفسير البرهان في الخبر مرفوعا عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام: الناس من شجرة شتى وانا وأنت من شجرة واحدة ثم قرأ: (جنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد) بالنبي وبك. انتهى.

قوله (ونفضل بعضها على بعض في الأكل) تفضيلها يكون باختلاف طعومها التي سقيت بماء واحد غير أن ما أودع الله فيها من خصائص هو

الذي جعل بعضها أفضل من بعض في الطعم والتحلية والفائدة والأكل عامة.

قوله (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الفصل تذييل عام لما تقدم، فهذه الدلائل الإعجازية لا تكون كذلك إلا للقوم الذين صفتهم التفكر المستمر وإلا أن يكونوا متصفين بالعقل، ولذلك تكررت الآية مرتين باختلاف جملتي التفكر والعقل، والآيات مسوقة لبيان حقيقة الربوبية، وأن وراء خلق ذلك المختلف كله ربا واحدا.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ ﴾

قوله (وإن تعجب) الواو للاستئناف، والخطاب للنبي ﷺ، ومنه إلى الأمة، و(إن) للشرط، وقوله (فعجب قولهم) الفاء في جواب الشرط، والابتداء في ألفظ العجب لإنكار قول المشركين في الكفر بالمعاد، وضمير جمع الغائبين في لفظ القول عائد إلى المشركين، و(تعجب) فعل و(عجب) مصدر، وهو أكثر مبالغة في ثبوت العجب.

قوله (أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد) الكلام حكاية قول المشركين، وفيه إنكار شديد للبعث والمعاد، والاستفهام الأول الداخل على (إذا) الشرطية للإنكار، والثاني الداخل على جوابها (أإنا) لتشديد إنكار بعثهم في خلق

جديد بعد فنائهم، ولذلك عبروا عن نفيهم الشديد لاعتقاد البعث بالجملة الإسمية المبدوءة بـ (إن) واللام الداخلة على خبرها لرسوخ الكفر في نفوسهم، و(في) مجاز ظرفي، والخلق الجديد كناية عن إعادة تركيب أجسادهم بعد أن تصير ترابا، وقولهم (كنا ترابا) كناية عن مضي موتهم وتحلل أجسادهم، وشدة العجب من قولهم لأنها شبهة لا عقل معها، فإنها ترد بأبسط تأمل لو كان لهم نظر، لأن مبدأ الخلق على وفق قياس البشر أصعب من إعادته، وقد رد شبهتهم القرآن في أكثر من موضع وسيأتي بإذن الله الكلام فيه.

قوله (أولئك الذين كفروا بربهم) اسم الإشارة لتمييزهم وإيجاز حالهم التي فصل فيها الكلام في قولهم.

قوله (وأولئك الأغلال في أعناقهم) الجمل معطوفة، وتكرار اسم الإشارة للتأكيد، والأغلال القيود مفردها غل، وقيدها في الأعناق لإذلالهم فإن الحيوان يقاد من عنقه ليسهل انقياده وطاعته، والإخبارات في غاية الشدة والوعيد لمنكري التوحيد والمعاد، و(في) مبالغة في تمكن وثاق الأغلال من أعناقهم.

قوله (وأولئك أصحاب النار) تكرار ذكر اسم الإشارة ثلاث مرات لتهويل استحقاقهم العذاب، وفي لفظ الأصحاب شدة تلازمهم للنار.

وفسر العلامة الطباطبائي هذا التكرار الإشاري بقوله: فقوله أولئك الذين كفروا بربهم إشارة إلى اللازم الأول وهو اعراض منكري المعاد عن

العالم الربوبي والحياة الباقية والستر على ما عند الله من النعيم المقيم والكفر به، وقوله: (وأولئك الأغلال في أعناقهم) إشارة إلى اللازم الثاني وهو الإخلاد إلى الأرض والركون إلى الهوى والتقيد بقيود الجهل وأغلال الجحد والإنكار.. وقوله: (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) إشارة إلى اللازم الثالث وهو مكثهم في العذاب والشقاء. أه.

قوله (هم فيها خالدون) فصل الجملة للتأكيد، و(هم) لقصرهم على النار، و(فيها) متعلق تقدم على عامله للاهتمام ورعاية الفاصلة، وضميرها عائد إلى النار.

قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾

قوله (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الجملة معطوفة على ما سبق في قوله (وإن تعجب)، وفعل الاستعجال طلب العجلة ويستعمل الفعل فيما يكره، والخطاب منهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعجلونه العذاب، فالسيئة كناية عنه، وقوله (قبل الحسنة) أي قبل الإيمان بالكتاب، وهذا من سوء طالعهم فهم يبادرون في إنكار التوحيد ومعجزة القرآن ابتداء قبل أن يتبينوها، والناس أعداء ما جهلوا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله (وقد خلت من قبلهم المثلات) الجملة حالية، أي: يتعجلون العذاب في حال أن الأمم السابقة عليهم عوقبوا بمثل ما تعجلوا به من العذاب، و(خلت) مضت، و(من قبلهم) زيادة في الأسبقية الزمنية، والمثلات العقوبات التي تجعلهم عبرة ومثالا لغيرهم.

قوله (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) الجملة معطوفة، والإخبار مؤكد المعنى بالجملة الإسمية ولام التوكيد، ترغيب من الله تعالى لأهل مكة بالرجوع عن عنادهم، وتعريف الناس للعهد ويراد بهم أهل الشرك، وقوله (على ظلمهم) بمعنى مع ظلمهم لأنفسهم بتجاهلهم وإعراضهم عن دلائل التوحيد وظلمهم عبادة ربهم بالشرك به، والآية في مقام الحال، أي: يتعجلون نزول العذاب استهزاء في حال أن الله ذو مغفرة تسعهم مع ظلمهم لو رجعوا إليه.

قوله (وإن ربك لشديد العقاب) الجملة معطوفة على ما سبقها، والإخبار ترهيب بعد ترغيب. وفيه إيعاد شديد بالعذاب، وعن الآية قال رسول الله ﷺ: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لأحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧ ﴾

سياق الآيات إلى الآية السادسة عشرة تتناول اقتراح المشركين على الله والرد عليه، وقوله (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) الجملة معطوفة على جملة (ويستعجلونك)، واقتراحهم شبهة ثانية بعد قولهم الآنف في إنكار المعاد، لأنه اقتراح تعجيزي فما جيء لهم من معجزة القرآن كاف لمن يريد أن يؤمن، ثم إنه ليس لهم أن يقترحوا على الله بحسب أهوائهم، فذلك منتهى الجهل منهم بمقام الربوبية أن ينكروا أو يقترحوا كما يرغبون، و(لولا) أداة عرض وحض، وفاعل الإنزال أضمر لأن الكلام حكاية عن قولهم فقد يكون أرادوا به الغيب، أو لفظ الجلالة. وضمير الغائب في (عليه) عائد إلى النبي ﷺ، وتنكير (آية) لإفادة نوعيتها بزعمهم، كأنه أرادوا علامة أخرى غير القرآن كما اقترحوا من قبل كأن ينزل ملك أو كتاب باسمهم، وقوله (من ربه) استهزاء وإزراء.

قوله (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فصلت الجملة لأنها تعليل للنفي الضمني لاقتراحهم، وهو إخبار يحمل معنى التهديد والتجاهل لما قالوا، لأن اقتراحهم جرأة على الله ولا يعبأ بالرد عليه، لذلك التفت في الكلام عن الرد عليهم إلى خطاب من يستحق الكلام معه وهو النبي ﷺ، فأخبر بأسلوب القصر بـ (إنما) بوصفه منذرا وهاديا، وهذه أصل رسالته، إنذار المكذبين، وتبشير المؤمنين، ولا يحق له الخروج عن مهمته هذه، فيسمع اقتراحاتهم، والخطاب من باب إياك أعني واسمعي يا جارة، وتقديم الإنذار قبل التبشير لتوافقه مع السياق القاضي بإنكار المشركين لتوحيد.

وجاء في الكافي - وهو مروي بأكثر من طريق - عن الباقر عليه السلام في الآية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا المنذر وعلي الهادي. انتهى.

وفي معنى الإنذار الهداية أصلا لأنه نبي مبلغ، وعلق الطباطبائي بقوله: ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا المنذر وعلي الهادي، أنى مصداق المنذر، والإنذار هداية مع دعوة، وعلي مصداق للهادي من غير دعوة وهو الإمام، لا أن المراد بالمنذر هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالهادي هو علي عليه السلام فان ذلك مناف لظاهر الآية البتة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ ﴾

قوله (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) قطع الجملة لأنها استئنافية، والتصريح بلفظ الجلالة لبيان تفرده سبحانه بالألوهية التي ينكرها المكذبون لجهلهم، ومراد الكلام علمه بالغيب، فيما تحمل كل أنثى من جنين في جوفها، يعلم الله نوعه ذكرا أم أنثى، وموعد علقته، وزمن اكتماله وولادته، وفي دلالة استعمال فعل الحضور لـ (يعلم) التجدد والاستمرار بتجدد متعلقاته، وكذا في الفعل (تحمل) دلالة الاستمرار الذي يتجدد به العلم عند الله، لأن علمه سبحانه حضوري، تحضر الأشياء نفسها عنده.

قوله (وما تغيض الأرحام) استعارة بالكناية عن العلوق، لأن دم الحيض إذا انحسر عن الرحم كان ذلك إشارة إلى حصول تلقيح البيضة بالحيوان

المنوي، ولفظ الإغاضة معناه النقصان والانحسار، والأرحام جمع رحم وهو مستقر الجنين وبيته في بطن الأنثى، قال الراغب: قال تعالى: (وغيض الماء وما تغيض الأرحام) أي: تفسده الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض، والغيضة المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه وليلة غائضة أي: مظلمة. انتهى.

قوله (وما تزداد) كناية عن تعدد الأجنة في الرحم الواحد، أو كناية عن دم النفاس بعد الوضع، والكلام شامل لثلاث أعمال للأرحام وهي الحمل والعلوق والوضع.

قوله (وكل شيء عنده بمقدار) الجملة معطوفة على جملة (يعلم)، وقوله (بمقدار) حال، والمقدار مصدر ميمي معناه التقدير وهو الضبط والتحديد، أي: يعلمه علما مضبوطا لا شبهة فيه ولا تخمين ولا إبهام، وفي الآية تدرج في علم الله بالغيب وانتقال من الكليات إلى الجزئيات، ولا تخلو الجملة من معنى تعليل قوله (يعلم ما تحمل كل أنثى)، لأن هذا المخلوق الموجود لا يقدر له الخلق والوجود إلا لأنه حدد له ما يقدر له الاستطاعة والعيش.

قوله تعالى ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾

الآية تعليل لعلم الله تعالى في قوله (يعلم ما تحمل كل أنثى)، والغيب أصله كل ما غاب عن الحواس المادية، والشهادة تعني الحضور والعيان ويراد

بها الأشياء المشهودة المرئية، وجمعهما معا استحالة على الموجودات لأنها تتناقض مع معنى حيز المكان والزمان، لذلك الله تعالى وحده العالم بهما في وقت معا، لأنه سبحانه لا يحد بحد وهو محيط بها ولا يمتنع شيء عنه بحد، فلا غيب لها بالنسبة إليه لأنها حاضرة بين يديه في كل زمان ومكان.

ومن هذا المعنى قول الإمام عليه السلام في نهج البلاغة: اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل ولا يجمعهما غيرك لأن المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا. انتهى.

قوله (الكبير المتعال) اسمان من أسماء الله الحسنى، والكبير ـ ضد الصغير ـ صفة مشبهة توسع في الاستعمال بمعنى العظمة والإحاطة، تشبيها للمعقول بالمحسوس، فكأن الأشياء داخلة في حيز كماله لإحاطته بها، والمتعالي صفة مبالغة للعلو والارتفاع المعنويين، فعلوه سبحانه عال على كل علو ومتسلط عليه من كل جهة. وحذف الياء من لفظ المتعالي لرعاية الفاصلة المنتهية بالسكون.

قوله تعالى ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) فصلت الآية لأنها استئناف بياني، والسواء والاستواء والتساوي واحد، وهو خبر مقدم مبتدؤه المؤخر (من أسر القول)، وقدم المتعلق (منكم) على عامله للاهتمام، وفي الكلام

التفات من الغيبة إلى الخطاب لأنه متضمن معنى التهديد للكافرين والتحذير للمؤمنين، والإسرار الإخفاء. وإسرار القول إحفاؤه، وضده الجهر به وإعلانه، والله تعالى عالم في الحالين علما يستحيل على سواه، وضمير الهاء في (به) عائد إلى القول، والواو الداخل على اسم الموصول الثاني (ومن) للتقسيم بمعنى (أو).

قوله (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) الواو بمعنى: أو، والمستخفي مبالغة في الخفاء والقيد في (بالليل) مبالغة ثانية في خفائه، والباء فيه للملابسة، والسارب الذاهب في الطريق، وقيده بالنهار مبالغة في الظهور، قال الراغب: السرب بفتحتين والسروب الذهاب في حدور وسيلان الدمع والذهاب في مطلق الطريق يقال سرب سربا وسروبا نحو مر مرا ومرورا. انتهى. والكلام يرادف معنى صدر الآية، فالإسرار يحاذي الاستخفاء، والجهر يحاذي السرب.

قوله تعالى ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١ ﴾

قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) الفصل للابتداء والاستئناف. واللام للتمليك، والهاء عائد إلى ضمير العاقل في قوله (من أسر القول)،

والمعقبات جمع مُعقِّب مبالغة في العقب، وهو التابع، وجمع جمع مؤنث مع أن مفرده مذكر لتضمنه معنى الجماعات.

واللفظ كناية عن الملائكة الحفظة للإنسان قال تعالى (لا يسبقونه وهم بأمره يعملون) [الأنبياء ٢٧]، وقوله (من بين يديه) كناية عن جهة القدام، وقوله (ومن خلفه) طباق مع الأمام.

قوله (يحفظونه من أمر الله) جملة فعلية حالية، والحفظ يعني المراقبة والوقاية، وضمائر الهاء كلها عائدة إلى ضمير الموصول كما ذكر (من أسر القول)، وأمر الله لفظ عام إشارة إلى موارد الهلكة والموت، وهؤلاء الحفظة أو المعقبات يحفظونه بأمر الله من أمر الله لأن الأمر كله لله.

قوله (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فصل الجملة عما قبلها لأنها تعليل لها، وتغيير الله إشارة إلى تبديل النعمة ورفع ألطافه تعالى، وأما التغيير ما في الأنفس فهو تبديل حالها من الشكر إلى الجحود ومن الإيمان إلى الكفر، ومن هذا التحذير قوله علي ﷺ في نهج البلاغة: فروا من الله إلى الله. انتهى.

و(لا) تفيد النفي، والتغيير التبديل من حال مكان حال، و(ما) اسم موصول، والباء في (بقوم) و(بأنفسهم) للملابسة، وقوله (يغيروا) إسناد التغيير إلى ضمير جمعهم مجاز عقلي بعلاقة السببية، و(حتى) حرف ابتداء لغاية.

قوله (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) الجملة معطوفة، وإرادة الله بهم السوء بمعنى المجازاة على أفعالهم، فهم ضمن ما يستفاد من معنى قوله

(حتى يغيروا ما بأنفسهم) وإرادة الله لا يردها راد، وفي الكلام تهديد شديد لهم، وتحذير من غرور النفس.

قوله (وما لهم من دونه من وال) جملة تعليل، أي: إذا أراد الله بهم سوءا فلا راد لهم لأنهم من غير وال يلي أمورهم. وفي الكلام تعريض بأصنامهم التي يدعون أنها شفعاء لهم، و(ما) نافية، و(من دونه) أي: من دون الله، و(من وال) من: زائدة لتأكيد نفي عموم الولي، والولي هو الناصر المؤيد الذي يلي الأمور ويرعاها، وحذف الياء منها لأنها اسم منقوص.

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) الكلام تعداد لحجج الله ونعمه، والقطع للابتداء وضمير الفصل يفيد القصر عائد إليه سبحانه، وخبره جملة الموصول، واسم الموصول والصلة لبيان تفصيل كمال قدرته عز وجل.

وفعل الرؤية للبصر والعيان، وضمير الجمع فيها عائد إلى عموم الناس، والبرق وميض من تصادم السحاب ينشأ عنه المطر، ولفظ الخوف عارض قلبي لتوقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وهو كناية عن الإنذار، كما إن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، وهو كناية عن التبشير، وكلاهما واقعان مفعولا لأجله، داخلان في معنى رؤية

البرق، فهم يرجون من رؤيته نزول المطر فيحيي أرضهم وزروعهم، ويخشون منه لو كان فيه صاعقة تهلكهم.

قوله (وينشئ السحاب الثقال) الجملة معطوفة، والإنشاء الإيجاد، والسحاب الغيم الحامل للماء، والثقال استعارة بالكناية عن كثرة الماء فيها، وفي دقة استعمال الإراءة للبرق والإنشاء للسحاب لطف بديعي ودلالي غير خاف.

قوله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣ ﴾

قوله (ويُسبّح الرعد بحمده) الجملة معطوفة على قوله (هو الذي يريكم)، والتسبيح التنزيه، والرعد هو الصوت الناشئ من تلاقح السحاب، وإسناد التسبيح بحمد الله إلى الرعد استعارة بالكناية تشبيها له بالمسبِّح، وضمير الغائب في (بحمده) عائد إلى الله تعالى.

قوله (والملائكة من خيفته) أي: وتسبح الملائكة من خيفته، والخيفة الحالة التي عليها الانسان من الخوف، قال تعالى: (فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف) واستعمل استعمال الخوف في قوله: (والملائكة من خيفته). كذا قال الراغب. انتهى. و(من) تفيد السبب، وخيفة الملائكة ليست خيفة الذهول بل المعرفة الحقة بمقام الألوهية.

قوله (ويرسل الصواعق) الإرسال الإطلاق، والصواعق خيط ناري شديد ناشئ من تلاقح الشحنات الكهربائية المختلفة بين تماس السحب المتراكمة، والبرق ضوؤه والرعد صوته، وكلها تكون بخلق الأسباب المهيأة بأمر الله.

قوله (فيصيب بها من يشاء) الفاء للتفريع على قوله (ويرسل)، والإصابة دلالتها التعيين. و(بها) أي: بالصواعق، والمشيئة مقتضية للعدالة دائما، ودلالة العاقل في ضمير (من) توجب المجازاة لا الابتداء، والكلام تهديد وإنذار بالهلاك، فيكون المعنى: ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ممن يستحق عقابه من المشركين.

قوله (وهم يجادلون في الله) الجملة حالية بمعنى: إن دلائل التوحيد كلها تلك التي ذكرت والمشركون في حال من المخاصمة والنزاع في توحيده، و(هم) عائد إلى المشركين المكذبين، والمجادلة المخاصمة والمغالبة في الكلام أو كما قال الطبرسي: فتل الخصم عن مذهبه في الجدال. انتهى.

وفعل المضارع لدلالة استمرارهم في فعل الجدال، و(في الله) مجاز للظرفية، والمعنى يجادلون شاكين في توحيد الله وربوبيته، ومن جدالهم شبهتهم في قولهم (أإذا متنا وكنا ترابا أإنا لفي خلق جديد).

قوله (وهو شديد المحال) الجملة حالية، والمحال من المحل وهو المكر والكيد، والمعنى ـ والله أعلم ـ: هم يجادلون مغالبة في الكلام والله شديد المحال قوي الحجة عالم بمساوئهم قدير على إظهارها.

وروي أن للآية مناسبة في كتب التفسير حول محاولة بعض المشركين أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيلة، والرواية ليست كثيرة الانسجام مع سياق الآية، فلاحظ.

قوله تعالى ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ ﴾

قوله (له دعوة الحق) الفصل للابتداء، واللام للملك المجازي، وضمير الهاء عائد إلى لفظ الجلالة، والتقديم للقصر والاختصاص، ولفظ الدعوة استعارة للإقبال، والحق هو المعنى الشامل للعبادة والثبات والصدق والعدل، والمعنى: إن له وحده دون سواه دعوة التوحيد والحق والعبادة.

قوله (والذين يدعون من دونه) الواو استئناف جديد، و(الذين) مبتدأ اسم موصول يعني بها الأصنام وأجريت مجرى العاقل بدلالة جريا على لغتهم في إنزالها منزلة العقلاء، و(يدعون) بمعنى ينادون ويعبدون خوفا وطمعا، وهم المشركون ومفعولها عائد إلى الموصول، أي: والذين يدعونهم، و(من دونه) أي من غير الله.

قولهم (لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه) جملة القصر من النفي والاستثناء خبر محلا للابتداء، ونفي الاستجابة مبالغة في نفي إجابة الأصنام دعوة المشركين لهم في النجدة والبذل، و(لهم) زيادة في تأكيد النفي وضمير الجمع عائد إلى المشركين، والباء في (بشيء)

للملابسة، وتنكيرها لعمومها فالأصنام جامدة ليس من شأنها الاستجابة، والاستثناء يفيد تقوية حكم المستثنى، والتمثيل لإفادة ضياع العمل ونفي الفائدة، فقد شبه استجابة الأصنام للمشركين الذين يعبدونها باستجابة الظمآن يبسط كفيه للماء ليوصله فاه فلا يصل، ووجه الشبه فقدان الفائدة من العمل وضياع الجهد، والباسط الكفين كناية عمن يبسط راحتيه يريد أن يستقر عليها الماء، و(ليبلغ فاه) أي: ليصل الماء فاه، اللام للتعليل.

قوله (وما هو ببالغه) أي: وما الماء ببالغ فاه، مبالغة في نفي الإمكان، لذلك أكد النفي بـ (ما) والباء الداخلة على خبرها. وبين: ليبلغ، وببالغه: تجنيس بديعي لافت للأسماع والانتباه.

والصورة التمثيلية توحي بأن العبادة الصحيحة تكون في تهيئة أسبابها الصحيحة المؤدية إلى الغرض، كما أن الظمآن عليه أن يهيئ الأسباب الموجبة إلى غرضه وإلا ستفقد الصور محتواها فتبدو بلا قيمة، فعبادة الأصنام عبادة في الصورة وضلال في المحتوى، والظمآن الذي يبسط كفيه صورته صورة الذي روّى غليله بينما في المضمون بقي عطشانا.

قوله (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) تذييل لخص به الكلام السابق، وأكد بالقصر بالنفي والاستثناء لإفادة التوكيد والحصر، والدعاء كناية عن العبادة، والضلال إضاعة الصواب.

قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأٓصَالِ ۩ ١٥ ﴾

قوله (ولله يسجد) الجملة معطوفة على قوله (له دعوة الحق)، وتقديم (لله) على عامله للاختصاص، واللام لام الاستحقاق. وفعل السجود أخص معاني العبادة وأكثر مظاهر الخشوع لله، وهو هنا كناية عن التذلل وليس بالضرورة المراد به السجود الفعلي وهو خرور الجباه على الأرض.

قوله (من في السماوات والأرض) فاعل السجود، ودلالته العقلاء، وذكر السماوات والأرض، إشارة إلى الإنس والملائكة والجن، وهي مظهر مملكته سبحانه.

قوله (طوعا وكرها) حال، بمعنى طمعا وخوفا، ورغبة ورهبة، ورجاء وخيفة، وهي أساس عبادة الخلق في النظر إلى ربهم نظر الخائف المتأمل دفع المكاره ونظر الراجي استجلاب المنافع إليه.

قوله (وظلالهم بالغدو والآصال) العطف بمعنى: ويسجد ظلالهم بالغدو والآصال، وهذا من الحس الذي قهر الله به العباد، فجعل ظلالهم تخر له سبحانه سجدا حتى لو كانوا يعبدون غير الله استنهاضا لعقولهم، فهم عبيد له تكوينا وإن عبدوا غيره اختيارا.

والظل صورة الأجسام المسلط عليها الضوء، وضمير الجمع عائد إلى المفهوم من سجود العاقلين في السماوات والأرض، ويمكن إرادة عموم

الموجودات من ذوي الأجسام الكثيفة، والباء في (بالغدو) للملابسة والغدو جمع الغداة وهو أول النهار، والآصال جمع الأصيل وهو آخر النهار، وليس المراد دوام سجود الظل طوال اليوم لأنه وقت منتصف النهار ينعدم الظل، بل المراد إلفات الأذهان وتفتيق العقول إلى ظاهرة حسية لسجود الأشياء لله.

وينبغي التأمل في العلاقة بين الظل وتفيئه واتخاذه مثلا قهريا للتذلل والسجود لله، قال السيد في الميزان: وليس ذلك قولا شعريا وتصويرا تخييليا يتوسل به في الدعوة الحقة في كلامه تعالى ـ وحاشاه ـ وقد نص أنه ليس بشعر، بل الحقائق المتعالية عن الأوهام الثابتة عند العقل السليم البعيدة بطباعها عن الحس إذا صادفت موارد أمكن أن يظهر فيها للحس نوع ظهور ويتمثل لها بوجه كان من الحري أن يستمد به في تعليم الأفهام الساذجة والعقول البسيطة، ونقلها من مرتبة الحس والخيال إلى مرحلة العقل السليم المدرك للحقائق من المعارف، فإنه من الحس والخيال الحق المستظهر بالحقائق المؤيد بالحق فلا بأس بالركون إليه. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (قل) التفات في الخطاب إلى النبي ﷺ.

قوله (من رب السماوات والأرض) الاستفهام يراد به التقرير لما بعده من معان. وذكر السموات والأرض لبيان استقصاء مملكته العريضة سبحانه.

قوله (قل الله) الفصل لأنه جواب الاستفهام، والجواب عن السؤال من نفس السائل تجاهل للمشركين وإعراض عنهم لأنهم لا يقرون بالتوحيد ولا يفقهون الحجج، والتصريح بلفظ الألوهية للتعظيم، وهو تمهيد لما بعده.

قوله (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) الفاء تفريع على الاستفهام السابق وجوابه، والاستفهام هنا يفيد الإنكار والتوبيخ، وضمير الجمع في فعل الاتخاذ خطاب إلى المشركين من أهل مكة، والأولياء كناية عن أصنامهم التي يعبدونها وانقادوا إليها، وتنكيرها للتحقير، و(من دونه) أي: من دون الله، والكلام إنكار شديد لهم باتخاذهم معبودا غير الله وقد أقروا أن الله خالق السموات والأرض وربهم وربها.

قوله (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) جملة النفي وصف للأولياء، والمراد بنفي النفع والضر لأنفس الأصنام أنها حجارة لا حياة فيها ولا حراك ولا إدراك فكيف تنفع غيرهم، وضمير الجمع للعاقلين في (يدركون) مجاراة لخطاب العرب لأصنامهم، وتنكير لفظي النفع والضر لإفادة العموم.

قوله (قل هل يستوي الأعمى والبصير) الاستفهام لإنكار تساوي من يرى بمن لا يرى، وهي استعارة بالكناية للكافر وللمؤمن، فذلك التساوي مناقض للعقل مبطر لفطرة الإنسان.

قوله (أم هل تستوي الظلمات والنور) تسمى أم منقطعة، بمعنى بل، و: هل: حرف استفهام للإنكار، والصورة زيادة في إبطال الاستواء بين المتناقضات نفعا وفائدة، وجمع الظلمات مبالغة في معنى التخبط وعدم الاهتداء وهو استعارة بالكناية عن الكافرين، بعكس النور الذي لا يجمع في اهتداء الطريق، إذ لا تفاضل فيه، وهو استعارة بالكناية عن المؤمنين.

قوله (أم جعلوا لله شركاء) أم بمعنى بل. والشركاء إشارة إلى أصنامهم التي ادعوا في عبادتها الشركة في تقسيم الربوبية مع الله، وضمير الجمع في فعل الجعل عائد إلى المشركين، والالتفات عنهم لتجاهلهم.

قوله (خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) الفصل للتعليل اتخاذ الشركة على حد زعمهم، والكلام يراد الاستخفاف بعقولهم، والمعنى: هل جعلهم شركاء لله لأن أصنامهم خلقوا خلقا مشابها لما خلق الله فاشتبه الأمر عليهم، وهذا منتهى تسفيه أحلامهم، لأنه إبطال لعبادة الأصنام بأسلوب منطقي لا يخلو من التهكم بهم، وذلك أن المشركين بالله يرون أن الله متفرد بالألوهية في الخلق ولكن له شركاء في تدبير أحوال أهل الأرض، فلما أبطل تقاسم الربوبية مع غيره في الاحتجاج السابق من الآية، ذكّر بما يعترفون به أصلا وهو صدور الخلق والإيجاد من الله دون سواه.

قوله (قل الله خالق كل شيء) التلقين بـ (قل) أسلوب في غاية الإيجاز وتفنن القول، وتنزه عن مخاطبة المشركين، والفصل بين الجمل على افتراض المحاورات، والرد على استفهام افتراض تشابه الخلق ـ بتأكيد أن الله خالق كل شيء بما فيه أصنامهم التي يتخذونها آلهة ـ قطع لأصل الاحتمال فيه.

قوله (وهو الواحد القهار) تذييل شمل به الكلام بعامة ما ذكر، وتناسب اسمي الواحد القهار مع السياق، بمعنى: الواحد المتفرد الجامع لمعنى الربوبية، وهو يبطل ما ذهبوا إليه من تخويل أصنامهم في الربوبية، وأما القهار فهو القوي لا يغلب على أمره فيقهره، ولا راد لعذابه لو شاء أن يعذب أحدا.

قوله تعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ ﴾

لما تقدم ذكر الفرق بين المؤمن والكافر، فصلت الآيات إلى الآية السادسة والعشرين الفرق بين سبيل الإيمان بالله وطريق الشرك.

والآية تضرب المثل بهيأة الانتفاع من نزول آيات القرآن من السماء بهيأة الانتفاع من نزول الماء من السماء، على طريقة التشبيه التمثيلي، الذي

يتضمن معاني عدة في كل طرف من أطراف المشهد، ولهذا يكثر هذا النوع من التصوير المركب لما في القرآن من معان جمة يريد تصويرها، فلا يكفي لإخراجها بالصورة البسيطة المفردة، بل تأخذ كل صورة بحجزة أخرى، فيكتمل مشهد من عدة أجزاء لا يمكنك فصلها عن بعض، كما هي الحال في هذا المشهد التمثيلي.

قوله (أنزل من السماء ماء) الفصل للابتداء، وفاعل الإنزال معلوم هو الله لا يحتاج إلى ذكر، و(من) للابتداء، وتعريف السماء لإرادة معنى السحاب، وتنكير الماء لتعظيمه.

قوله (فسالت أودية بقدرها) الفاء للتفريع، والسيل اسم لمعظم الماء، وإسناد الفعل إلى الأودية على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، لأن حقيقة السيل للمياه التي في الأودية، والأودية أمكنتها، و: بقدرها: أي بقدر سعتها تمتلئ من غير أن تفيض فتجرف الزرع معه، وهو بؤرة التشبيه: الانتفاع بحسب الاستعداد، مثلما تنزل آيات الكتاب فيكون انتفاع الناس بحسب قابلياتها.

قوله (فاحتمل السيل زبدا رابيا) الفاء تفريع على (سالت)، والاحتمال مبالغة في الحمل، وذلك لكثرة تجمع الماء في المضايق فينتج سيلا جاريا يحمل معه زبدا كثيفا رابيا لا قيمة له. والزبد ملح الماء يترشح منه.

قوله (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) استطراد من ذكر الزبد، ذكر زبد مثله وهو ما ينتفي من الذهب والفضة عند صوغها في البواتق، وقيل سببه أن أهل مكة كان بينهم الصواغون.

و(مما) من: للابتداء، و(ما) اسم موصول، وهذا التركيب أعني (مما يوقدون عليه في النار) كناية عن الذهب والفضة لأنهما بالنار تصهران، وضمر الجمع في فعل الإيقاد عائد إلى الصاغة من الناس، وعدل عن ذكر الذهب والفضة لأن ذكرهما يعظم شأنهما في أذهان الناس، وقوله (ابتغاء حلية أو متاع) مفعول لأجله، أي: تعملون من الذهب والفضة حلية أو فائدة مالية مؤقتة، وقوله (زبد مثله) مبتدأ مؤخر لـ (مما يوقدون)، وأراد بزبدها ما يتناثر من إيقادهما مما لا نفع فيه.

قوله (كذلك يضرب الله الحق والباطل) الكاف للتشبيه وذلك اسم إشارة لإفادة التمييز، أي: بمثل ذلك التمثيل يضرب الله مثالا للحق والباطل، أو بحذف المضاف بتقدير: يضرب الله مثل الحق ومثل الباطل، والجمل من قوله (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل) معترضة بين قوله (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا) وقوله (فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) الفاء للتفريع على قوله (فاحتمل) و(أما) للتفصيل والتقسيم، والجفاء الطريح المرمي، وموقعه حال، وفي معناه وعيد للمشركين، لأنه متضمن التشبيه بهم، وفاعل (ينفع) الماء الماكث الباقي في الأرض وهو وجه الشبه، وفيه تعريض بالمشركين بانتفاء نفعهم في الأرض وصلاح الاستغناء عنهم.

قوله (كذلك يضرب الله الأمثال) تذييل أعم من قوله (كذلك يضرب الله الحق والباطل)، لأن الأمثال شاملة لها.

قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨ ﴾

قوله (للذين استجابوا لربهم الحسنى) الفصل للاستئناف، واللام في (للذين) للملك والاستحقاق ويعني بهم المؤمنين بالله، وموقعها خبر متقدم للاهتمام والتنويه، واستعمال الموصول وصلته لبيان علة استحقاقهم الحسنى، ولفظ الاستجابة مبالغة في إجابة النبي وتلبية دعوته إلى التوحيد، ونسبة الاستجابة لربهم نسبة مجازية والمراد بها استجابتهم لنبيهم إلى الإيمان بالله، ولفظ الحسنى مبالغة في صفة الحسن وهي صفة لموصوف محذوف تقديره المنزلة الحسنى، وهي مبتدأ للخبر المتقدم (للذين).

قوله (والذين لم يستجيبوا له) الجملة معطوفة، والذين لم يؤمنوا ولم يستجيبوا هم المشركون. وضمير الهاء في (له) عائد إلى لفظ الرب.

قوله (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) جملة (لو) خبر المبتدأ (والذين)، والمعنى: والذين كفروا ولم يؤمنوا لافتدوا بخزائن الأرض التي لو ملكوها على أن لا يعذبوا، و(لو) أداة تمني، و(ما في الأرض جميعا) إشارة إلى ما اختزنت الأرض من كنز، وقوله (ومثله معه)

زيادة في ضعفه من المال، وقوله (لافتدوا) جواب (لو): أي: لافتدوا بذلك كله أنفسهم وفكوا رقابهم من العذاب.

قوله (أولئك لهم سوء الحساب) الجملة نتيجة لكفرهم، واسم الإشارة لتمييزهم باستحقاقهم، وتقديم (لهم) لأن الكلام عنهم، وسوء الحساب التغليظ فيه والإهانة.

قوله (ومأواهم جهنم وبئس المهاد) ولفظ المأوى الرجوع والاستقرار، والمهاد الفراش، كناية عن مكثهم ولبثهم في النار.

قوله تعالى ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩ ﴾

قوله (أفمن يعلم أنما انزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) أي: ليس المؤمن كالكافر في المنزلة، وهمزة الاستفهام تفيد الإنكار تقدمت على فاء التفريع لأن لها الصدارة، و(من) اسم موصول، وفعل العلم كناية عن الإيمان واليقين، و(أنما) للقصر، وفعل الإنزال مجاز من تبليغ القرآن من مقام الألوهية إلى الرسول ﷺ، والكلام إشارة إلى الإيمان بتصديق نزول القرآن من الله.

والظرف (من ربك) بمعنى نزوله من ساحة القدس، ولفظ الحق ضد الباطل بمعنى الصدق والثبات والحقية. والكلام كناية عن المؤمنين المصدقين بالكتاب، و(كمن) تشبيه لنفي الاستواء، و(هو أعمى) يفيد القصر، والأعمى

استعارة بالكناية عن الكافر المتخبط كما يتخبط الأعمى في مشيته أو الذي لا يهتدي الطريق.

قوله (إنما يتذكر أولوا الألباب) الجملة في موقع التعليل، فهم إنما تذكروا لأنهم من ذوي العقول.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله (الذين يوفون بعهد الله) الكلام تنويه بالمؤمنين بإثبات إيفاء العهد لله، وعهد الله مجاز للإيمان به والإخلاص في عبادته سبحانه.

قوله (ولا ينقضون الميثاق) العطف لإفادة التقرير والتأكيد بنفي نقضه عن المؤمنين، وهو ثناء من الله لهم، وتعريف الميثاق للعهد الذكري.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) الواو للعطف، والكلام كله في صفة المؤمنين، والصلة مطلق الصلة وأشهرها صلة الرحم، وضمير الجمع في (يصلون) عائد إلى المؤمنين، واسم الموصول (ما) إشارة إلى صلة الرحم، وضمير الغائب في (به) راجع إلى أمره وشريعته سبحانه، ونائب الفاعل في (يوصل) هم ذوو الأرحام.

قوله (ويخشون ربهم) وهي من صفات المؤمنين الكثيرة في آيات القرآن، والخشية خوف قلبي نتيجة الاعتقاد السليم، يبدو أثره على المؤمن فهي أخص من الخوف، لذلك تقدمت على قوله (ويخافون سوء الحساب)، لأن الخوف ظاهر البدن، وسوء الحساب كناية عن الإذلال فيه.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) تفصل آية بعد آية في صفات المؤمنين فذكرت حفظ العهد وأثره في الإنفاق وهذه الآية تذكر أعمالهم العبادية، والصبر إشارة إلى تحمل المشاق على الإيمان بالتوحيد وسط المشركين، وكان صبرهم صبر المحتسبين أمره لوجه الله تعالى، دليل وعي منهم، و(ابتغاء وجه ربهم) مفعول لأجله.

قوله (وأقاموا الصلاة) ذكر إقامة الصلاة لشرفها وخصوصية منزلتها، وهي مظهر المؤمن.

قوله (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) وهم قرنوا العبادة بالعمل، فيصلون وينفقون، وإنفاقهم من الطيب الحلال بدلالة حرف الابتداء: من في قوله (مما رزقناهم) فالله يرزق الحلال من عنده، وإنفاقهم ليس بهدف التمييز والجاه بل هو عمل دؤوب مستمر في أخلاقهم بدلالة ديمومته في السر والعلن.

قوله (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي: ويدفعون السيئة بالحسنة، وتعريفهما يفيد العموم. فتقديم (بالحسنة) للاهتمام، والباء يفيد الاستعانة، وقد تدفع آثار النقم بفعل الصالحات من الأعمال، وهو نوع استنهاض لهمم الناس في عمل الإحسان.

ومن تفنن التعبير القرآني أن ترد ستة أفعال مضارعة مع اسم الموصول في الآيات التي تصف أولي الألباب هي (يوفون، ولا ينقضون، ويصلون، ويخشون، ويخافون، يدرؤون) وبعدها ثلاثة أفعال بصيغة المضي (صبروا، واقاموا وأنفقوا).

واستعمال المضي لمعان دون أخرى لإفادة الرسوخ والأصالة، وأما استعمال المضارع فلإفادة التجدد والاستمرار.

قوله (أولئك لهم عقبى الدار) الجملة نتيجة لما سبق، واسم الإشارة للتنويه بهم، وتقديم المتعلق (لهم) للاهتمام ورعاية الفاصلة، و(عقبى الدار) كناية عن العاقبة الحسنة وهي الجنة.

قوله تعالى ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ ﴾

قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها) الفصل لأنها بدل من (عقبى الدار) وصفة العدن لاستقرارهم فيها، وهي من أعلى درجات الجنان السبعة.

قوله (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) فعل الإصلاح بضد الإفساد، وهم قيد لمن عدتهم الآية من المؤمنين، وهو اجتماع الأوداء من الأهلين ممن يأنس بقربهم الإنسان فطرة من الآباء والأمهات والذراري والإخوان والأخوات وغيرهم ويشمل الجميع قوله آبائهم وأزواجهم وذرياتهم لان الأمهات أزواج الاباء والاخوان والأخوات والأعمام والأخوال وأولادهم ذريات الاباء والاباء من الداخلين فمعهم أزواجهم وذرياتهم ففي الآية ايجاز لطيف. كذا قال صاحب الميزان. انتهى.

قوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) جملة معطوفة، تعريف الملائكة لأنهم الموسومون بالرحمة يحيطون بالمؤمنين من كل جانب لإلقاء تحية أهل الجنة عليهم.

قوله تعالى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾

الفصل لأنه مقول قول الداخلين عليهم من الملائكة، و(سلام عليكم) تحية أهل الجنة، وقوله (بما صبرتم) الباء للسببية، أي: بسبب صبركم في عالم الدنيا وتحملكم المشاق في طاعة الله، وفى الكافي مرفوعا إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن

المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش. انتهى.

قوله (فنعم عقبى الدار) الفاء للتفريع، ونعم صيغة مدح ممدوحه محذوف تقديره: فنعم عقبى الدار داركم، وهي الجنة.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) الآية في صفة الكافرين نقيض الآية السابقة في المبنى والمعنى، واستعمال فعل الحضور في الكلام لنقض العهد دلالة على تجدد فعل الخيانة من الكافرين.

قوله (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أي: لا يصلون رحمهم لجفاء طباعهم وخشونة أخلاقهم، والإتيان بجملة الموصول لتبشيع القطع.

قوله (ويفسدون في الأرض) أي: ويعتدون ويظلمون الناس، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض للجنس.

قوله (أولئك لهم اللعنة) لفظ الإشارة لتمييز الكافرين ولاستحقاقهم الخبر، وتقديم المعمول (لهم) للاهتمام، واللعنة الطرد من رحمة الله.

قوله (ولهم سوء الدار) أي: ولهم سوء المستقر، استعارة إلى مكثهم في النار يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾

قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) الفصل لتعداد منن الله تعالى وكمال قدرته فهو سياق انتظم السورة كلها كما مر في الآيات السابقة: (الله الذي رفع السموات والأرض بغير عمد) و (وهو الذي مد الظل) و(الله يعلم ما تحمل كل أنثى) و(هو الذي يريكم البرق) و(ولله يسجد من في السموات والأرض)، والبسط كناية عن الكرم والعطاء غير المحدود، فعطاؤه تعالى يعم المؤمن والكافر لسعة فضله ورحمته، و(يقدر) تقابل يبسط، كناية عن التحديد.

قوله (وفرحوا بالحياة الدنيا) ضمير الجمع في فعل الفرح عائد إلى الكافرين الذين تحدثت عنهم الآية السابقة، والفرح البطر والطغيان، والباء في (بالحياة الدنيا) للملابسة، والمراد فرحهم باللهو بها دون اكتراث للآخرة.

قوله (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) الجملة في موقع الحال، أي: فرحوا بالحياة الدنيا في حال أنها متاع زائل، والنفي والاستثناء يفيد قصرها على الزوال، وقوله (في الآخرة) في: مجاز للظرفية والمقايسة بمعنى: في قياس الآخرة.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧ ﴾

لما فصلت الآيات في ذكر المؤمنين رجعت ـ إلى الآية الخامسة والثلاثين ـ إلى تفصيل الكلام في اقتراح الكافرين الذي بدأته في أول السورة.

قوله (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) الجملة معطوفة على قوله (والذين ينقضون عهد الله)، وهذا رجوع بالكلام إلى ذكر اقتراح مشركي مكة على النبي لنزول آية غير القرآن تعجيزا منهم واستخفافا لأن ليس كالقرآن معجزة، وكأن المعجزات تنزل بحسب أهوائهم فيقبلون هذه ويرفضون تلك، و(لولا) للتحضيض، وضمائر الغائب في: أنزل، وعليه، وربه، راجعة إلى النبي ﷺ.

قوله (قل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب) الفصل للمحاورات وواقع موقع التعليل، وتلقين الرسول عناية واهتمام به، وإعراض وتجاهل عن المشركين، والإخبار فيه متضمن معنى التهديد، لأنه جعل قولهم نتيجة أصل ضلالهم الذي كتبه الله لهم، وبين جملة الإضلال والهداية تقابل بديعي في المعنى.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾

قوله (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بدل من قوله (ويهدي إليه من أناب)، واطمئنان القلب كناية عن سكونه وما يستتبع من اتزان للشخص وثقة بالنفس بما آمنت، والعطف فيها عطف تفسير، و(بذكر الله) الباء للسببية، وذكر الله دوام حضور آياته في القلب والنفس.

وقال الشيخ الطبرسي: وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه، لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وأنعامه وآلاءه التي لا تحصى وأياديه التي لا تجازى فيسكن إليه، وبالثاني أنه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه. انتهى.

قوله (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الفصل لافتتاح الكلام بأداة التنبيه (ألا)، وتقديم المتعلق (بذكر الله) على عامله للحصر، والكلام من تفنن البديع في رد العجز على الصدر، ولا يخلو من تعليل.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾

قوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ثناء من الله على المؤمنين، وصلة الموصول علة لثنائهم،

قوله (طوبى لهم) لفظ (طوبى) صيغة مؤنث لـ (أطيب) صفة لموصوف محذوف تقديره: حياتهم أو أحوالهم، وتقديمها مع تنكيرها لتعجيل المسرة

والتهنئة. وقيل في تفسيرها إنها شجرة في الجنة أصلها في دار الرسول وعلي صلوات الله عليهما وفرعها على أهل الجنة.

قوله (وحسن مآب) بمعنى: طاب حسن مآبهم، حذف ضميرهم لرعاية الفاصلة، والحسن الجميل والمآب الرجوع، ويعني به الجنة.

قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (كذلك) الفصل للاستئناف، والتشبيه بمعنى: كذلك الإرسال للأنبياء.

قوله (أرسلناك في أمة) كاف الخطاب تعود إلى الرسول ﷺ، و(في) مجاز للظرفية، والأمة إشارة إلى أمة العرب لأنه منها انطلق في رسالته إلى العالم.

قوله (قد خلت من قبلها أمم) جملة وصفية، أي: سبقتها أمم في الدعوة إلى التوحيد.

قوله (لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك) اللام للتعليل، وفعل التلاوة يعني به القراءة عن حفظ، و(عليهم) أي: على المشركين، والحرف مجاز استعلاء وتمكن، والمراد من الموصول وصلته في (الذي أوحينا إليك) بيانه وتفصيله وهو القرآن المنزل على الرسول.

قوله (وهم يكفرون بالرحمن) جملة حالية، و(هم) عائد إلى المشركين، وفي اختيار اسم الرحمن ـ دون المضي مع السياق فيقال: يكفرون بنا، لكفرهم به لبيان سعة رحمته سبحانه بهم وإنظار معاجلتهم بالعقوبة.

قوله (قل هو ربي لا إله الا هو عليه توكلت واليه متاب) التلقين من الله أدب توحيدي عميق المعنى، فـ (هو ربي) اختصاص بمعرفة النبي ﷺ بربه بدلالة نسبة لفظ الربوبية إلى ياء المتكلم، و(هو) قصر الربوبية على الله وحده دون سواه مما يشركون، تلاه تصريح بلفظ الألوهية وتأكيد توحيده بأوكد صياغة وهي النفي والاستثناء (لا إله إلا هو)، ثم بيان قصر التوكل عليه وحده في دفع المكاره وجلب المنافع، وختم بتأكيد الرجوع إليه وحده بدلالة (متاب)، وفي الكلام تعريض غير خاف بالمشركين وطريقة عبادتهم، وحذف الياء من (متاب) لرعاية الفاصلة وهذا أسلوب قرآني فريد.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾

الآية معطوفة على قوله (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية)، والكلام تيئيس من إيمان المكذبين.

قوله (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) جواب (لو) محذوف دل عليه سياق الآية وتقديره: لما آمنوا به إلا أن يشاء الله، أي: إن اقتراح المشركين بإنزال آية أخرى غير القرآن اقتراح تعجيز فهم لا يؤمنون على أي حال، فلو أنهم رأوا الخوارق من القرآن في تسيير الجبال أو تقطيع الأرض أو تكليم الموتى لما آمنوا به إلا إذا شاء الله لهم الإيمان، وعلى هذا فالآية قريبة المعنى من قوله تعالى: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) [الانعام ١١١].

وتنكير لفظ القرآن أريد به قرآنا مفترضا من الله، وإيراد الأفعال المضعفة للمبالغة، فتسيير الجبال مبالغة في قلعها من أصولها وتحريكها كأنها تمشي، وتقطيع الأرض مبالغة في تفصيل أجزائها وشقها قطعة قطعة، وتكليم الموتى مبالغة في إحيائهم ومحادثتهم.

قوله (بل لله الأمر جميعا) تفيد (بل) الإعراض عن مخاطبة المكذبين، إلى الإقبال على تهديدهم المتضمن في قصر الأمر بالله تعالى، لأن أمر هدايتهم ليس راجعا إلى الآية المقترحة منهم بل أمرها لله تعالى ومشيئته التي قدرت لهم بما فعلوا ضلالهم، ونصب (جميعا) على الحال المؤكدة.

قوله (أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) الاستفهام للإنكار، والفاء للتفريع، ووفي فعل اليأس لزوم العلم، أي: أفلم يعلموا، ولعل المؤمنين طمعوا في هداية المشركين لما سمعوا اقتراحهم، فسألوا النبي في ذلك أن يسأل ربه فأجابهم الله تعالى بأن ذلك الكفر منهم مكتوب مقدر لهم في مشيئة الله التي قضت أن الكفر والإيمان اختيار من العبد يكون بحسب استعداده للقبول والرفض، ولو شاء الله لهم غير ذلك فلن يعجزه شيء.

قوله (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم) في الكلام تلميح وتلويح للمشركين بإنزال العذاب بهم، والقارعة الشديدة أو المصيبة التي تقرع الإنسان قرعا وأصله الضرب الشديد، كناية عما سيحل بهم من قتل أو اسر أو إذلال، وفي إشارة إحلال القارعة قريبا من دارهم تعجيل بإنزالها بهم، وهو ما حصل فعلا ففي ظرف قصير قتل أغلب رؤوس الشرك، وفتحت مكة وسقطت أوثانهم وكسرت.

وقوله (حتى يأتي وعد الله) تفيد (حتى) معنى الابتداء، ووعد الله إشارة إلى الإيذان بنصره عليهم.

قوله (إن الله لا يخلف الميعاد) الفصل تعليل لمجيء الوعد، فالله موعده وتوقيته للوعد ثابت لا يتغير، وفي الإخبار تهديد شديد.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢ ﴾

قوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك) القسم والتأكيد لإفادة التهديد، والاستهزاء مبالغة من الهزء والاستخفاف، وفي الكلام إيعاد شديد بإحلال العذاب بهم، لأن ذكر عقاب الأمم المستهزئين برسلهم واقع لا متوهم، وتنكير لفظ الرسل للكثرة.

قوله (فأمليت للذين كفروا ثم اخذتهم) الفاء للتفريع، وفعل الإملاء يعني الاستدراج والإمهال، وإسناده إلى ضمير التكلم المفرد لتفرده سبحانه في إنزال العذاب، ولما فيه من تعظيمه وتهويله لأنه صادر عن غضبه سبحانه، واسم الموصول وصلته لبيان علة عقابهم، و(ثم) للتراخي الزمني، وفعل الأخذ كناية عن نفي الفوات في إحلال العذاب بهم.

قوله (فكيف كان عقاب) الفاء للتفريع، والاستفهام مجرد عن السؤال يراد به التهويل، وحذف الياء من (عقابي) لرعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ

﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾

قوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) الاستفهام لإنكار تساوي العبودية فطرة وعقلا بالله وبغيره مما يزعمون، فعبر عن نفسه سبحانه بـ (من هو قائم على كل نفس) أي: خالقها المتسلط عليها وقاهرها ومدبرها في رزقها، وحذف القسيم الآخر تنزها عن ذكره وتقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن هو لم يقم يعدله غيره فيشاركه في الألوهية، وأورده بالإخبار عنه تحقيرا لهم وحطا من شأن عبادتهم فقال (وجعلوا لله شركاء) وهي أصنامهم التي زعموا شركتها مع الله في تدبير شؤون الأرض.

قوله (قل سموهم) الخطاب للنبي ﷺ لتجاهلهم، وفعل أمر التسمية بمعنى أعرضوا صفاتهم وبينوا أفعالهم فإن الخالق يعرف بذلك ولا يكفي أن يقال: هبل واللات ومناة، لأن كل أمة ابتدعت لأصنامها أسماء وادعت أنها شركاء لله كذبا وافتراء.

قوله (أم تنبؤنه بما لا يعلم في الأرض) تفيد (أم) الإضراب بمعنى(بل)، وفعل الإنباء الإخبار، والمعنى: أم أنكم تعلمون الله ما لا يعلم بادعاء أنها شريكة له، وتعريف الأرض للعموم، وإيرادها للرد على زعمهم ضمنا لأن الله خالق الأرض فكيف لا يعلم بما فيها وهم يعلمون.

قوله (أم بظاهر من القول) كناية عن زعم القول بلا دليل، سماه ظاهرا، لأنه على طرف اللسان غير مستند إلى تقليب وعناية وتفكر، وفي الآية حجاج عقلي فريد أبطل فيه حجج عبادتهم للأصنام، فهي أما بلا أوصاف تستدعي شركتهم مع الله، أو بأوصاف لا يعلمها الله والحال أن الله يعلم كل شيء، أو يتظاهرون بزعم القول من غير دليل، قال في الكشاف: وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف على نفسه. انتهى.

قوله (بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل) والتزيين التحسين، والمكر الحيلة وتزيينه لهم بالمضي فيه قدما، وتزيينها من الله لأنه إملاء وإمهال منه سبحانه لأخذهم، وصدهم الله عن السبيل بمعنى منع سبل الهداية أن تستدل عليها قلوبهم وذلك بأن جعل قلوبهم قاسية لا تلين فتهتدي، وإنما ذلك الجعل بتهيئة سبل الإغراء لهم بالتمادي والضلال والتجبر.

قوله (ومن يضلل الله فما له من هاد) الجملة تعليلية أوردت بأسلوب الشرط، وإضلالهم ونفي الهداية عنهم مجازاة لهم على أفعالهم.

قوله تعالى ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (لهم عذاب في الحياة الدنيا) تقديم المتعلق (لهم) للكلام عن المشركين، وتنكير لفظ العذاب لتهويله ونوعيته، وعذابهم في عالم الدنيا قضاه الله بقتلهم.

قوله (ولعذاب الآخرة أشق) اللام للقسم، ووصف العذاب بالشقاوة لأنهم سيلقون فيه ما هو أشد مما لقوه في عالم الدنيا.

قوله (وما لهم من الله من واق) الجملة حالية، ولفظ الوقاية يعني المانع الذي ينصرهم، تعريضا بأصنامهم التي يدعون أنها تنصرهم وتشفع لهم، و(من) الأولى للصدور والابتداء، و(من) الثانية زائدة لتأكيد نفي الوقاية عنهم.

قوله تعالى ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار) لفظ المثل مقصود به الحال العجيبة أو الصفة الباهرة، وهي مبتدأ خبرها قوله (تجري من تحتها الأنهار).

قوله (أكلها دائم وظلها) خبر ثان، والأكل هو المأكول، ووصفه بالديمومة لنفي ما رسخ في الذهن أنها فصلية في عالم الدنيا تكون في فصل وتنقطع

عن آخر، وظلها أي: وظل أشجارها الدائم لكثافتها، فلا يتأثر بنقصان أو زوال، وهذه من صفات مكان الجنة.

قوله (تلك عقبى الذين اتقوا) اسم الإشارة للتنويه بالجنة فهي عقبى المتقين، واسم الموصول وصلته لبيان مجازاتهم واستحقاقهم.

قوله (وعقبى الكافرين النار) استطراد لبيان الفرق بين العاقبتين، وفيه ترغيب للدخول في التوحيد، وترهيب للخروج من الكفر.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦ ﴾

ختام الآيات في بيان عظمة معجزة القرآن وفيها إيعاد شديد للمكذبين به.

قوله (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) الواو للاستئناف، والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى بحسب الإطلاق الشائع عليهم في آيات القرآن ومعهم المجوس، وقد يراد به النصارى خاصة، وتعريف الكتاب للعهد يراد به التوراة والإنجيل، و(يفرحون بما أنزل إليك) لأنهم كانوا ينتظرون هذه البعثة، ولم يكونوا أول عهدهم من البعثة في مكة مناوئين للإسلام وللنبي، والفرح إظهار السرور، والخطاب في (إليك) عائد إلى الرسول. وما أنزل إليه هو القرآن.

قوله (ومن الأحزاب من ينكر بعضه) يعني ببعض الأحزاب بعض علماء اليهود والنصارى والمجوس الذين يؤمنون ببعض معاني القرآن وينكرون بعضه الآخر، مثل إنكار القرآن لكثير ما عند اليهود من أحكام محرفة، ومثل عقيدة التثليث عند النصارى، وسموا بالأحزاب لأنهم تحزبوا للمشركين ضد الإسلام، و(من) الأولى للتبعيض، و(من) الثانية اسم موصول، والهاء في (بعضه) عائد إلى القرآن.

قوله (قل إنما أمرت أن أعبد الله) الأمر في (قل) للنبي ﷺ، وهي دعوة التوحيد جوهر دعوته وتبليغه، والأمر بعبادة الله الواحد ردا على بعض أهل الكتاب ممن ادعى عزير ابن الله كاليهود، أو ممن تبنى عقائد فاسدة كولدية المسيح أو اتخاذه إلها وهم النصارى.

قوله (ولا أشرك به) نفي الشراكة لتأكيد الأحدية لله في حق عبادته.

قوله (إليه أدعو واليه مآب) الفصل لأنه في مقام تعليل الأمر بعبادة الله دون سواه لأن المآب إليه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ٣٧ ﴾

قوله (وكذلك أنزلناه) أي: كمثل ذلك جنس الكتاب النازل من الله تعالى من التوراة والإنجيل، وقوله (أنزلناه) أي: الله تعالى أنزله، وضمير الهاء في فعل الإنزال عائد إلى القرآن.

قوله (حكما عربيا) النصب للحال، و: عربيا: حال ثانية، والمعنى: أنزلنا القرآن قضاء وحكما فصلا بلسان عربي على نبي عربي، وهذه سنة الله تعالى في إرسال الأنبياء قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) [إبراهيم ٤].

قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) القسم والشرط للتأكيد، والخطاب للنبي ﷺ، وضمير جمع الغائبين في (أهواءهم) عائد إلى اليهود والنصارى لأنهم كانوا يقترحون عليه أيضا إنزال آية غير القرآن، والاتباع كناية عن الطاعة.

قوله (بعد ما جاءك من العلم) قد يراد بالعلم القرآن، أو بمعنى دين الإسلام، فمجيئه بمعنى نزوله عليه بالوحي، و(من) للجنس.

قوله (ما لك من الله من ولي ولا واق) النفي المشدد إشارة إلى الأخذ والعقاب، والمخاطب النبي ﷺ دون أمته، و (من)الأولى للابتداء، و(من) الثانية لتأكيد نفي النصرة والتأييد والوقاية والحفظ من الله.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) القسم والتأكيد لأهمية الخبر، وتنكير الرسل لإفادة الكثرة، و(من قبلك) أي الذين سبقوك زمنيا، وبين فعل الإرسال والجمع تجنيس اشتقاقي بديعي لافت.

قوله (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) أي: إن الرسل بشر يجعل الله لهم مثل سائر عباده أزواجا وذرية.

قوله (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) نفي الكون ولام الجحود بمعنى: ليس لأي رسول نرسل حق تغيير الآية التي نؤيد بها رسالته إلا إذا شاء الله تغييرها بحسب مقتضى المصلحة التي يعرفها الله وحده، ولا يملك غيره سبحانه القدرة الغيبية.

قوله (لكل أجل كتاب) الفصل لبيان علة إذن الله تعالى في تغيير المعجزات، فلكل أجل ـ وهو الوقت المحدود ـ كتاب يقضي به الله حكمه في إنزال آية أو تأييدها بأخرى.

قوله تعالى ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾

قوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت) الكلام تعليل لقوله السابق (لكل أجل كتاب)، والمحو الإذهاب والإزالة، والفعل المضارع يدل على الاستمرار، وفعل الإثبات يقال فعل المحو ويدل على الاستقرار، والمعنى: إن الله لما ذكر أن لكل أجل كتاب بين أن المحو والإثبات للكتب بحسب آجالها وأوقاتها.

قوله (وعنده أم الكتاب) أي عنده أصل الكتاب، الذي به يقضي المحو والإثبات، وتصدر منه الكتب، ولا يعني ذلك التغيير نفي صورة الاستقرار بل هو من أجل مسايرة النظام وكماله.

قوله تعالى ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله (وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم) الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: سواء رأيت عذاب الكافرين في الدنيا أو لم تره إنما أنت مبلغ وليس عليك حسابهم، و(بعض الذي نعدهم) إشارة تعجيل عذاب القتل لهم أو الأسر، و(إن ما) اسم شرط، وجزم فعل الرؤية لأنه فعل الشرط، والنون الثقيلة لتأكيد الفعل.

قوله (أو نتوفينك) الترديد بمعنى: نفي شهادتك لعذابهم، وفعل التوفي مجزوم لأنه معطوف على فعل الشرط.

قوله (فإنما عليك البلاغ) الفاء في جواب الشرط. والقصر بتقديم المتعلق (عليك) لتعليل قوله (وإن ما نرينك بعض)، و(عليك) بمعنى واجبك ولازمك، والبلاغ مصدر من الفعل بلغ وهو الوصول والانتهاء، وهي مهمة كل نبي في تبليغ الرسالة وليس واجبهم هدايتهم أو محاسبتهم فإنها من مختصات الله تعالى، ولذلك أعقب بقوله (وعلينا الحساب).

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) الكلام مسوق في العظة والاعتبار، والاستفهام يفيد الإنكار، ونقص الأرض من أطرافها كناية عن نقص أهلها بالإماتة والإهلاك نظير قوله تعالى (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون انا نأتي الأرض ننقصها من اطرافها أفهم الغالبون) [الأنبياء ٤٤].

قوله (والله يحكم لا معقب لحكمه) والحكم بمعنى القضاء، وقوله (لا معقب لحكمه) حال، بمعنى الله يحكم في حال لا أحد يمنع يحكمه ويعقبه ليمنعه.

قوله (وهو سريع الحساب) سريع الحساب بتعجيله العقوبة لمن يستحقها بحسب مشيئته.

قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (وقد مكر الذين من قبلهم) أي: مكر الأمم القديمة التي أصبحت أثرا بعد عين كقوم عاد وثمود، وضمير (قبلهم) عائد إلى المشركين.

قوله (فلله المكر جميعا) الفاء للتفريع، وتقديم لام الجر ولفظ الجلالة للاختصاص، وجميعا حال، والمعنى: خلوص ملك الله للمكر، ويراد به المكر الذي يكون بإمهال الكافرين وإمدادهم بأسباب التمادي من النعيم والحياة ليزدادوا باختيارهم عنادا وعتوا وضلالا، فهو مكر لأن ظاهر نعمة لهم وباطنه وعاقبته قمة شديدة عليهم.

قوله (يعلم ما تكسب كل نفس) الفصل لتعليل مكر الله، لأنه يعلم كل نفس استعدادها لما تكسب من سيئة أو حسنة.

قوله (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) الكلام تذييل مشتمل على التهديد الشديد، لأن إمهالهم في الدنيا إمهال مؤقت، تعقبه عاقبة دائمة من العذاب في النار وهي عقبى دارهم.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣ ﴾

قوله (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قولهم بعد اليأس من الاستجابة إلى اقتراحهم بإنزال آية غير القرآن، لذلك أنكروا أصل الرسالة.

قوله (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) وفي الكفاية بالله استغناء به عن شهادة أي شاهد لأنه ولي الإرسال، وشهادته شهادة نقلها كتابه العزيز كقوله تعالى (أنك لمن المرسلين على صراط مستقيم).

قوله (ومن عنده علم الكتاب) الواو للعطف، أي: وكفى بمن عنده علم الكتاب، والمراد بالكتاب القرآن الكريم، وقد اختلف كثيرا في العائد من ضمير اسم الموصول (من)، غير أن أثبت الروايات تعود به إلى الإمام علي عليه السلام فهو أعلم الناس بعد رسول الله بالكتاب، ويكفيه قول الرسول فيه (إني تارك فيكم الثقلين كتاب وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

وفي أمالي الصدوق بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله جل ثناؤه: (قال الذي عنده علم من الكتاب) قال: ذاك وصي أخي سليمان بن داود فقلت له: يا رسول الله فقول الله عز وجل: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب. انتهى.

سورة إبراهيم

مكية، وهي اثنتان وخمسون آية

مفتتح السورة دال على غرضها، وهو تعظيم القرآن في كونه آية رسالة النبي ﷺ ومعجزته، يخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وفيها تذكير لمشركي مكة بمننه عليهم وتحذير من إهلاكهم، لأنه سنة جارية في الأمم الكافرة قبلهم.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾

سياق الآيات ـ إلى الآية الخامسة ـ في تبيين أغراض المعجزة القرآنية والرسالة النبوية.

قوله (الر) تقدم ذكر المقطعات القرآنية التي غالبا ما يتبعها ذكر الكتاب العزيز.

قوله (كتاب أنزلناه إليك) ارتفاع الكتاب لأنه خبر الحروف المقطعة، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا، وأل التعريف فيه للعهد ويراد به القرآن، وفاعل الإنزال مضمر لمعلوميته وهو الله تعالى، والخطاب في (لتخرج) و (إليك) للنبي ﷺ.

قوله (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) اللام لتعليل إنزال الكتاب، وفعل الإخراج استعارة بالانتقال من حال إلى حال، وتعريف لفظ الناس يراد به العموم وليس أل العهد فيه، وتفيد (من) ابتداء الخروج، و(إلى) انتهاء الغاية، والظلمات والنور استعارات تصريحية، شبه الكفر بالظلمات بجامع التخبط والاضطراب، وشبه الإيمان بالنور بجامع الاهتداء في كل منهما ثم حذف المشبه من كليهما.

قوله (بإذن ربهم) الباء للسببية، إشارة إلى أن ذلك بمشيئة الله ورحمته بهم، لا باستقلالية عنه.

قوله (إلى صراط العزيز الحميد) جملة بدل من لفظ النور لتأكيده وتفصيله، والعزيز الذي لا يغلب، والحميد المحمود على فيض رحمته بعباده، واختيار الاسمين من أسمائه الحسنى لمناسبتها في غلبته في معجزته على المكذبين، ورحمته على المؤمنين بها في نقلهم من حال الكفر إلى الإيمان.

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾

قوله (الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) الفصل للاستئناف، والتصريح بلفظ الألوهية للتعظيم، والموصول وصلته بيان لعظمته في مملكته سبحانه الواسعة وملكه لما فيها، و(ما) اسم موصول ويدخل فيها العاقل وغير العاقل، وتقديم (له) لإفادة اختصاص الله بملكه.

قوله (وويل للكافرين من عذاب شديد) العطف عطف إنشاء دعاء على خبر، وويل مصدر لا فعل له، بمعنى الدعاء بالهلاك، وتعريف الكافرين للعهد وهم المشركون، و(من) ابتدائية، وتنكير لفظ العذاب لتهويله، والشديد صفة لقوة ألمه ووقعه على الكافرين.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣ ﴾

قوله (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) الجملة بدل من الكافرين، والاستحباب مبالغة في حب الحياة الدنيا وإرادتها، و(على) مجاز في تمكن حب الدنيا من الآخرة، وورودها مع (يستحبون) لتضمن الفعل معنى الإيثار، ولفظ الآخرة طباق في المعنى لما تتضمن الدنيا من معنى الحياة الأولى، وجملة الموصول وصلته صفة للكافرين لأنهم ما كانوا يؤمنون بالمعاد فعملوا لدنياهم، قال تعالى (وقالوا إن هي إلا حياتنا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) [المؤمنون ٣٧].

قوله (ويصدون عن سبيل الله) صفة أخرى لهم، فقد كانوا يمنعون أنفسهم من الإيمان يمنعون غيرهم من اللحاق بركب المؤمنين، والصد المنع، وسبيل الله دين التوحيد.

قوله (ويبغونها عوجا) أي: يطلبونها طريقة معوجة ضالة في الحياة، و(عوجا) حال، وهي استعارة تصريحية، شبه الطريقة التي يريدونها بالعوج بجامع الالتواء، وضلال القصد وخفائه.

قوله (أولئك في ضلال بعيد) الفصل لتعليل سلوكهم، واسم الإشارة لتمييزهم، و(في) للظرفية المجازية التي تفيد تلبسهم في الضلال، ووصفه بالبعيد لعسر الإرجاع عنه لمن يسلكه، وهو من المجاز العقلي أريد به الضالون.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾

قوله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) العطف على قوله (كتاب أنزلناه)، أي: ما أرسلنا رسولا إلا بلغة قومه، والقصر للتأكيد الشديد، و(من) زائدة للتوكيد، وتنكير لفظ الرسالة لإفادة العموم، والباء في (بلسان) للملابسة، واللسان مجاز مرسل يراد به اللغة لأنها سبب عنه، وإنما يبعث الله الرسل بألسنة أقوامهم ليكونوا أبلغ في إيصال الرسالة الإلهية إليهم فتكون حجة إضافية لله على الناس.

قوله (ليبين لهم) الجملة توضح علة إرسال الرسل بألسنة أقوامهم، والتبيين الإيضاح وإزالة الشبه.

قوله (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) الفاء تفريع على التبيين، فيتميز الذين هداهم الله من الذين أضلهم هداية وضلالا على وفق استعدادهم لتقبل الهداية والإضلال، لا بمعنى الهداية والإضلال الابتدائيين لأن ذلك لا يستقيم وعدله سبحانه.

قوله (وهو العزيز الحكيم) تذييل لما تقدم، بأسلوب القصر، والعزيز الغالب الذي لا يقهر، والحكيم الذي أحكم تدبير كل شيء، والاسمان كلاهما من أسمائه العلى معنيان بسياق الآية في الهدى والإضلال.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾

قوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) ذكر موسى عليه السلام لخصوصية رسالته، والقسم والتأكيد لإنكار المنكرين، والباء في (بآياتنا) للمصاحبة، وشبه الجملة واقعة حالا، وجمع الآيات لأن موسى أيده الله بمعجزات كثيرة.

قوله (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) الفصل لأن فعل الإرسال متضمن معنى القول، و(قومك) أي: بني إسرائيل، والظلمات استعارة تصريحية للظلم والفساد والشرك الذي كانوا يعيشه بنو إسرائيل، ولفظ النور استعارة تصريحية للإيمان وعبودية الله.

قوله (وذكرهم بأيام الله) الجملة معطوفة، وتضعيف فعل التذكير مبالغة في الذكر واستحضار الحال، والباء في (بأيام الله) للملابسة، وأيام الله نسبة خاصة، إشارة إلى الحوادث العظيمة الخاصة التي تميز الأيام عن بعض وإلا فكل الأيام لله، كيوم طوفان قوم نوح، ويوم إهلاك عاد وثمود ونحوها، والمراد من ذلك إبقاؤهم على حال من التصاغر والشكر أمام منن الله عليهم.

قوله (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي: في ذلك التذكير، والفصل للتعليل، و(إن) ولام التوكيد الواقعة في خبرها، لإفادة ترسيخ المعنى، والآيات الدلائل والمعجزات، والصبار صيغة مبالغة في معنى تكثير الصبر على البلايا، والشكور صيغة مبالغة في شكر نعم الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾

سياق الآيات ـ إلى الآية الثامنة عشرة ـ في التذكير بنعم الله ونقمه تفريعا على قوله (وذكرهم بأيام الله).

قوله (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) الجملة معطوفة على قوله (ولقد أرسلنا موسى)، وأمر الذكر يراد به استحضار النعم لأداء شكرها وعدم نسيان فضل الله بها.

قوله (إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) تفيد (إذ) الظرفية، والجملة تفسيرية لمعنى التذكير بالنعمة على بني إسرائيل، والإنجاء التخليص من سطوة فرعون وبطشه وذلك بأن أغرقه وقومه في البحر وأنجى بني إسرائيل منه، وفعل السوم هنا بمعنى يقصدونكم في إذاقة العذاب، وتضعيف فعل الذبح لتكثير معنى القتل من فرعون في بني إسرائيل، ويستحيون بمعنى يبقون النساء أحياء للذلة والخدمة والمهانة.

قوله (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي: اختبار عظيم من الله لهم، لأنه طال أمد ظلمه على بني إسرائيل حتى بعث الله لهم موسى عليه السلام لينقذهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾

قوله (وإذ تأذن ربكم) العطف على قوله (وإذ أنجاكم)، وصيغة تأذّن تكثير لمعنى الأذان وهو الإعلان، والخطاب في (ربكم) من موسى لقومه، وما بعده حكاية قول موسى عن ربه.

قوله (لئن شكرتم لأزيدنكم) اللام للقسم الداخل على (إن) الشرطية، وجواب القسم والشرط (لأزيدنكم) واللام واقعة في جواب القسم للتوكيد، والنون للتوكيد، والكلام من قول موسى حكاية عن الله تعالى، ومراد المعنى: شكر الله على الإنجاء من فرعون شكرا تبدو آثاره في الطاعة والانقياد لله ولرسوله فسيكون ذلك سبيلا لزيادة النعم عليهم.

وأخرج المتقي الهندي في كنز العمال قول رسول الله ﷺ: ما أعطي أحد أربعة فمنع أربعة: ما أعطي أحد الشكر فمنع الزيادة لأن الله يقول: (لئن شكرتم لأزيدنكم)، وما أعطي أحد الدعاء فمنع الإجابة لأن الله يقول: (ادعوني استجب لكم)، وما أعطي أحد الاستغفار فمنع المغفرة لأن الله يقول: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا)، وما أعطي أحد التوبة فمنع التقبل لأن الله يقول: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) [الشورى ٢٥]. انتهى.

وعلى غرار ذلك في نهج البلاغة قول الإمام عليه السلام: من أعطي أربعا لم يحرم أربعا: من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق ذلك كتاب الله تعالى قال الله عز وجل في الدعاء (ادعوني أستجب لكم) وقال في الاستغفار (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقال في الشكر (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال في التوبة (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما). انتهى.

ولا عجب لو تشابه الكلامان بينه وبين رسول الله فكلاهما يستقيان من قليب واحد، كما قال السيد الرضي.

قوله (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) الجملة تقابل السابقة في المعنى، والكفر يراد به جحود النعم، وجملة الإخبار (إن عذابي لشديد) أقيمت مقام جواب القسم والجزاء، وهي وإن اشتملت على التهديد المشدد بأدوات التوكيد إلا أن الإعراض عن التصريح دليل سعة كرمه كما هو دأب الكرام، لأنه صرح بالوعد فقال: لأزيدنكم وكنى عن الوعيد بالإخبار عنه فلم يقل: لأعذبنكم.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ ﴾

قوله (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا) قول موسى عليه السلام لقومه يفيد تمام استغناء الله عنهم جميعا، لأنهم هم من يحتاج عبادة الله تعالى، وفي ذلك تهديد شديد لهم، والضمير (أنتم) للقصر، ونصب لفظ الجميع للتأكيد والحال.

قوله (فإن الله لغنيّ حميد) الفاء في (فإنّ) واقعة في جواب الشرط، واللام في (لغني) واقعة في خبرها للتوكيد، والغني والحميد من أسماء الله العلى صفات مبالغة في الغنى عن شكر الشاكرين، وفي الحمد لأفعاله سبحانه.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾

قوله (ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) الاستفهام للتقرير والتوبيخ، ونبأ هؤلاء الأقوام نبأ الاستئصال من شأفتهم، جعلهم عظة وعبرة لغيرهم من الأمم، فقوم نوح بالغرق، وقوم عاد بالريح العقيم، وقوم ثمود بعذاب الصيحة، وهذا من كلام موسى يذكر قومه بأيام الله.

قوله (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) من بعدهم: أي: من بعد هؤلاء الأقوام الذين ذكروا، وهم من الذين لم تقص قصصهم، وإنما أشير إلى ذكرهم، فلا يعلم حالهم إلا الله، وذكر صاحب الدر المنثور أن رجلا قال لعلي بن أبي طالب أنا أنسب الناس، قال: إنك لا تنسب الناس، قال: بلى، فقال له علي: أرأيت قوله تعالى: (وعادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا)؟ قال: أنا أنسب ذلك الكثير، قال: أرأيت قوله: (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) فسكت. انتهى.

قوله (جاءتهم رسلهم بالبينات) جملة تعليل لجميع الأمم البائدة لذلك فصلت، لأنها لم يقطع وجودها إلا بعد إرسال الرسل إليهم بالحجج والبراهين الظاهرات البينات، والباء في لفظ البينات للمصاحبة.

قوله (فردوا أيديهم في أفواههم) الفاء للتفريع على (جاءتهم رسلهم بالبينات)، والصورة للكناية عن إخراس الرسل ليمنعوا من الكلام، وذلك بإجبارهم على رد أيديهم إلى أفواههم، أي: كأن الرسل يكلمونهم وينصحونهم بالدعوة إلى التوحيد ويحاجوهم في ذلك والقوم معرضون لا يريدون سماع مزيد فأخذوا أيدي المرسلين ووضعوها على أفواههم لإسكاتهم ومنعهم من الكلام، فضمير جمع الغائبين في (فردوا) عائد إلى الكافرين من الأمم، وفي (أيديهم وأفواههم) راجع إلى الرسل، و(في) مجاز للتمكن وإحكام غلق الفم بمعنى (على)، والصورة من الكنايات القرآنية الفريدة، وهناك أقوال أخر في كتب التفسير تخالف السياق.

قوله (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به) ضمير الجمع في فعل القول عائد إلى الكافرين، أي: أخرسوا الرسل بوضع أيديهم على أفواههم وقالوا إنا كافرون بكم وبرسالتكم.

قوله (وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) تأكيد من الكافرين على إنكارهم الشديد لحجج الرسل والبراهين الساطعة التي لم يجدوا أمامها من حجة سوى إسكات الرسل بالقوة.

قوله تعالى ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ

أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾

الظاهر أن الكلام من قول موسى عليه السلام لقومه بالحكاية عن الرسل، وإنه لأسلوب عجيب مبتكر بأن يتحدث نبي بمنزلة موسى عن الأمم البائدة وعن أنبيائها عامة وذلك لتبيان المشتركات العامة بينهم مثل: الوثنية والإفساد، والعصيان والعناد، وتكذيب الرسل والأنبياء، واستعجال العذاب، والنهاية الواحدة من عذاب الاستئصال.

قوله (قالت رسلهم) أي: رسل الأقوام الكافرين.

قوله (أفي الله شك فاطر السماوات والأرض) الاستفهام يفيد الإنكار، وتقديم (أفي الله) للاهتمام والنفي، والتصريح بلفظ الجلالة يفيد العظمة والظهور التي لا يصح معها عقلا وفطرة الشك فيه سبحانه، والفصل في إيراد (فاطر السماوات والأرض) صفة لله تفيد تعليل نفي الشك في الله لأن هذا الخلق العظيم يدفع كل شك، الفطر الشق ويراد به الإيجاد والخلق.

قوله (يدعوكم) أي: الله يدعوكم، ونسبة الدعوة إلى الله مجاز عقلي بعلاقة السببية، فالله يدعو الكافرين برسله الذين يرسلهم بدعوة التوحيد إليه، وجملة يدعوكم واقعة حالا من اسم الجلالة.

قوله (ليغفر لكم من ذنوبكم) علة لدعوة الله، والغفران الستر، و(من) تفيد التبعيض.

قوله (ويؤخركم إلى أجل مسمى) فعل التأخير بمعنى يمهلكم حتى تتوبوا، والأجل المسمى التوقيت المضروب لهم في حياتهم الدنيا يتوفاهم أو يقتلهم أو يستأصلهم.

قوله (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) تلك كانت شبهتهم في رد الأنبياء، في إنكار إرسال البشر رسلا من الله، مقترحين أن يكون الرسل من جنس خارق آخر من الملائكة مثلا.

قوله (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) وهذه شبهة ثانية في اتهام الرسل بالعبث في تقاليدهم التي ورثوها من آبائهم الضالين فكأنها أصبحت حقا مكتسبا لهم بتقادم السنين ولا يجوز نفيه عنهم بدين جديد.

قوله (فأتونا بسلطان مبين) الفاء للتفريع، والسلطان إشارة إلى القوة الظاهرة القاهرة وهي المعجزة التي يتأيد بها الرسل، وربما أرادوا اقتراحاتهم في إنزال ما يشتهون من معجزات، وكانوا يقولون ذلك إذا عجزت ألسنتهم عن براهين الرسل.

قوله تعالى ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) أقر الرسل مقالهم بأنهم بشر مثلهم فأجابوهم بنفس ما اشكلوا عليهم وبذات اللغة والتأكيد، ولكن اختلفوا معهم بالاستنتاج فقالوا (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) فاستدركوا عليهم ما أقروا بأن كونهم بشرا لا يمنع من أن يمن الله عليهم بنعمة الاصطفاء والرسالة، فالناس وإن تشابهوا في البشرية ولكنهم مختلفون في الكمالات والاستعدادات النفسية في عمل الخير، وهذا الاختلاف هو الذي يرفع قدر بعض على بعض، وفعل المن الإنعام على الغير، و(على) مجاز في الاستعلاء، و(من) اسم موصول، و(من) للتبعيض، وإضافة العباد إلى ضمير الجلالة للتشريف والتعظيم.

قوله (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) وهذا رد آخر على اقتراحهم، أي: لا يحق لنا ولا هو شأننا أن نأتي بالمعجزات، وإنما هي شأن الله إن شاء أنزلها على رسله وإن لم يأذن لم يفعل، يريدون أن شأنهم التبليغ فحسب، فالكون المنفي نفي الشأنية والحقية، و(لنا) اللام للملك والاستحقاق.

قوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التقديم يفيد الاختصاص، والجملة تذييل يجري مجرى حجة ثانية خاصة بالمؤمنين بإرجاع الأمر كله إلى الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (وما لنا ألاّ نتوكل على الله) الاستفهام يفيد الإنكار والتعجيب، و: ألاّ، من (أن) و(لا)، وجملة (وقد هدانا سبلنا) حالية بمعنى: ينكر الرسل متعجبين من عدم توكلهم على الله في حال أنه سبحانه هداهم وأنعم عليهم بسلطان النبوة، فذلك وحده كفيل بأن يكونوا متوكلين عليه.

قوله (ولنصبرن على ما آذيتمونا) تفريع على ما سبق، في أن سبيل الهداية يتطلب تحمل مشاق أذاكم عليها، واللام للقسم و(على) مجاز للتمكن، وفي الكلام نقل عن الرسل في تأكيد العزم والمضي في سبيل هدى الله.

قوله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) تقديم المتعلق للاختصاص، والآية تحاذي قوله السابق (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)، إلا أنه نوع ترق في الكلام من المؤمنين إلى عموم المتوكلين، والتفنن البديعي في غايته وجماله ويسمى رد العجز على الصدر في قوله (وما لنا ألا نتوكل).

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) وكان ذلك قول الكافرين كلما عجزوا عن رد حجج المرسلين هددوهم

بالنفي من أوطانهم، وقد حكى القرآن نصه في قصة قوم شعيب في قوله تعالى (قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) [الأعراف ٨٨]، وذلك علو منهم واستكبار. واللام في (لتعودن) بمعنى القسم لتضمنها معنى الإكراه، وليس المراد أنهم يقسمون بالله ليرجعوا إلى دين الوثنية على أساس أن الفعل (عاد) بمعنى العود والرجوع، بل هو فعل ناقص، ولذلك عدي بـ (في) لا بـ (إلى)، لأنهم لم يكونوا وثنيين حتى يطالبوا بالعودة إلى دين أقوامهم، نعم قد يشمل المؤمنين بهم فيكون الخطاب على سبيل التغليب، فلاحظ.

قوله (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) الفاء للتفريع، وضمائر الغيب في (إليهم ربهم) عائدة إلى المرسلين، واللام في فعل الإهلاك للقسم والتوكيد، وضمير الجمع فيه للتعظيم إشارة إلى أن لله وسائط من الملائكة يأمرهم بإحلال العذاب بالمكذبين، والإتيان بلفظ الظالمين لتبيان علة إهلاكهم. والإيعاد رد على الكافرين بأن الله سيهلكهم ويورث أرضهم الرسل الذين هددوهم بإخراجهم منها، وقال الرسول ﷺ في الآية (من آذى جاره طمعا في مسكنه ورثه الله داره) ذكر ذلك القمي في تفسيره. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) الواو للعطف، والخطاب من الله لرسله، واللام للقسم، ولفظ الأرض للعهد، أي: الأرض التي هدد الكافرون المرسلين بنفيهم عنها وهي سكنهم ووطنهم، والضمير في (بعدهم) عائد إلى الكافرين.

قوله (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) الفصل لتعليل قوله (لنسكننكم)، والمقام مصدر ميمي من قيمومته للأمر كله، وخوف مقام الله بآثاره المترتبة عليه دليل وعي بالإيمان به سبحانه فهو متضمن معنى تقواه سبحانه، وأما خوف الوعيد فهو خوف الرهبة بما خذر عباده من غضبه وعذابه.

قوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ١٥ ﴾

قوله (واستفتحوا) الاستفتاح مبالغة في طلب الفتح، كناية لما يستغلق من أمر فيطلب كشفه وفصله بفتحه، وقد يكون طلبه من الرسل بمعنى النصر كما دعا به شعيب عليه السلام، قال تعالى (ربنا افتح بيننا وبين القوم الكافرين) [الأعراف ٨٩]، أو يكون من القوم الكافرين استخفافا كما في قوله تعالى حكاية عنهم (متى هذا الفتح) [السجدة ٢٨]، و (متى هذا الوعد) [يس ٤٨].

قوله (وخاب كل جبار عنيد) جملة عطف على (واستفتحوا) وهو إظهار في مقام الإضمار، فهو لم يقل: وخاب الذين كفروا، بل عدل عنه إلى إظهار صفة للكافرين وهي التجبر والعناد.

والخيبة فوت الطلب، وتعني الخسران والهلاك بانقطاع الرجاء، والجبار صيغة مبالغة في التجبر والتكبر والطغيان والظلم، والعناد اللجاجة في الأمر وعدم الاقتناع، والعنيد صيغة مبالغة، وبين (خاف) في الآية السابقة و(خاب) تجنيس بديعي ناقص محبب لكون جاء عفوا رهوا.

قوله تعالى ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ ﴾

قوله (من ورائه جهنم) الجملة واقعة صفة لـ (جبار عنيد)، وضمير الهاء عائد إليه، و(من ورائه) بمعنى أمامه، لأن كل ما تسبق الشيء تكون أنت أمامه وهو وراءك، وفيه إشارة إلى أن كل يوم يمر على الإنسان يقترب فيه مما هو أمامه وهو عالم الموت الذي ينقطع فيه العمل استعدادا لعالم الحساب.

قوله (ويسقى من ماء صديد) صورة تهويل للمعذبين في داخل جهنم والعياذ بالله، والصديد هو قيح الجرح، وسائله مستكره جدا، وذلك يكون سقيهم لو طلبوا ماء لظمئهم.

قوله تعالى ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧ ﴾

قوله (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) التجرّع بالتضعيف الشرب جرعة جرعة بعد جرعة كناية عن استقباح شربه، وجملة النفي ارتقاء في صفة تناول

الصديد، لأنه يجبر على شرابه، والإساغة إجراء الشراب في الحلق، وضمير الفاعل في الفعلين عائد إلى (جبار عنيد)، والهاء فيهما عائد إلى الصديد.

قوله (ويأتيه الموت من كل مكان) كناية عن شدة سكرات الموت، كأنه يموت مرة بعد مرة، وألمه محيط بجسمه من كل مكان غير مفارق له.

قوله (وما هو بميت) النفي المؤكد عن موته نفي لاستراحته من العذاب، بمعنى أنه حي تدرك حواسه الألم، لأن الميت لا إدراك ولا حواس يشعر بها فلا قيمة عندئذ للتعذيب.

قوله (ومن ورائه عذاب غليظ) أي: عذاب الخلود في النار، لأن ذلك كان في صفة شرابهم، والغليظ صفة في الشدة والقوة، وتنكير العذاب لتهويله.

قوله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾

قوله (مثل الذين كفروا بربهم) الفصل للابتداء بضرب المثل، وهو من التفنن القرآني في تقريب الصورة وجمع المعاني الكثيرة في هيأة حسية.

قوله (أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) الجملة خبر الابتداء، شبه أعمال الكافرين في حال عبادتهم غير الله بحال الرماد الذي

أذهبت به ريح شديدة في يوم عاصف، ووجه الشبه ذهاب الأثر، أي: لا أثر ولا قيمة تلمس لما يعبد الكافرون من دون الله، والرماد بقايا الحطب، واشتداد الريح كناية عن قوة هبوبها، ووصف اليوم بأنه عاصف مجاز عقلي لأنه ظرف لما تعصف فيه من ريح.

قوله (لا يقدرون مما كسبوا على شيء) بيان لجملة التشبيه، بنفي الانتفاع من أعمالهم.

قوله (ذلك هو الضلال البعيد) تذييل شامل لمعنى ما تقدم، ووصف الضلال بالبعد كونه منقطع الرجاء، والبعيد مبالغة في البعد، والظاهر أن الآية ليست من تمام كلام موسى ﵇، بل هو كالنتيجة المحصلة من كلامه المنقول.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾

ينتظم سياق الآيات ـ إلى الآية الحادية والثلاثين ـ في خطاب النبي ﷺ لوعظ الناس ودعوتها إلى التفكر بدلائل التوحيد.

قوله (ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق) الاستفهام للتقرير، وفعل الرؤية للعلم لا البصر، والخطاب للنبي ﷺ يراد به وعظ الأمة ودعوتها إلى التفكر في أحوال الخلق للوصول إلى وعي الإيمان بالتوحيد، وخلق السموات والأرض مملكة الله العريضة التي لا يدرك بعد حدها

العقل، لأنه كون متناهي البعد مبني على حساب دقيق من التدبير والتنظيم لا يمكن صنعه إلا صانع متفرد بكل شيء وهو الله تعالى، وفعل الخلق هو الإيجاد والتدبير، وذكرها لإرادة ما بعدها من كمال قدرته في الإذهاب والإتيان بخلق جديد.

والباء في قوله (بالحق) للملابسة: أي: متلبسا بالعدل الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، وفعله سبحانه من وراء هذا الخلق له غاية مطلوبة، وهو ـ والقول لصاحب الميزان ـ ملازم للحق مصاحب له فخلق السماوات والأرض يخلف عالما باقيا بعد زواله ولو لم يكن كذلك كان باطلا لا أثر له ولا خلف يخلفه وكان العالم المشهود بما فيه من النظام البديع لعبا منه سبحانه اتخذه لحاجة منه إليه كالتنفس من كرب وسأمة والتفرج من هم أو التخلص من وحشة وحدة ونحو ذلك وهو سبحانه العزيز الحميد لا تمسه حاجة ولا يذله فقر وفاقة. انتهى.

قوله (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) تعليق فعل الإذهاب والإتيان بمشيئة الله لما فيها من حكمة ارتباط خلق السموات والأرض ببقاء الخلق حتى يشاء بقيام الساعة، والإذهاب الإزالة والإهلاك بعذاب الاستئصال، والخلق الجديد كناية عن ميلاد قوم آخرين.

قوله تعالى ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

اسم الإشارة للتمييز أي: وليس إهلاكهم بمتعذر على الله، والباء في (بعزيز) زائدة لتأكيد النفي، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم والتعليل، وحرف الجر (على) بمعنى نفي الشدة وليس للاستعلاء.

قوله تعالى ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (وبرزوا لله جميعا) الجملة معطوفة على (ولا يكاد يسيغه)، وضمير الجمع في فعل البروز عائد على الكافرين، والبروز الظهور ظهورا من غير حجاب، كناية عن خلوص ظهورهم للحساب فلا علائق دنيوية تمنع من استيقان ظهورهم لربهم، لأنهم كانوا يعتقدون في الدنيا غيبة ربهم عنهم وغيبتهم عن ربهم، أما الله تعالى فهم ظاهرون له في الدنيا والآخرة فلا ستر يحجب عنهم، و(جميعا) حال من ضمير الجمع.

قوله (فقال الضعفاء للذين استكبروا) الفاء للتفريع، والضعفاء هم المستضعفون الأتباع يجادلون متبوعيهم بإلقاء اللائمة على بعض يوم القيامة.

قوله (إنا كنا لكم تبعا) الفصل لأنه مقول القول، والإخبار المؤكد منهم لإيقاع تهمة الإضلال بالمستكبرين في كونهم سبب ما هم فيه، وتقديم (لكم) على عامله للاهتمام، والتبع جمع تابع.

قوله (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) الفاء تفريع على كلامهم، والاستفهام يفيد التوبيخ. و(أنتم) ضمير المستكبرين مستفهم عنه لأن الأتباع يسألونهم إمكان إظهار مكانتهم التي كانت لهم في الدنيا من التجبر والطغيان فيدفعوا العذاب عن أتباعهم، لذلك سألوهم سؤال تبكيت لهم، ولم يستفهموا عن أصل رفع العذاب عنهم لإياسهم من ذلك، و(من) الأولى للابتداء، و(من) الثانية زائدة في تأكيد نفي العموم.

قوله (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) ضمير الجمع في فعل القول للكافرين المستكبرين ردوا عليهم بنفي اللائمة فحادوا عن رد لائمتهم إلى أن أصل شأنهما الضلال، وذلك بعزوف أنفسهم عن تقبل الهداية، ونسبة نفي الهداية إلى الله على سبيل المجازاة.

قوله (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) الفصل تأكيد لكلامهم باليأس من تساوي حالهم في حال الجزع من العذاب أو الصبر عليه لأنهم مخلدون في النار، والجملة الاستفهامية بيان لذلك الاستواء.

قوله (ما لنا من محيص) الفصل للتعليل، بأن لا منجى لهم ولا مهرب، و(لنا) بمعنى نفي الملك، و(من) زائدة لتأكيد نفي اللجوء إلى أي مكان ينجيهم.

وفي الآية حث على التدبر وإنكار التقليد الأعمى، ومن هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (وقال الشيطان لما قضي الامر) أريد بالشيطان إبليس الذي توعد الخلق بالإغواء، وقضاء الأمر الفراغ من حكم الله بين الخلائق ودخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار.

قوله (إن الله وعدكم وعد الحق) الفصل لمقول قول الشيطان، ووعد الحق إشارة إلى وعد الله للناس بالمجازاة على الإيمان إن آمنوا وعلى الكفر إن كفروا، وسمي حقا لما فيه من عدل.

قوله (ووعدتكم فأخلفتكم) وذلك لأنه وعده وسوسة منه بطول الأماني وإغراء بالسعادة فأخلفهم بغروره إذ انقضت أحلامهم وأعمالهم هباء وتركهم في حيرتهم يعمهون.

قوله (وما كان لي عليكم من سلطان) أي: من قوة أملكها أتسلط بها عليكم فأجبركم على فعل المعصية وأسلبكم اختياركم، و(من) زائدة لتقوية النفي، والسلطان القوة القاهرة، وتنكيرها لتعظيمها.

قوله (إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) دعوته لهم كناية عن إغوائه لهم بتزيين أفعالهم، ووسوسته بصالح ما يفعلون، والاستجابة له كناية عن طاعتهم وانقيادهم له، والاستثناء مفرغ لإثبات دعوى الشيطان على أتباعه تبرؤا منه لهم لأن يوم القيامة كل مرؤوس من الضالين يتبرأ من أتباعه.

قوله (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) الفاء للتفريع، والنفي وعدمه تبرؤ بعض من بعض، وفي الكلام تفنن بديعي يسمى طباق السلب ويكون بين الجمل.

قوله (ما انا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) قطعت الجملة لأنها بمقام البيان عن جملة النهي، والمصرخ الرافع الصوت طلبا للاستغاثة، وفي نفيه عنه وعنهم استواء في اليأس لعدم جدواه في تخليصهم من النار، وهو نظير قول المستكبرين في استواء الجزع والصبر وألا نفع فيه.

قوله (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) استئناف يفيد تنصله من عموم أتباعه، والكفر هو الجحد، وفعل الإشراك أريد به إشراكه في سبب عبادتهم غير الله سواء بعبادته هو - لأن منهم من عبد الشيطان - أو بعبادة الأصنام، و(من قبل) أي في عالم الدنيا.

قوله (إن الظالمين لهم عذاب أليم) جملة علة لما سبق من جملة الاستصراخ لذلك فصلت، وتقديم المتعلق (لهم) للاهتمام، والظاهر أنها من تمام الحكاية عن قول الشيطان.

قوله تعالى ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التفات في الكلام من حديث التبرؤ من الظالمين إلى حديث المؤمنين، وإضمار الفاعل لمعلوميته يوم القيامة وهو الله سبحانه، والإتيان بالموصول وصلته لتبيان علة الدخول إلى الجنة.

قوله (جنات) جمع جنة وهي ما وعد الله عليه المؤمنين من أماكن نعيم لا يتخيلها متخيل كما وصفها الرسول ﷺ بأنها مما لا عين رأت ولا تمر بخاطر بشر، والجنة في اللغة البستان المكتظ الشجر، كأنها لكثرته تجن ما تحته وتظله، وتنكيرها لتعظيمها.

قوله (تجري من تحتها الأنهار) جملة وصفية، غالبا ما تقترن بذكر الجنة، لأن الأشجار الكثيفة تتطلب وفرة مياه جارية، وكونها تجري من تحتها يستلزم أن الساكنين في الجنة في علو منها مشرفين على منظرها المونق.

قوله (خالدين فيها بإذن ربهم) جملة حالية، فهذا النعيم لا منغص وراءه، لأنهم في حال من الخلود في الجنات ليس كما في الدنيا موت وأسقام، وهم خالدون خلودا مأذونا من الله لا مستقلا عنه.

قوله (تحيتهم فيها سلام) الفصل لاتحاد المعنى، أي: يتبادلون فيما بينهم بالسلام والأمان من مكاره النار التي أنجاهم ربهم منها.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (ألم تر) الاستفهام للتقرير، والخطاب للأمة من خلال النبي ﷺ، وفعل الرؤية من رؤية العلم لا البصر.

قوله (كيف ضرب الله مثلا) الاستفهام مجرد من السؤال يراد به تبيان الحال.

قوله (كلمة طيبة كشجرة طيبة) لفظ الكلمة بدل من (مثلا)، ووصفها بالطيبة لإفادة القول المشتمل على معانيها النافعة الزاكية وهو من المجاز المرسل أطلق الجزء وأريد الكل فالمراد بها شهادة التوحيد بألا إله إلا الله والثبات عليها، ووصفها بالشجرة بالطيبة لما يتفرع عنها من كثرة المنافع من الأغصان والثمر.

قوله (أصلها ثابت) أي: أصل الشجرة مرتكز في الأرض.

قوله (وفرعها في السماء) أي: أغصانها عالية، وكل ما يعلو الأرض فهو سماء، وقد تكاثرت تفسيرات الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة وأكلها، لا يغني كثيرا ذكرها.

وكثير من أهل التفسير قالوا إن الشجرة النخلة، وقيل الكلام من المجاز، فقد جاء في تفسير القمي وفي المجمع: عن أبي جعفر عليه السلام أن الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفرعها علي عليه السلام، وعنصر الشجرة فاطمة، وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتنا، ثم قال عليه السلام: إن الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة، وان المولود من شيعتنا ليولد، فيورق مكان تلك الورقة ورقة. انتهى.

وليس ببعيد إطلاق الكلمة على الإنسان وقد قال تعالى (بكلمة منه اسمه المسيح بن مريم). كذا ذكر الطباطبائي في استدلاله.

قوله تعالى ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله (تؤتي أكلها كل حين) أي: تعطي ثمارها في كل وقت بإذن الله، لما فيها من البركات النامية.

قوله (ويضرب الله الأمثال للناس) الجملة معطوفة، وضرب الأمثال مجاز لإثباتها لترسيخ المعنى وتقريبه.

قوله (لعلهم يتذكرون) الجملة علة لضرب الأمثال وهو استحضار العظة والعبرة.

قوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) الآية تقابل التي سبقتها، فجعل ما يقابل الكلمة الطيبة الكلمة الخبيثة، وهي كلمة الشرك، وما يقابل الشجرة الطيبة الشجرة الخبيثة التي لا نفع وراءها سوى الضرر والشر.

قوله (اجتثت من فوق الأرض) أي: اقتلعت فليس لها جذر في الأرض.

قوله (ما لها من قرار) صفة تأكيد ثانية لنفي أصلها وثباتها.

قوله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وهذا ما يدفع إلى القول بتأويل الكلمة الطيبة بالقول الثابت في الآية السابقة، وإسناد فعل التثبيت إلى الله على سبيل مجازاة المؤمنين المستعدة نفوسهم لتقبل هذا القول والتضحية لأجله، وقوله (بالقول الثابت) متعلق لفعل التثبيت، وكذلك تعلق قوله (في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

وذكر الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) عن الصادق عليه السلام قال: إن الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا فيأتيه عند موته ويأتيه عن يمينه وعن يساره ليصده عما هو عليه فيأبى الله ذلك وكذلك قال الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. انتهى.

قوله (ويضل الله الظالمين) وكذا نسبة الإضلال إلى الله ليست نسبة ابتداء فتسلب اختيار العبد، بل هي من مشاكلة الكلام، التي بدأها العبد فأضل نفسه، فتركه الله لنفسه ومده بأسباب الإمهال فزاد ضلالا على ضلال.

قوله (ويفعل الله ما يشاء) أي: تلك المشيئة التي قضت بعدالة الاختيار والمحاسبة عليها فبنى نظام مملكته سبحانه على ذلك، ولو شاء الله غير ذلك لفعل.

قوله تعالى ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (ألم تر) خطاب آخر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل الرؤية المسبوقة بالاستفهام التقريري، لأنه في مورد عرض عظة أخرى.

قوله (إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) ولفظ التبديل إحلال شيء مكان شيء، بفعل اختياري، وذلك لبطرهم وسوء تقديرهم، وإضافة النعمة إلى الله لتعظيمها، وتنكير الكفر لإطلاق معناه، ويراد به الجحد، وهو وإن أطلق معنى هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا ولم يعينوا فهم مصداق لأكثر القادة

والرؤوس الضالة من أئمة الكفر التي استبدلت فطرتها السليمة بالكفر وجحود نعم الله فبطرت وأضلت من حولها.

قوله (وأحلوا قومهم دار البوار) لفظ الإحلال الإنزال، والبوار الهلاك، وإحلال أئمة الكفر قومهم دار الهلاك مجاز عقلي لأنهم كانوا سببا في إنزال عذاب الاستئصال فيهم وإهلاكهم، وذكر في تفسير هذه الآية عن علي (عليه السلام) قوله (هما الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة). كما في العياشي والدر المنثور وغيرهما. انتهى.

قوله تعالى ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله تعالى (جهنم يصلونها) بدل اشتمال من (دار البوار)، وقيل عن جهنم إنها أبعد دركات النار، أخذت من بئر جهنام أي بعيدة القعر، وفعل الصلي أصله إيقاد النار، والمراد اصطلاؤهم بها وتسليط النار عليهم.

قوله (وبئس القرار) فعل ذم لها، محذوف على تقدير بئس القرار قرارها، والقرار المكوث والاستقرار.

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (وجعلوا لله أندادا) الجملة معطوفة على قوله (الذين بدلوا نعمة الله كفرا)، والجعل تصيير، والأنداد جمع ند وهو المثل، ويراد به الأصنام كأنها أنداد لله في الألوهية والعبادة.

قوله (ليضلوا عن سبيله) اللام للغاية، والجملة علة لوثنيتهم وهي إضلال الناس عن سبيل توحيد الله.

قوله (قل تمتعوا) الأمر بالتمتع للتهديد، وفيه إشارة إلى علة إضلالهم قومهم وهي استعبادهم والتسلط عليهم وتحصيل المكاسب الدنيوية.

قوله (فإن مصيركم إلى النار) وفرع على أمر التمتع بتأكيد مصيرهم إلى الخلود في النار.

قوله تعالى ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١ ﴾

قوله (قل) الأمر بالقول تلقين من الله لنبيه وانتقال بالكلام من حال إلى حال، وقوله (لعبادي) بإضافة العباد إلى ضمير الله تعظيم لشأنهم وتشريف، فهي نسبة ما بعدها نسبة من الخصوصية والرفعة.

قوله (الذين آمنوا) الإتيان باسم الموصول وصلته تمهيد لما بعده من تكليف، فالإيمان اعتقاد قلبي يتطلب أثرا عمليا وهو ما سيعقبه من أفعال طلب.

وقوله (يقيموا الصلاة) ذكر الصلاة من سائر العبادات لشرفها ورمزية مظهر المؤمن بالله وتوحيده بها.

قوله (وينفقوا مما رزقناهم) أي ينفقوا المال في مطلق الإنفاق لأن السورة مكية لم تحدد موارده في الجهاد والزكاة ونحوه بعد، و(من) في (مما) ابتدائية، ورزقناهم، قيد للإنفاق، بمعنى الإنفاق من المال الحلال.

قوله (سرا وعلانية) حال، وهو طباق يفيد دوام الإنفاق.

قوله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) من: زائدة للتأكيد، وإسناد فعل الإتيان مجاز عقلي للمبالغة، ويراد به يوم القيامة الذي هو للحساب لا للعمل فلا عوض فيه لبيع يعوض ما فات ولا محبة تدفع مكروها، والخلال جمع خلة وهي من صفة ما يحب. وتنكير لفظ اليوم لتعظيمه.

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾

لما ذكر الأنداد في قوله (وجعلوا لله أندادا) ذكر اختصاص الله تعالى بالربوبية فذكر حججه على ذلك، وهي في الآية ثلاث:

قوله (الله الذي خلق السماوات والأرض) فصرح بلفظ الألوهية للتعظيم، وجيء بالاسم الموصول والصلة لبيان العظمة في الخلق، والكلام الحجة الأولى.

قوله (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) وهي الحجة الثانية، وإنزال الماء يعين به الغيث الذي يحيي به الأرض فيحيا به النبات والإنسان معا، لأن منه يتغذى الإنسان، وتنكير الماء لإفادة التكثير، والفاء في (فأخرج) للتعقيب، ودلالة الإخراج الظهور من شيء كان داخلا بشيء، وهو ما يكون من إنبات النبات من التربة، والثمرات آخر مراحل النبات التي تصلح أن تكون أكلا للإنسان وهو ما عبرت عنه الآية بقوله (رزقا لكم) أي طعاما لكم، وذلك كله بتدبير من الله وتقدير.

قوله (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) العطف لأنه الحجة الثالثة، والتسخير التذليل والتطويع، والفلك السفن، وتسخيرها بأن هدى الإنسان إلى صناعتها، واللام في (لتجري) للغاية، والجري العدو وهو استعارة للسفن في أن تطفو على ظهر البحر من دون مانع، وقوله (بأمره) متعلق بفعل الجري، والمعنى تجري بإذنه بأن يكف عنها العواصف ويسهل لها الريح وهي عائمة على ظهر الماء.

وقوله (وسخر لكم الأنهار) وتسخيرها بأن جعل ماءها ينتقل من مكان إلى آخر، أو جعلها مستقرة هادئة لا تشبه البحار في عذوبة مائها وسقي

الأرض بها، وفي الآية إشارة إلى بيان كمال القدرة لله التي لا يمكن أن يكون له أنداد يماثلونه بها.

قوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قوله (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وتسخير الشمس والقمر في تدبير نظامهما بحساب كوني دقيق فجعلهما يسبحان في فضاء واسع وجعل الأرض تدور حولهما يوميا دورانا ينتج منه تعاقب الليل والنهار والفصول الأربعة، وديمومة الحياة للإنسان والنبات ولجميع الموجودات في الأرض، و(دائبين) حال، بمعنى استمرار حركتهما.

قوله (وسخر لكم الليل والنهار) وذكر هذا التسخير من باب ذكر الخاص بعد العام، لأنه من نتاج علاقة الأرض بالشمس والقمر، علاقة مبنية على حسبان إلهي معجز للبشر، فجعل الليل سكنا للإنسان يرتاح به من تعب النهار فيستعيد قواه ليوم جديد، وجعل النهار محلا للعمل والكد فيحيا به، وكذا فائدتهما لباقي المخلوقات كل له وظيفته التي قدر لها أن يعيش.

قوله تعالى ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (وآتيكم من كل ما سألتموه) وذلك من إفضال نعمه على الناس، فقد أنعم عليهم بما رغبوا في سؤاله من استجلاب النعم المختلفة، واستبعاد ما كرهوا من عواد وأسقام. وتفيد (من) الابتداء، وفعل السؤال بمعنى الطلب على وجه الحقيقة. والكلام تعميم بعد تخصيص.

قوله (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها) استعمال الشرط لبيان النتيجة، والعد الحساب، و(لا تحصوها) نفي مطلق لعدها، ونعم الله أكبر من أن يعدها عاد لذلك نفي إحصاؤها. وأصل الإحصاء ـ كما قال الراغب ـ التحصيل بالعدد يقال: أحصيت كذا، وذلك من لفظ الحصا واستعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعد كاعتمادنا فيه على الأصابع. انتهى. واستعمال النعمة بإفرادها وإضافتها إلى الله، كفيل بالدليل على كثرتها وتفخيمها فلا حاجة إلى أن تعظم تنكيرا أو تفخم تكثيرا، يكفي أن يقال: نعمة الله وكفى بها دليلا على أنها أصل بقاء الموجود.

قوله (إن الانسان لظلوم كفار) استئناف بياني، دل على كثرة ظلم الإنسان لمن أنعم عليه، وكثرة جحوده لما أفاض عليه من نعم لا تعد ولا تحصى، وتعريف الإنسان لإفادة صنف من الإنسان جاحد.

قوله تعالى ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾

لما ذكرت نعمة الله على بني إسرائيل من ذرية إبراهيم من إسحاق عليهما السلام أردفت ـ من الآية الخامسة والثلاثين إلى الآية الحادية والأربعين ـ بذكر مننه سبحانه على ذريته من إسماعيل ودعائه عليه السلام.

قوله (وإذ قال إبراهيم) الآية معطوفة على قوله (وإن تعدوا نعمة الله).

قوله (رب اجعل هذا البلد آمنا) أل التعريف في لفظ البلد للعهد وهو مكة التي فيها بني بيت الله الحرام، و(آمنا) اسم فاعل مجاز عقلي أراد بها مأمونا.

قوله (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) التجنيب الإبعاد، وإسناده إلى الله ليس على سبيل سلب الخيار من العبد بحيث يكون تجنيبا قهريا، بل هو من باب الحفظ والهداية، والدعوة لبنيه يدخل فيه الذراري.

قوله تعالى ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله (ربّ إنهن أضللن كثيرا من الناس) جملة تعليل لطلب التجنيب، وإعادة ذكر الرب تحنن في الدعاء وإثارة للرحمة، وضمير الغائب في (إنهن) عائد إلى الأصنام، وإسناد فعل الإضلال إليهن مجاز عقلي كونها سببا فيه، و(من) تفيد الجنس.

قوله (فمن تبعني فإنه مني) الفاء للتفريع، وفعل الإتباع لإفادة سلوك طريقة إبراهيم واتباع منهجه عليه السلام في سبيل التوحيد، وجواب الشرط (فإنه مني) أي: منزل من منزلة نفسي، بدلالة (من) المستغرقة للجنس.

قوله (ومن عصاني) بأن اتبع طريق الشيطان فعبد غير الله.

قوله (فإنك غفور رحيم) أورد الجزاء خبرا تأدبا في دعاء الله تعالى من الاقتراح عليه، وشفقة منه على بنيه وذراريه لعلهم يهتدون، وقد وصف إبراهيم من قبل بأنه (أواه حليم)، فجعل مسألة هدايتهم لهم والعودة عن الضلال إلى حضيرة التوحيد مضمنة في معنى الغفران والرحمة في جواب شرطه.

قوله تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾

قوله (ربنا) عدل بالنداء من ضمير المتكلم المفرد إلى ضمير الجمع تهييجا لرحمة الله تعالى.

قوله (إني أسكنت من ذريتي) يعني به إسماعيل أسكنه في الجزيرة العربية في مكة ومنه كثرت ذريته بدلالة (من) التي تفيد التبعيض.

قوله (بواد غير ذي زرع) كناية عن مكة، فهو واد تحيط به جبال جرداء وأرضه حجرية لا تصلح للزراعة، وعلة ذلك الاختيار لتمحض الناس في عبادة الله من الانشغال عن غيرها.

قوله (عند بيتك المحرم) تعيين يراد به تهييج عطف الله ورحمته، وكان من قبل أمره الله أن يبني بيته في هذا المكان، لأن هذا الدعاء من آخر ما دعا به إبراهيم عليه السلام في حياته، ووصفه بالحرمة لجلالة البيت وتشريفه، وإضافته إلى الله تعظيم وتبجيل في وصفه بيتا للعبادة له حرمة تشريعية.

قوله (ربنا ليقيموا الصلاة) إعادة (ربنا) استعطاف وإثارة لرحمة الله، واللام في فعل الإقامة للتعليل، واختيار الصلاة من دون سائر العبادات علة لطلبه من الله لشرفها وعظم شأنها ولطالما خصت منفردة بالذكر في آيات الكتاب العزيز.

قوله (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) الفاء للتفريع، والأفئدة جمع فؤاد وهي لب القلب وخصت بالذكر مجازا لأنها محل الحب والانجذاب، و(من) بيانية لإفادة جنس الناس لا تبعيضية، و(تهوي) استعارة بالكناية عن الشوق إلى زيارتهم تشبيها لها بالإسراع في انجذاب القلوب إلى بيت الله الحرام، و(إليهم) أي: إلى ذرية إبراهيم، وأراد مكانهم وهو زيارة البيت الحرام ومن أحب قوما أحب مكانهم.

وفي معنى هوي قلوب الناس إلى البيت الحرام جاء في نهج البلاغة قول الإمام علي ﴿عليه السلام﴾: وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام يردونه ورود الأنعام ويألهون إليه ولوه الحمام. انتهى.

قوله (وارزقهم من الثمرات) لأنهم في مكان لا نبات فيه ولا ماء، و(من) للجنس.

قوله (لعلهم يشكرون) جملة تعليل داخلة ضمن الدعاء، أي: لينقطعوا بذلك إلى شكر الله وحمده.

قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ﴾

قوله (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) من تمام معاني الدعاء الإقرار بإحاطة الله وعلمه بكل شيء، ومنها ما سأل ربه، وفي الكلام مقابلة بين (ما نخفي) و(وما نعلن).

قوله (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) جعل جملة النفي في مقام العلة لما أثبت من علم الله في حال الخفاء والعلن، وفي التصريح بلفظ الله إشارة إلى علة نفي الخفاء عنه، و(من) زائدة في تقوية التوكيد، وذكر الأرض والسماء استقصاء في معنى علم الله بالغيب. وفيه طباق لطيف.

قوله تعالى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ ﴾

قوله (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل واسحق) فصل الكلام لاستئنافه في الدعاء، وفعل الموهبة من العطية التي لا مقابل عليها ولا عوض، و(لي) زيادة في التأكيد والاختصاص، و(على الكبر) مجاز استعلاء، بمعنى مع، والكبر يراد به بلوغ السن المتقدمة، فقد وهبه الله إسماعيل وعمره ستة وثمانون عاما، وبعده إسحاق بعمر مائة عام، وكان قبل ذلك لا يولد له ولد، وتعريف الكبر للعهد.

قوله (إن ربي لسميع الدعاء) جعل دعاءه بإخباره علة لما حمد الله عليه من هبة الله له بولده، واللام في (لسميع) للتوكيد واقعة في خبر (إن)، وهي صيغة مبالغة في السمع، وإيراد المعنى بصيغة الجملة بالإسمية المؤكدة لتبيان ثباته ولزومه.

قوله تعالى ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ ﴾

قوله (رب اجعلني مقيم الصلاة) رجع في ندائه إلى ضمير التكلم، لخصوصية معنى الصلاة وشرف إقامة العبد لها، ولأنه مهد بها لما سيأتي بعدها من دعاء، وأورد باسم الفاعل لدلالة مضيه وتحققه.

قوله (ومن ذريتي) ذكر ذريته مرة ثانية في أن يكونوا على سيرته في إقامة الصلاة، ففي الكلام حذف للإيجاز تقديره: واجعل من ذريتي مقيمي الصلاة، و(من) للتبعيض.

قوله (ربنا) رجع إلى النداء الجمعي، وجاء به مكررا زيادة في التضرع، وحبا في ذكر المعشوق بصفة الربوبية.

قوله (وتقبل دعاء) ختم به كلامه بأفضل ما يدعو به الداعي وهو أن ينال القبول من الله تعالى والاستجابة.

قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١ ﴾

قوله (ربنا اغفر لي ولوالدي) وكان آخر ما دعا به إبراهيم طلب الغفران له ولوالديه برا بهما، وفي ذلك إشارة إلى أن أباه الصلبي مؤمن وليس آزر.

قوله (وللمؤمنين) أدخل في دعائه المؤمنين زيادة في طلب كرم الله وعطفه وسعة في نفس إبراهيم لطلب الخير لنفسه ولغيره، وهو من آداب الدعاء التي يعلم الله بها الناس.

قوله (يوم يقوم الحساب) وخصه بهذا اليوم لأنه اليوم الذي لا عمل فيه ولا دفع سوى رحمة الله تعالى ومغفرته، وفعل الإقامة كناية عن الثبات.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (ولا تحسبن الله غافلا) سياق الآية وما بعدها إلى نهاية السورة في خطاب النبي ﷺ للتنذير والتبشير، ويراد به التهديد لأهل مكة، وفعل الحسبان يتعدى إلى مفعولين، والنهي فيه تأكيد لمعنى علم الله وإحاطته بالظالمين.

قوله (عما يعمل الظالمون) عما: مكونة من (عن) و(ما) متعلقة باسم الفاعل (غافلا)، والظالمون هم المشركون من أهل مكة، واسم الموصول وصلته بيان لنفي غفلة الله عنهم.

قوله (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) الجملة علة لنفي الغفلة عنهم، فهو ليس بغفلة أو نسيان بل إرجاء وإمهال لهم ليزدادوا ضلالا فتتضاعف الحجة عليهم في يوم القيامة، لذلك استأنف الكلام وابتدأ بالقصر بـ (إنما)، واللام في (ليوم) تفيد الغاية بمعنى (إلى)، وتنكير اللفظ لإفادة التهويل، ويراد به يوم القيامة، وشخوص الأبصار سكونها مفتوحة بحيث لا تطرف كناية عن الذهول والحيرة، لأن الظالمين خاصة عرفوا مصيرهم فلا راد له ولا نصير يدفعه عنهم.

قوله تعالى ﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (مهطعين) حال، لأنها هيأة الخائف، فلفظ الإهطاع مد العنق بارتفاع وتلهف.

قوله (مقنعي رؤوسهم) حال ثانية، وإقناع الرأس رفعه تطلعا وترقبا.

قوله (لا يرتد إليهم طرفهم) حال ثالثة، ونفي ارتداد الطرف كناية عن فتح عيونهم فلا تطرف أجفانها لشدة هلعهم وخوفهم، والطرف العين، وارتداده ما تفعل العين من غلق وفتح بأجفانها.

قوله (وافئدتهم هواء) جملة عطف، وهي كناية عن زوال قلوبهم من هلع الحشر، او كناية عن خلوها من التعقل والتدبير لهول المحشر، وجميع ضمائر جمع الغائبين في الآية عائدة إلى الظالمين.

قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (وأنذر الناس) الخطاب للنبي ﷺ، وفعل الإنذار يتضمن معنى التخويف ومعنى الهداية غير أنه بالأول أخص، لأن كل إنذار فيه طلب هداية، وتعريف الناس لإفادة العموم.

قوله (يوم يأتيهم العذاب) أي: يوم عذاب الاستئصال الذي لا يبقي ولا يذر، وإنما أضيف الظرف إلى جملة الإتيان للبيان والتفصيل لذلك اليوم، وتعريفه للعهد.

قوله (فيقول الذين ظلموا) الفاء تفريع على إتيان العذاب، والإتيان باسم الموصول وصلته للبيان، وفي التصريح بفعل الظلم إظهار بعد إضمار.

قوله (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) الدعاء حكاية لقولهم وتخضعهم وذلتهم لا دعاء التائبين الصالحين إذ لا توبة في نزول الموت على القول بتفسير إتيان العذاب بالعذاب الدنيوي وهو الأظهر مع السياق، و(أخرنا) بمعنى أمهلنا مهلة قريبة ولا تعجل علينا بالهلاك، لنؤمن بك، والأجل المدة ووصفه بالقرب لإفادة قصره.

قوله (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جزم الفعلان لأنهما جواب طلبهم، والإجابة كناية عن الإيمان بدعوة التوحيد وفي إضافتها إلى كاف الخطاب إغراء منهم بقبول اقتراحهم، وفعل اتباع الرسل كناية عن طاعتهم والانقياد لهم، وذكر جمع الرسل دون الإفراد لإفادة جنس الرسالة.

قوله (أو لم تكونوا) فصل الجملة لأنها واقعة في المحاورات، فهو جواب من الله تعالى لهم على سبيل ردهم، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، ونفي الكون المضارعة على أساس التذكير بشأنهم الذي كان وعنجهيتهم.

قوله (أقسمتم من قبل) القسم تأكيد منهم وثقة زائفة كانت لديهم وطغيان وجبروت في أيام دعتهم. و(من قبل) أي: في حياتكم قبل نزول العذاب.

قوله (ما لكم من زوال) جواب القسم، وهو نفي أن يكون لهم زوال، وجيء بمعناه بأبلغ توكيد حكاية عنهم وتصويرا لتجبرهم، فاستعمل (ما) النافية مع (لكم) التي تفيد لامه الملك، وقدمها على عاملها، وزاد في تقوية النفي (من)، و(زوال) مصدر لفعل الإزالة، والمعنى: أين ادعاؤكم التمكن من أمركم وأن سلطانكم غير زائل، فما لكم اليوم تطلبون الإمهال؟

قوله تعالى ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) الجملة معطوفة على محل قوله (أقسمتم من قبل) بمعنى: أولم تكونوا سكنتم. فهم من سكن مكان الأقوام البائدة من عاد وثمود وهم الأقرب إليهم، وفعل الإسكان التوطين في الأرض، والذين ظلموا أنفسهم هم قوم عاد وثمود ظلموها بشركهم وصدها عن اللحاق بسبيل التوحيد لتنجو.

قوله (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) التبيين التوضيح ورفع الإبهام، والسؤال بـ (كيف) لبيان الحال مجرد من الإجابة، وفعل الله بهم بإبادتهم واستئصالهم.

قوله (وضربنا لكم الأمثال) أي: جعلناهم لكم عظة وعبرة ومثلا لتتعظوا بهم، وتقديم المتعلق (لكم) للاهتمام ورعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (وقد مكروا مكرهم) ضمائر الجمع في فعل المكر ولفظه في الآية كلها عائد إلى الذين ظلموا، والمكر الكيد والحيلة، وتكراره لإبانة منتهى حيلتهم وهو مفعول مطلق لبيان النوع.

قوله (وعند الله مكرهم) أي: جزاؤه وعلمه عند الله، وكونه عنده سبحانه فلا خطر من ورائه لأن الله بخفاياه يرده عليهم من حيث لا يشعرون.

قوله (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) في الآية قراءتان لمعنى (إن) واللام في فعل الإزالة، ولكل منهما سياقها الخاص بها، فإن عدت (إن) بمعنى النفي وقرئت اللام مكسورة في (لتزول) - وهي قراءة الجمهور - أفادت الجحود، وعندئذ يفيد المعنى تحقير مكرهم، وإن قرئت اللام بالفتح (لتزول) أفاد المعنى تعظيم مكرهم، وهو ما أميل إليه، لأنه يناسب سياق الآية، فقد تكررت لفظ مكرهم أكثر من مرة وأن مكرهم عند الله فلا يرده غيره سبحانه.

قوله تعالى ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) الفاء تفريع على ما تقدم، و(مخلف) مفعول أول، و(وعده) مضاف إليه، و(رسله) مفعول ثان.

قوله (إن الله عزيز ذو انتقام) جعل الإخبار المؤكد بعزة الله وانتقامه علة للنهي، فالله تعالى غالب لا يقهر ينصر من نصره ويخذل من خذله، ومنتقم من أعدائه ومن نصاب رسله العداء، والمنتقم من أسماء الله الحسنى ولا تعني التشفي في إيقاع العقاب بالغير فالله أعز من ذلك ولا يقع على كماله هذا المعنى، بل إن ما ينسب إليه تعالى من معنى الانتقام ـ كما ذكر صاحب الميزان ـ هو ما كان حقا من حقوق الدين الإلهي والشريعة السماوية، وإن شئت فقل من حقوق المجتمع الاسلامي وإن كان ربما استصحب الحق الفردي فيما إذا انتصف سبحانه للمظلوم من ظالمه فهو الولي الحميد. انتهى. وينبغي التأكيد أن معنى الانتقام منه يقع على أساس المجازاة على الفعل لا الابتداء به.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) الفصل للاستئناف والتهديد، واليوم هو يوم القيامة متعلق بقوله (ذو انتقام)، وتبديل الأرض هو الإيذان بيوم القيامة التي يخلق الله فيه أرضا غيرها للمؤمنين دائمة أبدية، وكذلك السماوات، على تقدير محذوف: وتبدل السماوات، وعلى هذا يكون التعريف في لفظ الأرض والسموات للعهد، ويبدو من تدبر الآيات أن نظاما كونيا آخر سوف يخلقه الله تعالى غير هذا النظام، لذلك أكثر التفسيرات التي وقفت على موضوع تبديل الأرض والسموات لا تستقيم مع التدبر فيها.

وفي مجمع الزوائد وغيره في الخبر المرفوع عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله: (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال: أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم تعمل فيها خطيئة. انتهى.

قوله (وبرزوا لله الواحد القهار) البروز الظهور من غير حجب وموانع، وضمير الجمع رادع إلى الخلائق يظهرون لله عيانا ويظهر لهم فيتيقنون وجوده من غير أن يحول بينهم وبينه حائل لأنهم خلصوا للحساب والوقوف بين يديه سبحانه، ولا يعني ذلك رؤيتهم البصرية، بل يقينهم بحضوره تعالى، ولهذا ناسب اختيار الاسمين الواحد القهار من بين اسمائه العلى، فالواحد المتفرد في الأحدية في كل شيء، والقهار الغالب الذي قهر بقوته كل شيء فوقف ليوم حسابه وعقابه وثوابه.

قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله (وترى المجرمين يومئذ) الجملة معطوفة على ما تقدم من صفات مشهد القيامة، وفعل الرؤية مراد به رؤية البصر والعيان، والمخاطب النبي ﷺ وفي مضمونه أمته، ولفظ المجرمين الآثمين، والظرف المبني في قوله (يومئذ) أي يوم القيامة الكائن لا محالة.

قوله (مقرنين في الأصفاد) حال من فعل الرؤية، أي: مربوطون بالقيود من أعناقهم إلى أيديهم.

قوله تعالى ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله (سرابيلهم من قطران) جملة حالية. والسرابيل جمع سربال ويراد به القميص، جعلت لباس المجرمين، لأنها اشد إيلاما لجلودهم ابتداء قبل الوقوع في النار، والقطران مستخرج قديم من إغلاء شجر الأرز والسرو والأبهل يحرق بالنار وتجمع أبخرته زيتا تطلى بها الإبل للتداوي من الجرب.

قوله (وتغشى وجوههم النار) جملة عطف تفيد الوصف، وتغشى: بمعنى تغطي وجوههم النار فتشملها وتحيط بها.

قوله تعالى ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾

قوله (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) الجملة علة لعذابهم المتقدم، واللام في فعل الجزاء للغاية، والكسب العمل يقال للحسنة والسيئة، والمراد نفي الظلم لهم بعد تفصيل العذاب الواقع عليهم.

قوله (إن الله سريع الحساب) تعليل للجزاء، وسرعة الحساب إشارة إلى معاجلتهم بالعقوبة من غير إمهال في ذلك اليوم.

قوله تعالى ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾

قوله (هذا بلاغ للناس) إشارة تعظيم إلى ما ورد في السورة لا إلى مجموع القرآن. فصلها عن الكلام للابتداء، ومعنى قوله (بلاغ للناس) أي: خبر واصل للناس وصولا مفيدا مبينا لا شبهة فيه ولا إبهام.

قوله (ولينذروا به) جملة عِلّية لبلاغه، وهو إنذارهم بآياته وعظاته وزواجره ونواهيه، وقد اختتمت السورة بهذه الأغراض كما بدأت بعلة إنزاله وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

قوله (وليعلموا إنما هو إله واحد) جملة غرض ثانية، وفعل العلم لما يتضمن جهلهم بما سيأتيهم، ولما ينبغي الاهتمام به، والفصل بـ (إنما) لأن جملة العلم متضمنه معنى الإخبار والقول، وهو الوحدانية، وأوردت بأشد التأكيدات: إنما، ضمير الفصل وكلاهما للقصر، والتصريح بلفظ الألوهية

لنفي أي إله سواه، ووصفه بلفظ الواحد لإفادة معنى التفرد لا الواحد من العدد.

قوله (وليذكر أولوا الألباب) علة ثالثة عامة من إنزال القرآن، وفيه تحذير يشمل المؤمنين والكافرين، والله العالم.

المحتويات

تفسير سورة هود ١-١٣٥

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ ١

﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ ﴾ ١-٢

﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ...٣ ﴾ ٣-٥

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ ﴾........ ٥

﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ ...٥ ﴾ ٥-٧

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ...٦ ﴾ ٧-٩

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ...٧ ﴾ ... ٩-١٢

﴿ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ ...٨ ﴾ ١٢-١٤

﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ ...٩ ﴾ ١٤-١٥

﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ...١٠ ﴾ ١٥

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم ...١١ ﴾ ١٦

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ...﴿١٢﴾ ﴾ ١٦-١٨

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ...﴿١٣﴾ ﴾ ... ١٨-١٩

﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ...﴿١٤﴾ ﴾ ١٩-٢٠

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٢٠-٢١

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ ... ﴿١٦﴾ ﴾.... ٢٢

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ ... ﴿١٧﴾ ﴾ ٢٢-٢٥

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ... ﴿١٨﴾ ﴾ ٢٥-٢٧

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم ... ﴿١٩﴾ ﴾......... ٢٧

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن ...﴿٢٠﴾ ﴾ ٢٨-٢٩

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ ...﴿٢١﴾ ﴾ ٢٩

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٢٩-٣٠

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ ...﴿٢٣﴾ ﴾ ٣٠-٣١

﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ ... ﴿٢٤﴾ ﴾ ٣١

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ ٣١-٣٢

﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ ... ٣٢-٣٣

﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا ...﴿٢٧﴾ ﴾ ... ٣٣-٣٥

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ...﴿٢٨﴾ ﴾ ٣٥-٣٧

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ...﴿٢٩﴾ ﴾..... ٣٧-٣٨

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٣٠﴾ ﴾ ... ٣٨-٣٩

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ...﴿٣١﴾ ﴾ ٣٩-٤٠

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن...﴿٣٢﴾ ﴾.... ٤١-٤٢

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ٤٢

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ...﴿٣٤﴾ ﴾ ٤٣-٤٤

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠...﴿٣٥﴾ ﴾.... ٤٤-٤٥

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا ...﴿٣٦﴾ ﴾.... ٤٥

﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ...﴿٣٧﴾ ﴾ ... ٤٦

﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ...﴿٣٨﴾ ﴾ ٤٧

﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ ٤٨

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن ... ﴿٤٠﴾ ﴾ ٤٨-٥١

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ ...﴿٤١﴾ ﴾..... ٥١-٥٣

﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ...﴿٤٢﴾ ﴾... ٥٣-٥٤

﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٥٤-٥٥

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ... ﴿٤٤﴾ ﴾.... ٥٦-٥٨

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ... ﴿٤٥﴾ ﴾...... ٥٨-٥٩

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ...﴿٤٦﴾ ﴾........ ٥٩-٦٠

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ ...﴿٤٧﴾ ﴾.......... ٦٠-٦١

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ ...﴿٤٨﴾ ﴾.......... ٦١-٦٣

﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ ...﴿٤٩﴾ ﴾ ٦٣-٦٥

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا ... ﴿٥٠﴾ ﴾......... ٦٥-٦٦

﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي ...(٥١) ﴾ ٦٦-٦٧

﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ ...(٥٢) ﴾ ... ٦٧-٦٩

﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ...(٥٣) ﴾ ٦٩-٧٠

﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ...(٥٤) ﴾..... ٧٠-٧١

﴿ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) ﴾............ ٧١

﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ...(٥٦) ﴾ ... ٧١-٧٢

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ ...(٥٧) ﴾.... ٧٢-٧٣

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ...(٥٨) ﴾.... ٧٣-٧٤

﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ ...(٥٩) ﴾..... ٧٤-٧٥

﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا ...(٦٠) ﴾........ ٧٥-٧٦

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ...(٦١) ﴾ ٧٦-٧٧

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن ...(٦٢) ﴾....... ٧٧-٧٩

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ...(٦٣) ﴾ ٧٩-٨٠

﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا ... ﴿٦٤﴾ ﴾ ٨٠-٨١

﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ...﴿٦٥﴾ ﴾ ٨١-٨٢

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ...﴿٦٦﴾ ﴾...... ٨٢-٨٣

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾... ٨٣

﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا ...﴿٦٨﴾ ﴾ ٨٤

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ ...﴿٦٩﴾ ﴾ ٨٤-٨٥

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ ...﴿٧٠﴾ ﴾ ٨٥-٨٦

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ ...﴿٧١﴾ ﴾ ٨٦-٨٧

﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ ...﴿٧٢﴾ ﴾ ٨٧-٨٨

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ ...﴿٧٣﴾ ﴾ ٨٨-٨٩

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا ...﴿٧٤﴾ ﴾ ٨٩-٩٠

﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ ٩٠

﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ...﴿٧٦﴾ ﴾ ٩٠-٩١

﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا ...(٧٧) ﴾ ٩١-٩٢

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ...(٧٨) ﴾ ٩٢-٩٤

﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) ﴾ ...٩٤-٩٥

﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ (٨٠) ﴾ ٩٥-٩٦

﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ ...(٨١) ﴾ ٩٦-٩٨

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا ...(٨٢) ﴾ ٩٨-٩٩

﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ (٨٣) ﴾ ٩٩

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ...(٨٤) ﴾ ١٠٠-١٠١

﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ...(٨٥) ﴾ ١٠١-١٠٢

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ ...(٨٦) ﴾ ١٠٢-١٠٣

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ...(٨٧) ﴾ ... ١٠٣-١٠٤

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ...(٨٨) ﴾ ١٠٤-١٠٦

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ ...(٨٩) ﴾ ١٠٦-١٠٧

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ ﴾ ... ١٠٧

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ ... ٩١ ﴾ ... ١٠٧-١٠٨

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ ... ٩٢ ﴾... ١٠٨-١٠٩

﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ ... ٩٣ ﴾ ١٠٩-١١٠

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ٩٤ ﴾ ١١٠-١١١

﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥ ﴾ ١١١

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ ﴾ ١١٢

﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ ... ٩٧ ﴾ ١١٢-١١٣

﴿ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ... ٩٨ ﴾ ... ١١٣-١١٤

﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩ ﴾... ١١٤

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا ... ١٠٠ ﴾ ١١٥-١١٦

﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ ... ١٠١ ﴾ ... ١١٦-١١٧

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ ... ١٠٢ ﴾ ... ١١٧-١١٨

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ ...﴿١٠٣﴾ ﴾ ١١٨

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ ١١٨-١١٩

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾... ١١٩-١٢٠

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ ١٢٠

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ ...﴿١٠٧﴾ ﴾...... ١٢٠-١٢٢

﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا ...﴿١٠٨﴾ ﴾ ١٢٢

﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ...﴿١٠٩﴾ ﴾ ١٢٣-١٢٤

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا ...﴿١١٠﴾ ﴾....... ١٢٤-١٢٥

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾ ... ١٢٥

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ ...﴿١١٢﴾ ﴾ ١٢٦

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا ...﴿١١٣﴾ ﴾ ١٢٧

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ...﴿١١٤﴾ ﴾ ١٢٧-١٢٩

﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ ١٢٩

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ ...﴾ ١٣٠
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ١٣١
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ ... ١٣١
﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ...﴾ ١٣٢
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ...﴾... ١٣٢-١٣٣
﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴾..... ١٣٣-١٣٤
﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ ١٣٤
﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ...﴾... ١٣٤-١٣٥
تفسير سورة يوسف ١٣٦-٢٤١
﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ ١٣٦-١٣٧
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ١٣٧
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ...﴾ ١٣٨-١٣٩
﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ ...﴾ ١٣٩-١٤٠

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ ...(٥) ﴾ ١٤٠-١٤١

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ...(٦) ﴾... ١٤١-١٤٢

﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ (٧) ﴾ ١٤٢-١٤٣

﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ ...(٨) ﴾...... ١٤٣-١٤٤

﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ...(٩) ﴾.... ١٤٥

﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ...(١٠) ﴾..... ١٤٦

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ ...(١١) ﴾....... ١٤٧

﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (١٢) ﴾ ١٤٧-١٤٨

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ ...(١٣) ﴾ ... ١٤٨

﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا ... (١٤) ﴾ ١٤٩

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ ...(١٥) ﴾ ١٤٩-١٥٠

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ (١٦) ﴾ ١٥٠-١٥١

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ ...(١٧) ﴾ ١٥١-١٥٢

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ ... ﴿١٨﴾ ﴾ ١٥٢-١٥٣

﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ ...﴿١٩﴾ ﴾ ١٥٣-١٥٤

﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ ...﴿٢٠﴾ ﴾ ١٥٤-١٥٥

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي ...﴿٢١﴾ ﴾ ١٥٥-١٥٨

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي...﴿٢٢﴾ ﴾ ١٥٨

﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ...﴿٢٣﴾ ﴾ ١٥٩-١٦٠

﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ ....﴿٢٤﴾ ﴾ ١٦١-١٦٢

﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا ...﴿٢٥﴾ ﴾....... ١٦٢-١٦٣

﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ ...﴿٢٦﴾ ﴾ ١٦٣-١٦٤

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ...﴿٢٧﴾ ﴾ ١٦٤-١٦٥

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ ...﴿٢٨﴾ ﴾ ... ١٦٥

﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ ...﴿٢٩﴾ ﴾ ١٦٦

﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ ...﴿٣٠﴾ ﴾ ١٦٦-١٦٧

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ...﴿٣١﴾ ﴾........ ١٦٧-١٦٩

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ...﴿٣٢﴾ ﴾... ١٦٩-١٧٠

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ ...﴿٣٣﴾ ﴾ ... ١٧٠-١٧١

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ... ﴿٣٤﴾ ﴾...... ١٧١-١٧٢

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ ١٧٢-١٧٣

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ ... ﴿٣٦﴾ ﴾ ١٧٣-١٧٤

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ ... ﴿٣٧﴾ ﴾.... ١٧٤-١٧٥

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا .... ﴿٣٨﴾ ﴾ ... ١٧٥-١٧٦

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ... ﴿٣٩﴾ ﴾ ١٧٦-١٧٧

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ ١٧٧-١٧٩

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ ... ﴿٤١﴾ ﴾ ١٧٩-١٨٠

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ... ﴿٤٢﴾ ﴾... ١٨٠-١٨١

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ... ﴿٤٣﴾﴾.... ١٨١-١٨٢

﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾..... ١٨٢-١٨٣

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ ... ﴿٤٥﴾ ﴾.... ١٨٣

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ ... ﴿٤٦﴾ ﴾ ١٨٤

﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦ... ﴿٤٧﴾ ﴾... ١٨٥

﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ ...﴿٤٨﴾ ﴾.... ١٨٥-١٨٦

﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ ... ١٨٦-١٨٧

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ... ١٨٧-١٨٨

﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ ... ﴿٥١﴾ ﴾ ١٨٩-١٩٠

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ... ﴿٥٢﴾ ﴾.... ١٩٠-١٩١

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ... ﴿٥٣﴾ ﴾..... ١٥٣

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ ...﴿٥٤﴾ ﴾ ١٩٢

﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ ﴾ ١٩٢-١٩٣

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ ... ﴿٥٦﴾ ﴾ ... ١٩٣-١٩٥

﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ ﴾ ١٩٥-١٩٦

﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ ... ٥٨ ﴾... ١٩٦-١٩٧

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ... ٥٩ ﴾ ١٩٧-١٩٨

﴿ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠ ﴾........... ١٩٨

﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١ ﴾ ١٩٨-١٩٩

﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ ... ٦٢ ﴾ ... ١٩٩

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ... ٦٣ ﴾ ١٩٩-٢٠٠

﴿ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ ... ٦٤ ﴾ ٢٠١

﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ ... ٦٥ ﴾ ٢٠٢-٢٠٣

﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ... ٦٦ ﴾ ... ٢٠٣-٢٠٤

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ ... ٦٧ ﴾ ٢٠٤-٢٠٥

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم ...٦٨ ﴾ ... ٢٠٥-٢٠٦

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ ... ٦٩ ﴾ ... ٢٠٦-٢٠٧

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ ...﴿٧٠﴾ ﴾ ... ٢٠٧-٢٠٨

﴿ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ ٢٠٨

﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ ... ﴿٧٢﴾ ﴾ ٢٠٨-٢٠٩

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴿٧٣﴾ ﴾ ٢٠٩

قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ٢١٠

﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ ... ﴿٧٥﴾ ﴾ ٢١٠

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا ... ﴿٧٦﴾ ﴾ ... ٢١٠-٢١١

﴿ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ... ﴿٧٧﴾ ﴾ ٢١٢

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ... ﴿٧٨﴾ ﴾ ٢١٣

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا ...﴿٧٩﴾ ﴾ ٢١٣-٢١٤

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ...﴿٨٠﴾ ﴾..... ٢١٤-٢١٥

﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ...﴿٨١﴾ ﴾.... ٢١٥-٢١٦

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا ...﴿٨٢﴾ ﴾ ٢١٦-٢١٧

﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌ ...﴿٨٣﴾ ﴾... ٢١٧-٢١٨

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ... ﴿٨٤﴾ ﴾.... ٢١٨-٢١٩

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ... ﴿٨٥﴾ ﴾ ٢١٩

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ ... ﴿٨٦﴾ ﴾ ٢١٩-٢٢٠

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا ... ﴿٨٧﴾ ﴾ ٢٢٠-٢٢١

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ... ﴿٨٨﴾ ﴾ ٢٢١

﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ ... ﴿٨٩﴾ ﴾ ٢٢٢

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ ... ﴿٩٠﴾ ﴾ ٢٢٢-٢٢٣

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا ...﴿٩١﴾ ﴾ ... ٢٢٣-٢٢٤

﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ ... ﴿٩٢﴾ ﴾ ٢٢٤

﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ ... ﴿٩٣﴾ ﴾...... ٢٢٥

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ ...﴿٩٤﴾ ﴾ ... ٢٢٥-٢٢٦

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ ٢٢٦-٢٢٧

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ... ﴿٩٦﴾ ﴾ ٢٢٧

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ٢٢٧-٢٢٨

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ ٢٢٨

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ... ﴿٩٩﴾ ﴾ ٢٢٨-٢٢٩

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ ...﴿١٠٠﴾ ﴾ ... ٢٢٩-٢٣٢

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ... ﴿١٠١﴾ ﴾ ... ٢٣٢-٢٣٣

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ ... ﴿١٠٢﴾ ﴾... ٢٣٣

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ ٢٣٣-٢٣٤

﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ ٢٣٤

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ ... ﴿١٠٥﴾ ﴾ ... ٢٣٤-٢٣٥

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ ٢٣٥-٢٣٦

﴿ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ...﴿١٠٧﴾ ﴾ ٢٣٦

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ... ﴿١٠٨﴾ ﴾ ٢٣٧

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ ... ١٠٩ ﴾ ... ٢٣٧-٢٣٩

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ... ١١٠ ﴾ ٢٣٩-٢٤٠

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ .... ١١١ ﴾ ... ٢٤٠-٢٤١

تفسير سورة الرعد ٢٤٢-٢٩٥

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن ... ١ ﴾ ٢٤٢-٢٤٣

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ ... ٢ ﴾ ٢٤٣-٢٤٤

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ... ٣ ﴾..... ٢٤٤-٢٤٦

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ ... ٤ ﴾... ٢٤٦-٢٤٨

﴿ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا ... ٥ ﴾ ٢٤٨-٢٥٠

﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ ... ٦ ﴾ ... ٢٥٠-٢٥١

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّنۗ ... ٧ ﴾ ... ٢٥١-٢٥٣

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ ... ٨ ﴾ ٢٥٣-٢٥٤

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ ﴾ ٢٥٤-٢٥٥

﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ... ١٠ ﴾... ٢٥٥-٢٥٦

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ... ١١ ﴾ ... ٢٥٦-٢٥٨

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ... ١٢ ﴾ ... ٢٥٨-٢٥٩

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ ... ١٣ ﴾ ... ٢٥٩-٢٦١

﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم ... ١٤ ﴾ ... ٢٦١-٢٦٢

﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ... ١٥ ﴾ ٢٦٣-٢٦٤

﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن ... ١٦ ﴾.. ٢٦٤-٢٦٧

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ ... ١٧ ﴾.. ٢٦٧-٢٧٠

﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ ... ١٨ ﴾..... ٢٧٠-٢٧١

﴿ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ... ١٩ ﴾.... ٢٧١-٢٧٢

ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ ﴾ ٢٧٢

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ ... ٢١ ﴾ ٢٧٢-٢٧٣

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ ... ٢٢ ﴾... ٢٧٣-٢٧٤

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ ..... ٢٣ ﴾ ... ٢٧٤-٢٧٥

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ ٢٧٥-٢٧٦

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ... ﴿٢٥﴾ ﴾ ٢٧٦-٢٧٧

﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ٢٧٧

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ ... ﴿٢٧﴾ ﴾.... ٢٧٨

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ ... ﴿٢٨﴾ ﴾....... ٢٧٨-٢٧٩

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ ٢٧٠-٢٨٠

﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ ...﴿٣٠﴾ ﴾ ٢٨٠-٢٨١

﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ ... ﴿٣١﴾ ﴾ ... ٢٨١-٢٨٣

﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴿٣٢﴾ ﴾ ٢٨٤

﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ ... ﴿٣٣﴾ ﴾ ... ٢٨٤-٢٨٦

﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا ...﴿٣٤﴾ ﴾ ... ٢٨٦-٢٨٧

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ... ﴿٣٥﴾ ﴾ ٢٨٧-٢٨٨

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ ... ﴿٣٦﴾ ﴾ ٢٨٨-٢٨٩

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ... ﴿٣٧﴾ ﴾ .. ٢٨٩-٢٩٠

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا ... ﴿٣٨﴾ ﴾ ٢٩٠-٢٩١

﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ ٢٩١

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا ... ﴿٤٠﴾ ﴾ ٢٩٢

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ ... ﴿٤١﴾ ﴾ ٢٩٢-٢٩٣

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ يَعْلَمُ ... ﴿٤٢﴾ ﴾ ٢٩٣-٢٩٤

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ ... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٢٩٤-٢٩٥

تفسير سورة إبراهيم ٢٩٦-٣٤٦

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ... ﴿١﴾ ﴾ ٢٩٦-٢٩٧

﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ ...﴿٢﴾ ﴾ ٢٩٧-٢٩٨

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ... ﴿٣﴾ ﴾ ٢٩٨-٢٩٩

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ... ﴿٤﴾ ﴾ ٢٩٩- ٣٠٠

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ ... ﴿٥﴾ ﴾ ٣٠٠-٣٠١

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ... ﴿٦﴾ ﴾ ٣٠١-٣٠٢

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ...﴿٧﴾ ﴾ ٣٠٢-٣٠٤

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ...﴿٨﴾ ﴾ ٣٠٤

﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ ... ٩ ﴾ ٣٠٥-٣٠٦

﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ١٠ ﴾ ٣٠٦-٣٠٨

﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ... ١١ ﴾... ٣٠٨-٣٠٩

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ ... ١٢ ﴾ ٣١٠

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ... ١٣ ﴾ ٣١٠-٣١١

﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ ... ١٤ ﴾ ٣١١-٣١٢

﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ ﴾ ٣١٢-٣١٣

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ ﴾ ٣١٣

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن ... ١٧ ﴾ ٣١٣-٣١٤

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ... ١٨ ﴾ ٣١٤-٣١٥

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ ... ١٩ ﴾ ... ٣١٥-٣١٦

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠ ﴾ ٣١٦-٣١٧

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ... ٢١ ﴾... ٣١٧-٣١٩

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ ... ٢٢ ﴾ ٣١٩-٣٢١

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي ... ٢٣ ﴾... ٣٢١-٣٢٢

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ ... ٢٤ ﴾... ٣٢٢-٣٢٣

﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ... ٢٥ ﴾...... ٣٢٣

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ ... ٢٦ ﴾ ٣٢٤

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ... ٢٧ ﴾ ٣٢٤-٣٢٥

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ ... ٢٨ ﴾... ٣٢٥-٣٢٦

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ٢٩ ﴾ ٣٢٦

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ... ٣٠ ﴾... ٣٢٦-٣٢٧

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ ... ٣١ ﴾ ٣٢٧-٣٢٨

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ... ٣٢ ﴾ ٣٢٨-٣٢٩

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ ... ٣٣ ﴾ ... ٣٣٠

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ... ٣٤ ﴾... ٣٣٠-٣٣١

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي... ٣٥ ﴾... ٣٣١-٣٣٢

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ... ٣٦ ﴾... ٣٣٢-٣٣٣

﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ... ٣٧ ﴾ ٣٣٣-٣٣٤

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ... ٣٨ ﴾ ٣٣٥

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ ... ٣٩ ﴾ ٣٣٥-٣٣٦

﴿ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا ... ٤٠ ﴾ ٣٣٦-٣٣٧

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١ ﴾ ٣٣٧

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا ... ٤٢ ﴾...... ٣٣٧-٣٣٨

﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ... ٤٣ ﴾... ٣٣٨-٣٣٩

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ... ٤٤ ﴾...... ٣٣٩-٣٤٠

﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ ... ٤٥ ﴾ ٣٤١

﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن ... ٤٦ ﴾ ٣٤١-٣٤٢

﴿ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ... ٤٧ ﴾ ٣٤٢-٣٤٣

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ... ٤٨ ﴾... ٣٤٣-٣٤٤

﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ ﴾ ٣٤٤

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠ ﴾ ٣٤٤-٣٤٥

﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ ... ٣٤٥

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ ... ﴿٥٢﴾ ﴾... ٣٤٦-٣٤٧